

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء السابع

السيد جعفر مرتضى العاملي

هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج فنياً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إن شاء الله تعالى.

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء السابع

السيد جعفر مرتضى العاملي

الفصل الرابع: تبليغ سورة براءة

إرسال أبي بكر إلى مكة:

قلنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي (ﷺ): إن أبا بكر حج بالناس في سنة تسع بأمر رسول الله (ﷺ).

ثم بعث رسول الله (ﷺ) علياً (عليه السلام) على أثر أبي بكر ليأخذ سورة براءة منه، ويقراها هو على الناس، فأدركه بالعرج في قول ابن سعد، أو في ضحنان^(١) كما قاله ابن عائد. وكان علي (عليه السلام) على العضباء ناقة رسول الله (ﷺ).

فزعموا: أن أبا بكر لما رآه قال: أميراً أو مأموراً؟!

قال: لا بل مأمور. ثم مضيا^(٢).

وحسب نص آخر: بعث أبا بكر على إقامة الحج سنة تسع، وبعث في أثره علياً يقرأ على الناس سورة براءة.

١ - العرج: قرية تبعد عن المدينة نحو ثمانية وسبعين ميلاً. وضحنان: جبل يبعد عن مكة اثني عشر ميلاً.

٢ - راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٣ و ٧٤ والدرر لابن عبد البر ص ٢٥٠ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٣٢٢.

ف قيل: لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج^(١).
وقيل: بل لأن عادة العرب كانت أنه لا تحل العقود والعهود ويعقدوها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته،
فلهذا بعث علياً (عليه السلام) في أثره^(٢).
وقيل: أردفه به عوناً له ومساعداً، ولهذا قال له الصديق: أميراً أو مأموراً؟!
قال: بل مأموراً.
وقالوا: وأما أعداء الله الراضية، فيقولون: عزله بعلي، وليس هذا ببدع من بهتهم وافتراءهم^(٣).
وقيل: كان في سورة براءة الثناء على الصديق، فأحب أن يكون على لسان غيره، قال في الهدى: لأن
السورة نزلت بعد ذهاب أبي بكر إلى

١- راجع: الدرر لابن عبد البر ص ٢٥٠ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٣٢١ و ٣٢٢.
٢- راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٣٨ وج ١٢ ص ٧٥ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ عن الفضل بن روزبهان،
والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٦١ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣١٩ عن الجبائي، والمغني للقاضي عبد الجبار ج ٢٠ ص ٣٥١ وتفسير
الرازي ج ١٥ ص ٢١٨ والكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١٧٢ وتفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٠٥ وشرح التجريد للقوشجي ص ٣٧٢
وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٥.
٣- راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٣٨.

الحج^(١).

ونقول:

لا بد من ملاحظة ما يلي:

وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ:

إن هذا العرض لما جرى لأبي بكر في تبليغ مضامين سورة براءة في موسم الحج يمثل أنموذجاً لمكر الماكرين، وجحود الجاحدين، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ^(٢)..

مع أن أحداث هذه القضية كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، ولم يزل العلماء يتداولونها، ويستدلون بها في قضايا الإمامة، ولا يجد الآخرون مناصاً عن البخوع لمقتضيات مضامينها، والتسليم بدلالاتها، ولو وجدوا أي مجال للتأويل أو التحوير لما ترددوا في اللجوء إليه، والتعويل عليه.

ونحن نوضح هنا الحقيقة في هذه القضية، فنقول:

حقيقة ما جرى:

عن الحارث بن مالك: أنه سأل سعد بن أبي وقاص (أو: سعد بن مالك): هل سمعت لعلي منقبة؟!

١ - راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٥.

٢ - الآية ٤٦ من سورة إبراهيم.

قال: قد شهدت له أربعاً، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا، أُعمرَ فيها مثل عمر نوح: إن رسول الله (ﷺ) بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش، فسار بها يوماً وليلة. ثم قال لعلي: اتبع أبا بكر فخذها وبلغها.

فَرَدَّ عليُّ أبا بكر، فرجع يبكي، فقال: يا رسول الله، أنزل فيَّ شيء؟!!

قال: لا، إلا خيراً، إنه ليس يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني.

أو قال: من أهل بيتي الخ..^(١).

وكان مع أبي بكر، قبل أن يرجع ثلاث مائة رجل^(٢).

خلاصات ضرورية:

ولتوضيح هذه القضية نحتاج إلى إيراد خلاصة جامعة لما جرى فيها، وهي كما يلي:

يظهر من النصوص المتوافرة لدينا: أنه (ﷺ) أمر أبا بكر أن يسير إلى مكة ليقوم للناس حجهم في

سنة تسع، وليبلغ الناس عنه صدر

١- كفاية الطالب ص ٢٨٧ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٥ عن علل الشرايع ص ٧٤ ومقام الإمام علي "عليه السلام" لنجم الدين العسكري ص ٣٦ والغدير للشيخ الأميني ج ١ ص ٤٠ وج ٦ ص ٣٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٤٤٥ وج ١٥ ص ٦٦١ وج ٢٢ ص ٤٢٩ عن مختصر تاريخ دمشق (ط إسلامبول) ج ١٧ ص ١٣٠.

٢- بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٠٩ عن الكامل لابن الأثير.

سورة براءة، بالإضافة إلى قرارات أخرى يريد (ﷺ) أن يلزم الناس بمراعاتها. ويستفاد من مجموع الروايات: أنه (ﷺ) كتب عشر آيات، أو ثلاثين أو أربعين آية من سورة براءة، وكتب أيضاً:

١. أن لا يطوفنَّ بالبيت عريان.
 ٢. لا يجتمع المسلمون والمشركون.
 ٣. ومن كان بينه وبين رسول الله (ﷺ) عهد، فأجله إلى مدته، ومن لم يكن بينه وبينه عهد فأجله إلى أربعة أشهر.
 ٤. إن الله بريء من المشركين وَرَسُولُهُ.
 ٥. لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة (أو إلا من كان مسلماً).
 ٦. لا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا.
 ٧. أن هذه أيام أكل وشرب.
 ٨. أن يرفع الخمس من قريش، وكنانة وخزاعة إلى عرفات^(١).
- والخمس: هي أحكام كانوا قد قرروها لأنفسهم: هي ترك الوقوف بعرفات والإفاضة منها^(٢).

١- تفسير فرات ص ١٦١ وجمار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٠٠ عنه، وراجع: تفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ٨ ص ٨٧.

٢- راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٩٩.

فلما كان أبو بكر ببعض الطريق إذ سمع رغاء ناقه رسول الله (ﷺ)، وإذا هو علي (عليه السلام)، فأخذ الكتاب من أبي بكر ومضى.
ويبدو أن الكتب كانت ثلاثة:
أحدها: ما أشير إليه آنفاً.
والثاني: كتاب يشتمل على سنن الحج، كما روي عن عروة.
والكتاب الثالث: كتبه النبي (ﷺ) إلى أبي بكر وفيه: أنه استبدله بعلي (عليه السلام) لينادي بهذه الكلمات في الموسم، ويقوم للناس حجهم.
وعند المفيد: أنه (ﷺ) قال لعلي: (وخير أبا بكر أن يسير مع ركابك، أو يرجع إليّ).
فاختار أبو بكر أن يرجع إلى رسول الله (ﷺ)، فلما دخل عليه قال: (يا رسول الله، إنك أهلكني لأمر طالت الأعناق فيه إليّ، فلما توجهت له رددتني عنه؟! ما لي؟! أنزل في قرآن؟!)
فقال (ﷺ): لا، الخ..^(١).
وفي نص آخر: فأخبره النبي (ﷺ) بأن جريرئيل جاءه وقال له: إنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه، وهو علي (عليه السلام).

١- الإرشاد ج ١ ص ٦٥ و ٦٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧٥ و ج ٣٥ ص ٣٠٣ عنه، وعن المناقب ج ١ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ والمستجدات من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص ٥٥ ونهج الإيمان لابن جرير ص ٢٤٧ وكشف اليقين ص ١٧٣.

فقرأ علي (عليه السلام) في موقف الحج سورة براءة حتى ختمها كما عن جابر.

وعن عروة: أنه (عليه السلام) أمر علياً (عليه السلام) أن يؤدّن بمكة وبمنى، وعرفة، وبالمشاعر كلها: بأن برئت ذمة رسول الله (عليه السلام) من كل مشرك حج بعد العام، أو طاف بالبيت عريان الخ.. ولهذا الحديث مصادر كثيرة جداً، فراجعه في مظانه^(١).

١- راجع هذا الحديث في المصادر التالية: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٩ و ٢١٠ عن أحمد، وابن أبي شيبه، والترمذي، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وابن حبان، والطبراني، والتراتيب الإدارية ج ١ ص ٧٢ ورسالات نبوية ص ٧٢ و بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ج ٣٥ ص ٢٨٥ . ٣٠٩ . والجامع لأبي زيد القيرواني ص ٣٩٦ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٦ والرياض النضرة ج ٣ ص ١١٨ و ١١٩ و ذخائر العقبى ص ٦٩ و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٣ ص ٩١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٢٢ و ١٢٣ و (ط أخرى) ص ١٥٢ والكفاية للخطيب ص ٣١٣ والسنة لابن أبي عاصم ص ٥٨٩ وكنز العمال ج ٢ ص ٤٢٢ و ٤١٧ و ٤٣١ و ج ١٣ ص ١٠٩ و مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٩ و تفسير المنار ج ١٠ ص ١٥٧ و ١٥٦ والعمدة لابن البطريق ص ١٦٠ وكشف اليقين ص ١٧٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٨ و ج ٧ ص ٣٥٧ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٦٠ و ج ٤ ص ٧٨ و وسيلة المال ص ١٢٢ والجمل للمفيد ص ٢١٩ والكامل لابن عدي (ط دار الفكر) ج ٣ ص ٢٥٦ و ٤١٣ وابن زنجويه ج ١ ص ٦٦٣ والمعجم الكبير ج ١١ = ص ٤٠٠ وفتح القدير ج ٢ ص ٣٣٤ والمناقب للخوارزمي ص ٩٩ و ١٦٥ و ١٦٤ وزوائد المسند ص ٣٥٣ وفوائد السمطين ج ١ ص ٦١ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٨٣ وجامع البيان ج ١٠ ص ٤٤ . ٤٧ . و تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٣٣ والصواعق المحرقة ص ٣٢ و تفسير أبي حيان ج ٥ ص ٦ وإمتاع الأسماع ص ٤٩٩ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ وخصائص الإمام علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩٢ و ٩٣ والأموال لأبي عبيد ص ٢١٣ و ٢١٥ و تيسير الوصول ج ١ ص ١٥٨ وعن الكشف ج ٢ ص ٢٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٠٣ والسنن الكبرى ج ٥ ص ١٢٨ ح ٨٤٦١ و ج ٩ ص ٢٢٤ وكفاية الطالب ص ٢٥٥ و ٢٥٤ و ٢٨٥ عن أحمد، وابن عساكر، وأبي نعيم، وتشبيد المطاعن ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٧٧ و ١٨٢ و تهذيب تاريخ دمشق ج ٣ ص ٨٩ ومسنند أحمد ج ١ ص ٣ و ١٥١ و ١٥٠ و ج ٣ ص ٢١٢ و ٢٨٣ وإرشاد الساري ج ١٠ ص ٢٨٣ وغرائب القرآن (مطبوع بمهامش جامع البيان) ج ١٠ ص ٣٦ وتذكرة الخواص ص ٣٧ وترجمة الإمام علي "عليه السلام" من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣٧٦ و ٣٩٠ والمستدرک علی الصحیحین ج ٢ ص ٣٦١ و ج ٣ ص ٥٢ وينايع المودة ص ٨٩ والطرائف ص ٣٨ و ٣٩ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٣١٨ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٨ ص ٦ و ج ٢٠ ص ٦٨ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٢٥٧ و ٢٥٦ و تفسير النسفي ج ٢ ص ١١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٨ و تفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٩٤ ومطالب السؤل ص ١٧ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٤٦ و ج ٧ ص ٢٨٨ و سنن الدارمي ج ٢ ص ٦٧ و ٢٣٧ = وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٣١٩ والروض الأنف ج ٧ ص ٣٧٤ والكامل في التاريخ ج ١ ص ٦٤٤ والتفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٢١٨ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٥ ص ١٩ و ج ١٥ ص ١٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٦٤٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٤٠ وروح المعاني ج ١٠ ص ٤٤ و ٤٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٢٨ و ج ٢ ص ٤٠٧ وعن ابن خزيمة، وأبي عوانة، والدارقطني في الأفراد، وابن أبي حاتم، و تفسير البغوي (مطبوع مع تفسير الخازن) ج ٣ ص ٤٩ و تفسير الخازن ج ٢ ص ٢٠٣ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٦٥ و ٦٦ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٠٠ و ١٠١ وإعلام الوری ص ١٣٢ وعن غلل الشرايع ص ٧٤ وعن الخصال ج ٢ ص ١٦ و ١٧ ومسنند علي ص ٧٤١.

وقد نظم الشعراء هذه المنقبة شعراً، فقال شمس الدين المالكي المتوفى سنة ٧٨٠هـ:
وأرسله عنه الرسول مبلغاً وحُص بهذا الأمر تخصيص مفرد
وقال: هل التبليغ عني ينبغي لمن ليس من بيتي من القوم فاقتد^(١)
استمرار أبي بكر في مسيره إلى مكة:

اختلفت روايات غير الرافضة! في مسير أبي بكر إلى مكة، أو رجوعه إلى المدينة، فهي على ثلاثة
أقسام:

الأول: لم يتعرض للنفي، ولا لطئبات..

١- الغدير ج ٦ ص ٥٨ و ٣٣٨ عن نفع الطيب ج ١٠ ص ٢٤٤.

الثاني: صرح بمواصلة مسيره إلى مكة، وحج مع علي (عليه السلام)، روى ذلك عن أبي هريرة، وابن عباس، ونسب إلى أبي جعفر أيضاً.

الثالث: تحدث عن رجوع أبي بكر إلى المدينة، وهو المروي عن علي (عليه السلام)، وابن عباس، وأبي هريرة والسدي^(١)، وزيد بن يسع، وأبي بكر نفسه.

وتعبير بعض روايات هؤلاء: بأنه (صلى الله عليه وآله) بعث (براءة) أولاً مع أبي بكر، ثم دعاه فبعث بها علياً (عليه السلام)^(٢).

فيلاحظ: أن أصحاب الرأي الثاني هم ثلاثة فقط، وهم أنفسهم روى رجوعه إلى المدينة، ووافقهم عليه آخرون، حتى أبو بكر نفسه.

فلا يصح ما ادعاه ابن رزمهان، من أن علياً لم يكن أمير الحج، لأنه كان مكلفاً فقط بتبليغ الآيات، مع تواتر الأخبار بأن أبا بكر قد حج في تلك

١- مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٦٨.

٢- راجع: مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨٣ ونحوه في سنن الترمذي في تفسير سورة التوبة. وقال: هذا حديث حسن. وكنز العمال ج ٢ ص ٤٢٢ وراجع: الغدير ج ٦ ص ٣٤٥ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٤٤ وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (بتحقيق الأملي) للعلامة الحلي ص ٥٠٩ و (بتحقيق السبحاني) ص ٢٠٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٢ ص ٤٢٢.

السنة^(١). انتهى.

ولا يصح أيضاً ما ادعاه القاضي عبد الجبار: من أن ولاية أبي بكر على الموسم والحج في تلك السنة قد ثبت بلا خلاف بين أهل الأخبار، ولم يصح أنه عزله..

قال: ولا يدل رجوع أبي بكر إلى النبي (ﷺ) مستفهماً عن القصة على العزل^(٢).

نعم، لا يصح ذلك.

أولاً: لأنه قد ظهر مما ذكرناه آنفاً، أن الأخبار متواترة في رجوع أبي بكر إلى المدينة.. ولم يرو عنهم

مضي أبي بكر مع علي (عليه السلام) إلى مكة سوى ما نسبوه إلى أبي جعفر..

أما رواية أبي هريرة، وابن عباس ذهابه إلى مكة فهي مشكوكة، لمعارضتها بروايتها رجوعه إلى المدينة..

ثانياً: إن مهمة أبي بكر أولاً كانت إقامة الحج وتبليغ الآيات، فما الذي يمنع من أن يتولى علي (عليه السلام)

. بعد رجوع أبي بكر. تبليغ الآيات،

١- دلائل الصدق ج ٣ ق ١ ص ١٨ و ١٩ عن فضل بن روزبهان، وشرح إحقاق الحق (الأصل) ص ٢٢٢.

٢- بحار الأنوار ج ٣ ص ٣١٤ و ج ٣٠ ص ٤١٦ والمغني لعبد الجبار ج ٢٠ ص ٣٥٠ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ١٩٥ والشافي في الإمامة ج ٤ ص ١٥٣.

وإقامة الحج أيضاً؟! فلماذا يريد ابن روزبهان أن يشكك في هذا الأمر..
ثالثاً: لا إجماع على تولية أبي بكر الحج في تلك السنة كما ظهر من رواية علي (عليه السلام)، وابن عباس،
وابن بشير، وأبي هريرة وأبي بكر نفسه، وغيرهم.
وتقدم: أن راوي مواصلة أبي بكر مسيره إلى مكة واحد.
يضاف إلى ذلك: قول الطبرسي عن علي (عليه السلام): (روى أصحابنا أن النبي (صلى الله عليه وآله) ولاه أيضاً الموسم،
وأنه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر^(١).
رابعاً: إن إجماع بعض أهل الأخبار على مسير أبي بكر إلى مكة مع روايتهم رجوعه إلى المدينة عمن
ذكرناهم عن قريب، يؤكد التهمة لهؤلاء الناس، في أنهم يسعون لتحسين صورة أبي بكر، وإبعاد الظنون
والشبهات عنه.

والقول بأن الرجوع إلى المدينة رجوع بهدف الاستفهام، ولا يدل على عدم استئناف سفر جديد إلى
مكة، لإنجاز مهمة الحج بالناس.. مجازفة ظاهرة.. فإن القائلين بذلك لم يدعوا استئناف السفر إلى مكة
وتولي الحج من جديد، بل هم يقولون: إنه رجع إلى المدينة بصورة نهائية.

١- مجمع البيان ج ٥ ص ٩ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٦٦ وج ٣٠ ص ٤١٧ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٣٢١ والتبيان للطوسي ج ٥
ص ١٦٩ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٨٢.

تبدل آراء الأنبياء:

وقد يتساءل البعض فيقول:

كيف يتبنى النبي (ﷺ) رأياً، ويأمر بتنفيذه ثم يعدل عنه؟!

هل لأنه ظهر له خطؤه؟!

ألا يضعف ذلك ثقة الناس بالنبي (ﷺ)، ويخل بمكانته في نفوسهم؟!

ونجيب:

ليست القضية قضية خطأ في الرأي قد بان صوابه، بل كان هناك أمران لا بد من ملاحظتهما، وهما:

١. أن المطلوب كان إرسال أبي بكر إلى المكان الذي أرسل إليه، وأن يرى الناس ذلك.

٢. ثم إرسال علي (عليه السلام) في أثره ليأخذ الكتاب، وأن يرى الناس ذلك أيضاً.

وقد كان الأمران كلاهما بوحي من الله، لا برأي بان خطؤه، لأننا نعلم: أنه (ﷺ) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (١).

وأما المصلحة في ذلك فسياق الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

١ - الآيتان ٣ و٤ من سورة النجم.

لماذا يتبرع أبو بكر؟!:

إذا كان أبو بكر يرغب في جمع الدلائل على أهليته للخلافة، فمن المتوقع: أن يتبرع هو بالذهاب إلى مكة، لا أن ينزعج من اختياره لها، إلا إن كانت خشيته على حياته هي التي أوجبت له هذا الانزعاج..
وحيث نقول:

لقد كان علي (عليه السلام) أولى بهذه الخشية منه، فإنه هو الذي وتر قريشاً، وأسقط هيبتها.
ومن جهة أخرى: إذا كان أبو بكر يخاف على نفسه من أهل مكة، فلماذا ينزعج من إرجاعه؟! لا سيما بعد التوضيح له: بأن سبب إرجاعه هو أن الذي يبلغ عن النبي (صلى الله عليه وآله) شخص له أوصاف لا تنطبق عليه..

سبب إرجاع أبي بكر:

لعل من أسباب إرجاع أبي بكر عن تبليغ رسالة النبي (صلى الله عليه وآله)، وآيات سورة براءة لأهل مكة الأمور التالية:

١ . قد يقال: إن من أهداف ذلك بيان أن أبا بكر لا يصلح للنيابة عن النبي (صلى الله عليه وآله) في أمر الإبلاغ.. ربما لأنه لا يؤدي الأمر بحرفيته التامة، بل يراعي أموراً تجعله يقدم على التغيير والتبديل، وربما تكون هذه الأمور مصالح شخصية، تعود إليه.. ككونه لا يريد جرح مشاعر قومه، ولا إزعاجهم، ولا تصعيب علاقته بهم، أو غير ذلك..

والخلاصة: النبي (صلى الله عليه وآله) يريد تعريف الناس بأن أبا بكر

لا يؤتمن على إبلاغ الرسالة، التي وكل بإبلاغها.. ولذلك لم يقل النبي (ﷺ): أبو بكر لا يقدر على التبليغ، بل قال: لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني..

٢ . وقد يقال: إن من الأهداف أنه لو قام أبو بكر بهذه المهمة لاستغلها هو ومؤيدوه فيما بعد، لادعاء مقامات تضر بسير الأمور كما يريد الله، من حيث إنها تساعد على اغتصاب الخلافة من صاحبها المنصوص عليه من الله ورسوله، وتثير الشبهة حين يدعي أبو بكر: أن هذه الإستنابة في التبليغ تشير إلى أهليته للقيام مقام النبي (ﷺ) في حياته (ﷺ) وبعد وفاته.. وهذا بالذات ما فعلوه، حين زعموا: أنه (ﷺ) صلى بالناس في مرض الرسول، بأمر منه (ﷺ)، مع أن النبي (ﷺ) قد عزله عن تلك الصلاة رغم مرضه الشديد..

صرحت الرواية المنسوبة إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، ووردت في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)، بأن المطلوب هو تصحيح الصورة التي في أذهان ضعفاء المسلمين عن هذا الرجل الذي يرشح نفسه لمقام يفقد المؤهلات له ولما هو أقل منه، ويكون ما جرى بمثابة إشارة لهم على هذه الحقيقة.

تقول الرواية المشار إليها:

إن جبرئيل قال لرسول الله (ﷺ) عن (براءة): (ما أمرك ربك بدفعها إلى علي، ونزعها من أبي بكر سهواً، ولا شكاً، ولا استدراكاً على نفسه غلطاً، ولكن أراد أن يبين لضعفاء المسلمين: أن المقام الذي يقومه

أخوك علي (عليه السلام) لن يقومه غيره سواك يا محمد، وإن جلّت في عيون هؤلاء الضعفاء من أمتك مرتبته،
وشرفت عندهم منزلته^(١).

٤ . قول النبي (صلى الله عليه وآله): لا يؤدي عني إلا أنا، أو رجل مني.. قد يشير إلى أنه ليس من حق النبي (صلى الله عليه وآله) أن يولي أحداً شيئاً من مهمات الإمام بعده، مثل تولية أمر التبليغ عن الله ورسوله غير علي (عليه السلام).. لأن هذا المقام خاص به صلوات الله وسلامه عليه، لأنه هو الحافظ للشريعة، وأحكامها، والكتاب وآياته، وهو المرجع للفقهاء والمبلغين، والمهيمن على حركتهم.
هل هذا من الأسباب أيضاً؟!

وقد يقال: إنه (صلى الله عليه وآله) . بالإضافة إلى ما تقدم . خاف أن يضعف أبو بكر أمام المشركين، خوفاً من أن يغتالوه، أو أن يؤذوه. وهو لا يثق بنصرة أهل مكة له، لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام.
وقد أشار المعتزلي إلى ذلك، فقال: لعل السبب في ذلك، أن علياً (عليه السلام)، من بني عبد مناف، وهم جمرة قريش في مكة، وعلي (عليه السلام) أيضاً شجاع لا يقام له، وقد حصل في صدور قريش منه الهيبة الشديدة، والمهابة العظيمة، فإذا حصل مثل هذا البطل وحوله من بني عمه من أهل العزة، والقوة، والحمية، كان أدعى إلى نجاته من قريش،

١ - بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٩٧ عن التفسير المنسوب للإمام العسكري ص ٢٣١ و ٢٣٢ و (تحقيق مدرسة الإمام المهدي) ص ٥٥٩.

وسلامة نفسه الخ..^(١).

ونجيب:

بأن علماءنا^(٢) ناقشوا في ذلك، فقالوا: لو كان الغرض من استبدال أبي بكر بعلي (عليه السلام) هو سلامة من أرسله رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الأذى كان الأحرى أن يرسل (صلى الله عليه وآله) العباس، أو عقيلاً، أو غيرهما ممن لم يكن لدى قريش حقد عليهم، لأنهم لم يشاركوا في قتل آبائهم، وإخوانهم. وحديث الخوف من شجاعة علي (عليه السلام) لا ينفذ هنا، فإن قريشاً كانت تجترئ على علي (عليه السلام)، وتسعى لقتله في الحروب، وإن كانت تُمنى دائماً بالخزي والخيبة، فهل تكف عنه إذا وجدته وحده في مكة بالذات، وكان معها أئوف من أهل الشرك؟! على أنهم قد زعموا: أن أبا بكر ذهب إلى مكة أميراً على الحاج^(٣)، فلماذا لم يخف من قريش ومن المشركين أن يغتالوه، إذا كان قد خاف من القتل، بسبب حمله لرسالة النبي (صلى الله عليه وآله) إليهم؟!.

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٠٠ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٤٢٣.

٢- راجع: بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٤٢٣.

٣- فتح العزيز ج ٧ ص ٣١ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٤١٨ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٦٠ وتحفة الأحوذني ج ٨ ص ٣٨٧ وجامع البيان للطبري ج ١٠ ص ٧٧ والتفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٢١٩ والمعارف لابن قتيبة ص ١٦٥.

جزع قريش:

وقالوا: لما أذن علي (عليه السلام) (ببراءة) في مكة أن لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام.

جزعت قريش جزعاً شديداً، وقالوا: ذهب تجارتنا، وضاعت عيالنا، وخربت دورنا، فأنزل الله تعالى:

(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ^(١))^(٢).

نعم، إن هذا هو ما يهم أهل الدنيا، وطلاب زخرفها، والمهتمين بزبارجها وبمهارجها، مع أن دعوة إبراهيم الله تعالى بأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى ذلك الوادي، وأن يرزق أهله من الثمرات، كانت أقوى من كل تجاراتهم، وعلاقاتهم، وأوسع وأكبر من كل آمالهم وتوقعاتهم، وبهذه الدعوة يرزقهم الله، لا بكدهم وجدهم، لو كانوا يعقلون..

علي (عليه السلام) يتهدد المشركين:

ويلاحظ هنا: أن الأمور حين إبلاغ سورة براءة قد انقلبت رأساً على

١ - الآية ٢٤ من سورة التوبة.

٢ - بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٩٣ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٨٤ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٢١٦ والتفسير الأصفي ج ١ ص ٤٥٧ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٣٢٩.

عقب، فبدلاً من أن يخاف علي (عليه السلام) المشركين على نفسه، كان هو الذي يتهددهم ويتوعددهم ويتحداهم، حتى لقد أبلغهم سورة براءة وكتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد (لمع بسيفه) (١). وفي نص آخر: (لما دخل مكة اخترط سيفه وقال: والله لا يطوف بالبيت عريان إلا ضربته بالسيف) (٢).

وعن علي (عليه السلام): (فأتيت مكة، وأهلها من قد عرفتم، ليس منهم أحد إلا ولو قدر أن يضع علي كل جبل مني إرباً لفعل، ولو أن يبذل في ذلك نفسه وأهله، وولده، وماله، فبلغتهم رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرأت عليهم كتابه، فكلهم يلقيني بالتهديد والوعيد، وييدي لي البغضاء، ويظهر الشحناء من رجالهم ونسائهم، فكان مني في ذلك ما قد رأيتم) (٣).

١- بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٨ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٣٩.

٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧٥ و ٢٦٧ و ج ٣٥ ص ٢٩٦ وإعلام الوري ص ١٣٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢٤٨ والحدائق الناضرة ج ١٦ ص ٩٤ وجواهر الكلام ج ١٩ ص ٢٧٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٣ ص ٤٠١ و (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٤٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١١ ص ٣٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٥٩٧ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٧٤ وجامع الجامع ج ٢ ص ٤٥ ومجمع البيان ج ٥ ص ٩ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٣٢١ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٨٢ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٥١.

٣- الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣٦٩ وبحار = الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٦ و ج ٣٨ ص ١٧١ والإختصاص للمفيد ص ١٦٨ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٧٨ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٣ ص ١٢٩ وشرح الأخبار ج ١ ص ٣٠٤ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٣٧ وحلقة الأبرار ج ٢ ص ٣٦٥.

وقالوا أيضاً: (لما وصل علي (عليه السلام) إلى المشركين بآيات براءة لقيه خراش بن عبد الله . أخو عمرو بن عبد الله . الذي قتله علي (عليه السلام) مبارزةً يوم الخندق . وشعبة بن عبد الله أخوه، فقال لعلي (عليه السلام): ما تسيرنا يا علي أربعة أشهر، بل برئنا منك ومن ابن عمك، إن شئت، إلا من الطعن والضرب).
 وقال شعبة: ليس بيننا وبين ابن عمك إلا السيف والرمح، وإن شئت بدأنا بك.
 فقال علي (عليه السلام): أجل، أجل، إن شئتم فهلّموا^(١).
 وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): (خطب علي (عليه السلام) الناس: واختط سيفه، وقال: لا يطوفن بالبيت عريان الخ...)^(٢).

١- بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٩٠ و ٣٠٤ وإقبال الأعمال ص ٣٢٠ و ٣٢١ و (ط ايران) ج ٢ ص ٤١ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٩٢ والصورم المهركة ص ١٢٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٤٢٢ ونهج الإيمان ص ٢٥١.
 ٢- بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٩٦ و ٣٠٣ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٧٤ و ٧٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٢٦ . ٣٢٨ . والحدائق الناضرة ج ١٦ ص ٩٤ وجواهر = = الكلام ج ١٩ ص ٢٧٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٣ ص ٤٠١ و (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٤٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١١ ص ٣٢٦ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٥٩٧ وجامع الجامع ج ٢ ص ٤٥ وجمع البيان ج ٥ ص ٩ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٣٢١ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٨٢ وتفسير الميزان ج ٩ ص ١٦٣ .

وعن الامام الصادق (عليه السلام): أخذ علي (عليه السلام) الصحيفة، وأتى الموسم، وكان يطوف على الناس، ومعه السيف، ويقول: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...^(١). فلا يطوف بالبيت عريان بعد عامه هذا، ولا مشرك، فمن فعل، فإن معاتبنا إياه بالسيف. قال: وكان يبعثه إلى الأصنام فيكسرهما، ويقول: (لا يؤدي عني إلا أنا أو أنت)^(٢).

عمر شريك أبي بكر:

والشيء الذي قلما أشار إليه الباحثون هو: أن ثمة نصوصاً تصرح بأن النبي (ﷺ) قد أرسل أبا بكر وعمر معاً ببراءة إلى أهل مكة، فانطلقا، فإذا هما براكب، فقال: من هذا؟! قال: أنا علي. يا أبا بكر هات الكتاب الذي معك.

١- الآيتان ١ و ٢ من سورة براءة.

٢- بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٩٩ وتفسير فرات ص ١٥٩.

فأخذ علي الكتاب، فذهب به، ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة، فقالا: ما لنا يا رسول الله؟! قال: (ما لكما إلا خيراً، ولكن قيل لي: لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك)^(١).
ويؤيد شراكة عمر لأبي بكر في هذا الأمر: أن بعض الروايات صرحت: بأن النبي (ﷺ) قد عرض حمل الكتاب إلى المشركين على جميع أصحابه، فكلهم تناقل عن حملة، والمضى به إلى مكة، فندب منهم رجلاً فوجهه به^(٢).
وهذا يدل على أن عمر كان ممن تناقل في الإستجابة لطلب الرسول (ﷺ)، ولأجل هذا التناقل الظاهر من الناس، كان لا بد للنبي (ﷺ) من أن يفرض على رجل بعينه القيام بذلك.. وهكذا كان.. وقد اختار (ﷺ) خصوص الذين لهم دعاوى عريضة، ويسعون للإستيلاء على أمر الأمة، وإبعاد صاحبه الشرعي.. وجرى ما جرى.
وشارك عمر أبا بكر فيما ترتب على إرجاعه من آثار، وما يمكن أن يكون له من دلالات كما شاركه في المسير.

١- المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٥١ وتخریج الأحادیث والآثار ج ٢ ص ٥٠ وشواهد التنزیل ج ١ ص ٣١٨ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ١٢٤.

٢- الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٦ وج ٣٨ ص ١٧٢.

واللافت هنا: أن عمار بن ياسر هو الآخر قد شارك علياً (عليه السلام) في المسير إلى مكة، ولكن الناس يقتصرون على ذكر علي (عليه السلام) وقلما يذكرون عماراً.. تماماً كما يذكرون أبا بكر في حملة سورة البراءة ولا يذكرون عمر الذي كان معه أيضاً، لأن أنظار هؤلاء وأولئك تكون مشدودة للأهم من الرجلين.. ولا ندري لماذا تتناقل عمر أولاً، ثم عاد فذهب مع أبي بكر ثانياً.. مع العلم: بأن امتناع عمر عن تلبية طلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن هو المرة الأولى، فإنه في غزوة الحديبية امتنع أيضاً عن امتثال أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له بالذهاب إلى مكة ليبلغ أشراف قريش بما جاء له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي^(١).

١- راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٨ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٣٨ عنه، وعين العبرة في غبن العترة لأحمد آل طاووس ص ٢٤ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٧ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٣١٠ وجامع البيان للطبري ج ٢٦ ص ١١١ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٤٧ وتفسير البغوي ج ٤ ص ١٩٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٠ و ٢١٠ وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٢٥٤ والثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٧٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩١ وعيون الأثر ج ٢ ص ١١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦.

متى أرسل النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام)؟!:

وتقدم قول بعض الروايات: إن أبا بكر إنما سأل النبي (ﷺ) عن سبب إرسال علي (عليه السلام) إلى مكة، بعد أداء مناسك الحج، وذلك للإيهام بأن أبا بكر قد ذهب هو وعلي (عليه السلام) إلى مكة.. فلما رجعا استفهم عن سبب إلحاق علي به، ليحمل الرسالة دونه..

مع أن الأمر جرى على خلاف ذلك، لما يلي:

ألف: تقدم: أن الروايات - باستثناء واحدة منها - تصرح: بأنه حين أخذ علي (عليه السلام) الرسالة من أبي بكر، وتوجه إلى مكة، رجع هو إلى المدينة.

وفي بعضها: أن النبي (ﷺ) أمر علياً بأن يرد أبا بكر.

وبعد اتفاق الروايات تقريباً على رجوع أبي بكر، فإن اختلافها فيما بينها في بعض الخصوصيات، يمكن معالجته بأدنى تأمل..

ب: لو قبلنا بأن أبا بكر واصل طريقه إلى مكة، فذلك لا يعني أنه هو الذي حج بالناس، إذ يمكن أن يكون قد حج تحت إمرة علي (عليه السلام) أيضاً.

ج: ويمكن أن يستدل على ذلك أيضاً بقولهم: إنه (ﷺ) لم يؤمر على علي (عليه السلام) أحداً طيلة حياته..

أهلية أبي بكر للخلافة:

هذا، وقد استدل علماء الشيعة بهذه الواقعة على عدم صلاحية أبي بكر للخلافة، فضلاً عن الإمامة، فقالوا: من لم يصلح لأداء سورة واحدة إلى أهل بلدة. فهو لا يصلح للرئاسة العامة، المتضمنة لأداء جميع الأحكام إلى

عموم الرعايا في سائر البلاد^(١).

أضاف الشريف المرتضى (رحمته الله) قوله: (لو سلمنا أن ولاية الموسم لم تنسخ لكان الكلام باقياً، لأنه إذا كان ما ولي . مع تطاول الأزمان . إلا هذه الولاية، ثم سلب شطرها، والأفخم والأعظم منها، فليس ذلك إلا تنبيهاً على ما ذكرنا)^(٢).

ويؤكد ذلك: أن الذي أوكلت إليه المهمة، وهو علي (عليه السلام)، كان خطر تعرضه لغدر الحاقدين عليه كبيراً جداً، أما أبو بكر الذي أعفي من المهمة، فقد تقدم: أنه كان أكثر مقبولية عندهم، والخطر عنه أبعد بسبب مواقفه الإيجابية، تجاه أسراهم، لأنه لم يتعرض أحد منهم لأي خطر من قبله مهما صغر.. ولغير ذلك من أسباب..

علي (عليه السلام) وعمار:

عرفنا: أن عماراً (رحمته الله) رافق علياً (عليه السلام) إلى مكة، ويقول النص: إن فلاناً وفلاناً انزعجا من إرسال علي (عليه السلام)، وأجبا أن يرسل من هو أكبر منه سنأ، وقالوا: بعث هذا الصبي؟! ولو بعث غيره إلى أهل مكة، وفي مكة صنديد قريش ورجالها، والله، الكفر أولى بنا مما نحن فيه.

١- راجع: بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢١١ وج ٣٥ ص ٣١٠ ومنهاج الكرامة ص ١٨١ ونهج الحق ص ٢٦٥ وشرح إحقاق الحق (الأصل) ص ٢٢٢.

٢- الشافي في الإمامة ج ٤ ص ١٥٥ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٤١٧ عنه، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ١٩٧ والصوارم المهركة ص ١٢٦.

ثم إنهما سارا إلى علي وعمار وخوفاهما بأهل مكة، وغلظا عليهما الأمر، وقالا لهما: إن أبا سفيان،
وعبد الرحمان، وعبد الله بن عامر، وأهل مكة قد جمعوا لهم.
فقال علي (عليه السلام): حسبنا الله ونعم الوكيل.

ومضيا، فلما دخلا مكة أنزل الله تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ إِنَّا نَكْفُرُونَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَأَخْشَوْهُمْ فَرَّادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ
وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (١).
ونقول:

١ . لعل انزعاج فلان وفلان قد كان بعد تناقلهما أولاً، وبعد الإنتداب القسري لأبي بكر للمهمة، ثم
عزله عنها، حيث فاجأهما هذا العزل، وأزعجهما أن يكون علي (عليه السلام) هو البديل، واستفاقا على ضربة
معنوية هائلة، وموجعة جداً، فأحبا تدارك الأمر، ولو بأن يعلن علي (عليه السلام) انصرافه، أو ترده، وخوفه،
بسبب تخويفهما إياه بجمع الناس..

كما أن نفس إظهار شيء من الحرص منهما على تولى هذه المهمة قد يعيد شيئاً من الإعتبار لمن
فقدته، مهما كان قليلاً وضئيلاً..

٢ . ماذا نقول لرجلين يريان الكفر أولى من الإيمان، لأجل أمر لا حقيقة له، بل هو أمر أرعن وتافه،
وهو أن ذا السن الجاهل والقاصر

١ - الآيتان ١٧٣ و ١٧٤ من سورة آل عمران.

التفكير، والجبان، والناقص الإيمان، والذي يعاني من الكثير الكثير من العاهات، والنقائص لا بد أن يقدم على الأصغر منه سناً.

رغم أن الأصغر أشرف الخلق وأفضلهم، وأكرمهم، وأعلمهم، وأتقاهم وأحكمهم، وأعقلهم، وأشجعهم، وأصحهم إيماناً و يقيناً، وأكملهم في كل شيء..

مع العلم: بأن معادلة السن لو صحت لبطلت خلافة أبي بكر، لأن أباه كان حياً حين استدل على هذا الأمر، بالإضافة إلى وجود عشرات أو مئات من الصحابة كانوا أسن منه.

بل لو صح ذلك، لبطلت كل خلافة ورياسة، بل كل إمامة ونبوة، حتى نبوة أولي العزم لآلهم جميعاً كان في قومهم من هم أسن منهم..

وكذلك الحال بالنسبة لنبينا الأعظم (ﷺ) فإن عمه العباس وكثيرين غيره كانوا أسن منه (ﷺ)..

٣ . لا ندري كيف يجيز مسلم لنفسه ترجيح الكفر على الإيمان، لأجل تقديم الأصغر سناً على الأكبر، وما الذي عرف ورأى من هنات في الإسلام والإيمان حتى أصبح عنده رخيصاً، ومحتقراً، ويريد التخلص منه، وتنزيه نفسه عنه؟!!

عودة علي (عليه السلام) حدث ودلالة:

تقول رواية لخصناها:

إن علياً (عليه السلام) انصرف إلى المدينة يُقصد في السير، وأبطأ

الوحي عن النبي (ﷺ) في أمر علي (عليه السلام)، وما كان منه، فاغتم لذلك غمًا شديدًا..
وكان من عاداته (ﷺ) أنه إذا صلى الغداة استقبل القبلة، واستقبل علي (عليه السلام) الناس خلف النبي
(ﷺ)، فيستأذنون في حوائجهم، وبذلك أمرهم (ﷺ).
فلما غاب علي (عليه السلام) إلى مكة لم يجعل أحداً مكان علي (عليه السلام)، بل كان هو نفسه
(ﷺ) يستقبل الناس.
فأذن للناس.. فاستأذنه أبو ذر، فأذن له. فخرج يستقبل علياً (عليه السلام)، فلقيه ببعض الطريق، فالتزمه
وقبله، وسبقه إلى رسول الله (ﷺ) وبشره بقدمه، فقال النبي (ﷺ) لأبي ذر: (لك بذلك الجنة)^(١).
ثم ركب النبي (ﷺ) وركب معه الناس، فلما رآه أناخ ناقته، ونزل رسول الله (ﷺ)، فتلقاه، والتزمه
وعانقه، ووضع خده على منكب علي (عليه السلام).
وبكى النبي (ﷺ) فرحاً بقدمه. وبكى علي (عليه السلام) معه..
ثم سأله عما صنع، فأخبره، فقال (ﷺ): (كان الله عز

١ - إقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٤٠ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٩.

وجل أعلم بك مني حين أمرني بإرسالك^(١)..

ونقول:

لفت نظرنا في هذا النص أمور عديدة، فلاحظ منها ما يلي:

- ١ . إن النظام الذي تحدثت الرواية أنه كان قائماً بالنسبة لاستئذان الناس نبيهم ليذهبوا في حوائجهم، يشير إلى شدة الضبط والإنضباط الذي يهيء للقائد الإشراف المباشر والدقيق على حركة الناس معه، ويعطيه القدرة على التصرف ووضع الأمور في مواضعها، وفق معطيات دقيقة، ومعرفة تفصيلية، وإشراف على النتائج، وسيكون قراره متوافقاً مع الظروف الموضوعية القائمة، ومتوافقاً مع معطيات النجاح والفلاح.
- ٢ . إن هذا الإجراء من شأنه أن يبلور بصورة عفوية شعوراً لدى كل فرد بارتباطه الفعلي والمستمر بقائده ورائده، ويعطيه المزيد من الشعور بالقيمة والأهمية لحضوره ولوجوده، ولحركتهم معه.. وتأثيره في المنظومة العامة. كما أنه يبعث فيه حيوية، تدفعه للتأثير الإيجابي والفاعل..
- ٣ . وقد أظهر النبي (ﷺ) إهتماماً بالغاً بسلامة علي (عليه السلام)، حتى صار همّ أبي ذر منصرفاً إلى التعجيل باستجلاء خبر علي (عليه السلام)، ليدخل السرور على قلب الرسول، معتبراً ذلك من أعظم القربات. وقد ظهر مصداق ذلك بالمكافأة التي تلقاها من النبي (ﷺ)

١ - بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٨ - ٢٩٠ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٤٠.

على بشارته بقدمه (عليه السلام)، وهي قوله له: (لك بذلك الجنة). وهي مكافأة لم يكن يتوقعها أبو ذر، ولا أحد ممن حضر وسمع، لأنهم لم يعرفوا علياً (عليه السلام)، ليعرفوا قيمته عند الله وعند رسوله (صلى الله عليه وآله).. وهو ما أشار إليه (صلى الله عليه وآله) بقوله: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا)^(١). والمراد المعرفة التامة، أو فقل: معرفته حق معرفته..

٤ - إن استقبال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) كان فريداً لم ير منه مثله، حتى حين قدم عليه جعفر من الحبشة، حيث استقبله (صلى الله عليه وآله) بخطوات. ولكنه بالنسبة لعلي (عليه السلام) خرج من المدينة، وركب راحلته، وسار ما شاء الله أن يسير لاستقباله، ثم هو يضع خده على منكب علي (عليه السلام)، ويكي علي (عليه السلام)، ويكي النبي (صلى الله عليه وآله) فرحاً بقدمه.

١ - راجع: مختصر بصائر الدرجات ص ١٢٥ والمختصر للحلي ص ٧٨ و ٢٨٥ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٤٣٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ١٨٢ وتأويل الآيات ج ١ ص ١٣٩ و ٢٢١ ومشارك أنوار اليقين ص ١٧٢ ومكيال المكارم ج ١ ص ٣٦٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٨٤.

الفصل الخامس: أقاويل.. لا مبرر لها..

نحن في حيرة من أمرنا:

وزيد ان نعترف هنا: أننا في حيرة شديدة من أمرنا في أبي بكر، فإن محبيه، إذا رأوا أن إظهار الفخامة والعظمة هو المفيد له، يجعلون حتى فراره من الزحف شجاعة، وابتعاده عن المعركة في بدر رياسة، ويدعون: أن من دلائل عظمته وشجاعته إقناعه عمر بن الخطاب بموت رسول الله (ﷺ)، وينسبون له نفوذ الكلمة والإحترام والرياسة بين المشركين في مكة، فلم يعذبه المشركون لمكانته فيهم، ولم يمنعوه من إقامة المسجد من أجل ذلك، كما أن قريشاً تبذل فيه مائة ناقة لمن يمكنها منه حين الهجرة، كما بذلت في رسول الله (ﷺ).

وعلى هذا فقس ما سواه.

وإذا احتاجوا لتخليصه من بعض المآزق إلى ادعاء ضعفه، وخوفه، وكونه بلا نصير، ولا عشيرة، ولا ظهير.. فإنهم يبادرون إلى ذلك، ويبالغون فيه ما شاءوا، وبلا رقيب ولا حسيب!!
من بدع الرافضة:

وقد تقدم: أن بعضهم زعم: أن حديث عزل أبي بكر عن الحج من بدع الرافضة..

وهذا كلام سيق على سبيل التهمة لجماعة كبيرة سماها الرافضة.. وصحته وفساده مرهون بما تثبته الوقائع والأدلة..

وسنرى: أن الروايات والشواهد من طرق محيي أبي بكر أنفسهم متضافرة على صحة ووقوع ما ادعى أنه من بدع الرافضة، باستثناء رواية واحدة أوردها محبوب أبي بكر هي التي لا بد أن تبقى في قفص الإتهام، إن لم نقل: إنها موصومة بوصمة الإختلاق والإبتداع..

الثناء على أبي بكر في سورة البراءة:

ادعى بعض محيي أبي بكر: أن سبب أخذ الآيات من أبي بكر هو أن سورة براءة تضمنت ثناء عليه، فأحب أن يكون على لسان غيره.. إن المتأمل بالآيات التي ذكرت كلب أهل الكهف، والآيات التي ذكرت أبو بكر يتيقن أن كلب أهل الكهف أولى بالفخر من أبي بكر وأتباعه الذين هم أولى بالخزي. ونقول:

أولاً: إنه يقصد بالثناء على أبي بكر قوله تعالى (ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(١) وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) حين الحديث عن الهجرة: أن هذه الآية تضمنت

١- الآية ٤٠ من سورة التوبة.

شواهد عديدة، على أنها في مقام الدم، والتأنيب، والإدانة. فإن صاحبه يحزن ويخاف رغم أنه يرى المعجزات والكرامات تتوالى وهي تدل على أن الله حافظ لنبيه، فهو يرى نسج العنكبوت، والشجرة تنبت على باب الغار والحمامة الوحشية تبيض، وغير ذلك.

ويحاول النبي (ﷺ) أن يهدئه ويطمئنه، ثم تنزل الآية بنزول السكينة على الرسول، وإخراجه هو منها، مع أن أبا بكر هو الحزين الخائف، وتصريح بأن الله سبحانه أيد رسوله بجنود لم يروها. ولم تأت على ذكر صاحبه في ذلك.

ومن كان هذا حاله، فإنه يحتاج إلى المزيد من العمل لتأكيد يقينه، وبلورة إيمانه..
ثانياً: إن الآيات التي أرسلها النبي (ﷺ) إلى مكة إن كانت عشراً، أو عشرين أو ثلاثين، فليست آية الغار من بينها، لأنها هي الآية الأربعون في تلك السورة.

ثالثاً: لو سلمنا أن آية الغار كانت من بين الآيات المرسلة، فيرد السؤال عن السبب في عدم التفات النبي (ﷺ) إلى هذا الأمر قبل أن يرسل أبا بكر!

وسؤال آخر عن السبب في تأخر نزول الوحي إلى حين خرج أبو بكر، وسار في البراري والقفار، باتجاه مكة، مع العلم بأن المسير إلى مكة يحتاج إلى تهيئة الأسباب، والإستعداد الذي يحتاج إلى بعض الوقت الذي يتسع ولا شك لنزول الوحي بتصحيح القرار، وحفظ ماء وجه أبي بكر؟!.

تأول بارد، ورأي سقيم كاسد:

وزعموا: أن السبب فيما جرى هو أن العقود والعهود لا يجلها إلا المطاع، والعاقدها، أو رجل من أهل بيته^(١).

ونجيب:

أولاً: بأن المهمة التي أوكلت إلى أبي بكر أولاً، ثم علي ثانياً لم تكن نقض عهد، ولا حل عقد. ثانياً: لو كان الأمر كذلك، فلماذا أرسل (عليه السلام) أبا بكر أولاً، فإنه (عليه السلام) كان عارفاً بالرسوم والأعراف في زمانه، كما كان يعرفها غيره..

ثالثاً: دعوى أن العهد لا ينقضه إلا من عقده، أو رجل من أهل بيته، لا تصح، فقد قال المعتزلي: (وما نسب إلى عادة العرب غير معروف، وإنما هو تأويل تأول به متعصبوا أبي بكر، لانتزاع براءة منه، وليس بشيء)^(٢).

ولم نسمع أن أحداً توقف في نقض عقد أو عهد حتى يبلغه إياه عاقده، أو أحد أقاربه^(٣).

-
- ١- راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٤٥ عن فضل بن رويحان، وبقية المصادر تقدمت في بداية الحديث عن تبليغ سورة "براءة".
 - ٢- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٠٠ وراجع: بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٤٢٢ وج ٣٥ ص ٣١٢ عنه.
 - ٣- الشافي في الإمامة ج ٤ ص ١٥٠ والصرط المستقيم ج ٢ ص ٦ وبحار الأنوار ج ٣ ص ٣١٩.

على أننا قد ذكرنا: أنه ليس ثمة نقض عهد، بل الآية في سورة التوبة تأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم.
رابعاً: لو صح قول هؤلاء، فلماذا يخاف أبو بكر من أن يكون قد نزل فيه شيء؟!
خامساً: ما معنى أن يعترض أبو بكر على النبي (ﷺ) بالطريقة التي تقدمت. فإنها أظهرت حالة تمرد
من أبي بكر على الرسول (ﷺ)، فلاحظ قوله: ما لي؟! أنزل في قرآن؟!.
ويشير إلى ذلك أيضاً قوله: إنك أهلتني لأمر طالت إليه الأعناق، فلما توجهت له رددتني عنه!!
وما معنى أن يهتم أبو بكر بالجاه والمقام الدنيوي، كما دل عليه قوله: (أهلتني لأمر طالت إليه
الأعناق)؟!

وما معنى سؤاله عن نزول القرآن فيه، هل كان يخفي شيئاً يخشى أن يظهره القرآن؟!
سادساً: لماذا لم يعترض أبو بكر من بداية الأمر على انتداب النبي (ﷺ)، ويذكره: بأن المشركين لا
يرضون بنقض عهدهم، لأن هذا النقض لا بد أن يكون منك أو من أحد أقاربك، فإن أعراف العرب تمنع
من إرساله؟!

كما أن أحداً من الصحابة لم يبادر إلى لفت نظر النبي (ﷺ) إلى هذا الأمر..
سابعاً: لو صح ذلك، فلماذا قال رسول الله (ﷺ): (لا

يؤدي عني إلا أنا أو علي)؟! روي ذلك عن يحيى بن آدم السلولي، وعن حبشي بن جنادة، وحفش، وعمران، وأبي ذر الغفاري، وروي أيضاً عن ابن عباس.

فلو كان (ﷺ) يريد الأخذ بأعراف الجاهلية لم يصح منه حصر الأمر به وبعلي (عليه السلام)، بل لا بد من تعميمه لجميع أقاربه..

فإن قيل: الصحيح هو ما روي عنه (ﷺ): لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني، أو من أهل بيتي^(١).

١- راجع: المناقب للخوارزمي ص ١٦٥ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٨٩ وشرح الأخبار ج ٢ ص ١٧٩ وراجع ج ١ ص ٩٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٤٥٣ وبحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٥ وراجع ص ٢٩٢ و ٣٠٧ و ج ٢١ ص ٢٦٦ و ج ٣٠ ص ٤١١ و ٤١٩ و ج ٣٤ ص ٢٢١ و ج ٩٠ ص ١٢٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٤٤ وتفسير البحر المحيط ج ١ ص ٦٧٢ وراجع ج ٥ ص ٩٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٧٢ والإستغاثة ج ٢ ص ١٦ وتنبية الغافلين ص ٧٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٧ ومستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٣١٥ والطرائف لابن طاووس ص ٣٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٦٦ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٧ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٠٨ وراجع ص ٣١٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٧٨ وراجع ١٨٢ وجامع البيان ج ١٠ ص ٨٤ وراجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٩ وأنساب الأشراف ص ١٠٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي = ج ١ ص ٤٧١ والصوارم المهركة ص ١٢٥ ومناقب أهل البيت "عليهم السلام" للشيرازي ص ٤٦٠ و ٤٦١ والغدير ج ٦ ص ٣٤٦ و ٣٥٠ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٩٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٢٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٩٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٧ ص ٢٨٨ و ٢٩١ و ج ١٧ ص ١٩٥ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٤٩ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٨٢ و ٣٤١ و ٤٢٠ ومجمع البيان ج ٥ ص ٨ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ٢٥١ وخصائص الوحي المبين ص ١٦٧ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٣٢٠ وتفسير الميزان ج ٩ ص ١٦٢ و ١٦٨ وتهجد الأوائل ص ٥٤٦ وتفسير النسفي ج ٢ ص ٧٧ والتفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٢١٨ وتفسير البيضاوي ج ٣ ص ١٢٨.

ويجاب:

أولاً: لا دليل على صحة هذه الرواية، وكذب تلك.

ثانياً: لا مانع من أن تكون الروايتان رواية واحدة بأن يكون قد قال: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني، وهو علي مثلاً.. أو يكون قد قال ذلك في مناسبتين، ليعرف الناس أن المقصود بمن هو من أهل بيته خصوص علي (عليه السلام)..

المؤاخذة على النوايا:

قد يقال: إن أبا بكر حين حمل الآيات إلى مكة لم يرتكب ذنباً، فلماذا يعاقبه الله ورسوله على هذا النحو، الذي يحمل معه فضيحة كبرى له أمام الناس، وهي تظهر ضعف أبي بكر، أو توجب التشكيك بأمانته، أو نحو ذلك؟! وهل

تصح العقوبة قبل الجناية؟! أو هل تصح العقوبة على النوايا؟!.

ونجيب:

أولاً: قد يقال في الجواب: إن أبا بكر كان يجري إتصالات، ويدبر مع غيره لإبعاد الخلافة بعد رسول الله (ﷺ) عن صاحبها الشرعي، المنصوص عليه، وكفى بذلك ذنباً يستحق عليه العقوبة من الله ورسوله. كما أن من حق أهل الحق أن يدبروا لإفشال المساعي التي تبذل لتضييع الحق، وإلقاء الأمة في متاهات الأهواء.

بل قد تكون هناك نوايا يجب أن تظهر، وقد علم بما علام الغيوب، وأراد إظهارها بهذه الطريقة. ثانياً: إن من الحق والخير للناس أن يمتحن الله ورسوله أولئك الذين يرشحون أنفسهم لمقامات خطيرة وحساسة تؤثر على مصير الأمة بأسرها.. لكي تظهر قدرات هؤلاء الناس، وملكاتهم، وخصائصهم، ونواياهم أيضاً، حتى لا يحملهم الناس ما لا طاقة لهم به، أو حتى لا يستجيب لهم الناس إذا دعواهم إلى مساعدتهم في الوصول إلى أهداف لا يحق لهم الوصول إليها، وقد يوجب وصولهم هذا بلاءات كبيرة، وإخفاقات خطيرة عليهم وعلى غيرهم.

وقد أخفق أبو بكر في هذا الإمتحان، فإنه حين أرجعه النبي (ﷺ) ظهر ضعفه، وتجلت معانٍ لا تليق بمن يطلب ما يطلبه هذا الرجل، فقد بكى، وانزعج، واهتم واغتم، وعاتب واشتكى، وأكثر الكلام

على رسول الله (ﷺ) .. ولم نره رضي بما رضيه له الله ورسوله، ولم يسلم له تسليماً.
وكان أبعد الناس عن القاعدة التي أطلقتها الحوراء زينب صلوات الله وسلامه عليها: (رضا الله رضانا
أهل البيت)^(١).

وإنما كان يتعامل مع ما يجري على قاعدة: كاد المرئيب أن يقول خذوني، فقد كان خائفاً من أن يكون
قد نزل في حقه شيء..

مع أن المفروض بمن يعلم أن الله تعالى أعدل العادلين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.. أن يعرف أن
الله لا يظلمه، وأن رسوله لا يحيف عليه، فلو لم يكن قد صدر ما يخشى المؤاخذة عليه، أو فضح أمره فيه
لم يكن معنى لخوفه، ولا لسؤاله، ولا .. ولا .. إلخ..

ولعل مما يدل على ذلك: أن الرواية عن علي (عليه السلام) تذكر: أن أبا بكر كان قد تناقل عن حمل
الكتاب كما تناقل غيره، حتى لجأ النبي (ﷺ) إلى فرض ذلك عليه، وإلزامه به^(٢).
إن التناقل عن حمل الكتاب حتى لو كان حياً بالراحة لعدم وجود

١- راجع: بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٧ واللهور لابن طاووس ص ٣٨ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٣٩ ومعارج الوصول ص ٩٤ ومثير
الأحزان ص ٢٩ ولواعج الأشجان ص ٢٣٩ و ٧٠ ونزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص ٨٦ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين
ص ٢٠٧ عن مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٦.

٢- الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٨٦ وج ٣٨ ص ١٧٢.

خطر من المشركين على أبي بكر. لا بد أن يجعل أبي بكر يفرح حين يتم الإستغناء عنه.. وسيزيد ارتياحه حين يسأل النبي (ﷺ) إن كان قد نزل فيه شيء، فأجابه (ﷺ) بالنفي، حيث إن تحويل المهمة عنه إلى غيره، لم يكن لأجل أن قرآنًا نزل بدمه.

لا يؤدي عنك إلا علي:

وقد يقال أيضاً:

إذا كان لا يؤدي عن النبي (ﷺ) إلا هو أو علي (أو رجل منه)، فما معنى أن يرسل عشرات الكتب إلى الملوك، وإلى الأشخاص والقبائل، والبلاد والجماعات مع أشخاص من فئات شتى، ليسوا من أهل بيته أصلاً، فإن هذا تبليغ عنه.

ويجاب:

أولاً: لعل المقصود أن أبا بكر لا يؤدي عن النبي (ﷺ) في خصوص هذا المورد الذي يحتاج إلى حزم وصلابة، وإصرار واقتدار، وعزة ومهابة، لا يملكها سوى علي (عليه السلام) حتى كان الطرف الآخر هم قومه. ثانياً: المقصود: التبليغ عنه فيما هو من شأنه كمبلغ عن الله، مما يرتبط بالشرعية والكتاب الذي له مساس بالإمامة من بعده، فإن إبرام العهود والمواثيق التي تحدثت الآيات في سورة براءة عنها، وعن تعاهدها بالوفاء، وعقاب ناقضها هي من صلاحيات النبي (ﷺ)، ثم الإمام من بعده، وأين هذا الأمر من بعث الرسل في الحاجات المختلفة إلى هذه

الجهة أو تلك؟!

وبعبارة أكثر تفصيلاً: إن حامل الآيات يريد أن يعلن الحرب على من يصر على انتهاك حرمة المسجد الحرام بعد ذلك العام، وإبلاغ قرارات حازمة وحاسمة فيما يرتبط بالشأن العام، بما في ذلك إبطال سنن الجاهلية فيما يرتبط بعرفات.. وإنذار المشركين، وإعطائهم مهلة أربعة أشهر، وأنه لا تجديد لعهد مشرك. وهي قرارات تمس النبي (ﷺ) والخليفة من بعده مباشرة.. ولا بد من قطع أمل المشركين بالحصول على أي امتياز يقوي موقعهم.

ولعلمهم يطمعون بالحصول على بعض التساهل من الخليفة بعد رسول الله إن كان فلان من الناس هو الخليفة، ولا سيما إذا كان قد عاش الشرك ومارسه طيلة عشرات السنين، فإنه لن يكون قادراً على اقناعهم ببراءته الحقيقية مما كان عليه، ولن يكون لكلامه ذلك التأثير فيهم.

أما إن كان الخليفة هو ذلك الذي قصم ظهر الشرك، وأبار أحلامهم، وأبطل كيدهم، فإن الأمر سيكون مختلفاً، لا سيما وأن علياً هو أخو الرسول، وهو منه بمنزلة هارون من موسى، فأرساله بهذه الرسالة إليهم سيقصم ظهورهم، ويميتهم في حسرتهم، ويقطع دابر كل أمل لهم.

ويؤكد هذه الحقيقة الشواهد التالية:

ألف: تقدم: أن بعض الروايات عن علي (عليه السلام) تقول: إنه (ﷺ) كتب الكتاب، وعرض على جميع

أصحابه المضي به إلى

المشركين، فكلهم يرى التناقل فيهم، فلما رأى ذلك ندب منهم رجلاً، فوجهه به، فأتاه جبرئيل (عليه السلام)، فقال: يا مُجَّد، لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فأنبأني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك، ووجهني بكتابه ورسالته إلى مكة الخ..^(١).

ب: صرحت بعض نصوص الرواية بأكثر من ذلك، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: لما سرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر بأول سورة (براءة) إلى أهل مكة أتاه جبرئيل (عليه السلام)، فقال: يا مُجَّد، إن الله تعالى يأمرك أن لا تبعث هذا، وأن تبعث علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وإنه لا يؤديها عنك غيره..

فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلحقه، فأخذ منه الصحيفة، وقال: ارجع إلى النبي. فقال أبو بكر: هل حدث في شيء؟!.

فقال: سيخبرك رسول الله.

فرجع أبو بكر إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله، ما كنت ترى أنني مؤد عنك هذه الرسالة؟!.

١- الخصال ج ٢ ص ٣٦٩ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٦ وح ٣٨ ص ١٧١ ومصباح البلاغة (مستدرک نصح البلاغة) ج ٣ ص ١٢٨ وشرح الأخبار ج ١ ص ٣٠٤ والإختصاص للمفيد ص ١٦٨ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٣٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٦٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٧٨.

فقال له النبي (ﷺ)، أبا الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام).
فأكثر أبو بكر عليه من الكلام، فقال له النبي (ﷺ): كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار؟! (١).
فإن قوله الأخير: (كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار)، قد جاء على سبيل التقرير والتشنيع والذم،
وبيان السبب والمبرر لهذا الإجراء.

ولعل الوجه في ذلك: أن أبا بكر كان في الغار خائفاً فزعاً، إلى حد أن هذا الجزع كان له من الأثر
السلبي الخطر وما أوجب نزول قرآن يندد به، ويتلى إلى يوم القيامة.. مع أنه كان يرى الآيات الدالة على
حفظ الله تعالى لنبيه (ﷺ)، مثل نسج العنكبوت، ونبات شجرة السدر، ووضع الحمامة الوحشية
بيضاها، ووقوفها على باب الغار.

ومع وجوده إلى جانب النبي (ﷺ).

ومع تطمينات نبي الرحمة له.

ومع عدم علم أحد من المشركين بمكانهما. و.. و.. إلى غير ذلك مما يشير إلى أنه في مأمن.. ولكنه
بقي مرعوباً وخائفاً إلى هذا الحد، فكيف سيكون حاله إذاً أمام مئات أو ألوف من الناس، ممن يعرفون
مكانه، وهو في بلدهم وفي قبضتهم، وجموعهم تحيط به، وليس النبي (ﷺ) إلى جانبه، ليهدئ من روعه،
وهو ليس ممن تظهر الآيات والمعجزات

١ - إقبال الأعمال ج ٢ ص ٣٩ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨٨.

المطمئنة له .

مع العلم: بأن أولئك القوم قد أصبحوا موتورين من الإسلام، الذي قتل صناديدهم، وآباءهم، وإخوانهم، وأبناء عشائرتهم، وفتح بلادهم، وغنم أموالهم..

ج: لماذا يخاف أبو بكر من أهل مكة، فإنه لم يكن له أثر في ساحات القتال والنزال، بل كان من الفرارين، أو كان على رأسهم في كل موقع فر فيه أولئك الضعفاء كما جرى في أحد، وقريظة، وخيبر، وحنين، وذات السلاسل، وفدك و.. و..

وكان هو الساعي لفك أسرى المشركين في بدر.. ثم كان من المتخاذلين يوم عمرو بن عبد ود، ومن المخذلين يوم بدر، ولم يعرف له قتيل ولا جريح في أي من الحروب التي واجهها المسلمون في حياة الرسول. على أنهم قد زعموا في مقابل ذلك: أن أبا بكر لم يتعرض للتعذيب في مكة، لأنه كان محبباً للمشركين، مقرباً إليهم.. وهو أول من بنى مسجداً في بني جمح . على حد زعمهم . في الوقت الذي كان المسلمون يعذبون فيه حتى الموت، نساء ورجالاً، كما جرى لياسر وسمية والدي عمار رضوان الله تعالى عليهم.. وهو الآن قد أصبح أكثر قرباً من الكثيرين من أهل مكة الذين كانوا من قومه، أو من إخوانه وأحبائه في الأيام الخالية، وقد أظهروا الإسلام الآن..

فإن ذلك كله يشير إلى أن احتمال الخطر على أبي بكر يكاد يلحق بالعدم.

د: أما علي (عليه السلام) فهو الذي أبار صناديدهم، وأكذب أحدوثتهم، وكانوا يترصبون به الدوائر، ويغنون له الغوائل، ومراجل حقدهم تغلي عليه أشد الغليان.

وهذا يدلنا على أن موقف علي (عليه السلام) هو الأصعب، وأن الخطر عليه أعظم، ولا سيما إذا واجههم بهذا القرار الحاد المتضمن للتهديد بالقتل، والوعيد بالحرب الضروس، فإن ذلك لا بد أن يستفزهم، ويثير حفيظتهم، فإذا وجدوه وحيداً بينهم، وفي عقر دارهم وموضع قوتهم، ومحل اجتماعهم، فلربما بادروا إلى الإنتقام منه، إن لم يكن بالعلن، فإنهم سوف يغتالونه بالسر ولن يجروا أحد من بني هاشم، أو من غيرهم على إظهار نفسه، في هذه المعمة الهائلة التي لن يكون حصادها إلا الدمار والبوار.

قد يقال:

أولاً: قد يرى البعض: أن تناقل أبي بكر عن إجابة طلب الرسالة (ﷺ) قد سهل القرار بعزله عن أدائها، لا سيما إذا كان ظهر: أن استمراره في المهمة قد يساعد بعض الناس على اتخاذ ذلك ذريعة لإضفاء صفات من العظمة والقداسة عليه، ترغّب الناس بتأييده، أو تجعلهم يتقبلون سعيه لنيل مقام الخلافة الذي صرح الله ورسوله بأنه لغيره.. ويسهل عليهم غض الطرف على ما صدر منه من تصرفات في سياق هذا المقام من صاحبه الشرعي..

ثانياً: ويبقى هنا سؤال عن سبب فرض النبي (ﷺ) على

أبي بكر القيام بهذه المهمة، ثم عزله عنها، أر يعد ذلك ظلماص له؟! فإن كان ذلك لأجل أنه لا يؤدي عن النبي (ﷺ) إلا هو أو رجل منه، فلماذا ألزمه بالمهمة؟!
إلا إن قيل: أنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن يعرف بهذا الحكم، أو لأنه (ﷺ) لم يكن يعرف مؤهلات أبي بكر، وأنه غير قادر على أداء المهمة بالنحو الذي يرضي الرسول (ﷺ)، فهل حمل النبي (ﷺ) أبا بكر فوق طاقته؟! أم أن الأمر خطة إلهية لتعريف الناس بأن ما يدبر له أبي بكر ما هو إلا تعد على الله ورسوله، فاستحق بذلك تعريف الناس بأمره، لكي لا ينساقوا معه، ولينال هو جزاء على سعيه ذاك غير المشروع..

أبو بكر لم يعزل:

وهناك من أنكر أصل الواقعة، وأصر على أن أبا بكر هو المبلغ لآيات سورة براءة، ومن هؤلاء عباد بن سليمان، والقوشجي، وأضربهما^(١).

واستدل بعضهم على ذلك: بأن عزل أبي بكر عن تبليغ سورة براءة قبل الوصول إلى موضعها، يلزم منه نسخ الفعل قبل حضور وقت العمل، وهو غير جائز^(٢).

١ - المغني للقاضي عبد الجبار ج ٢ ص ٣٥٠ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣١٥ و ٣١٨ وراجع: منار الهدى ص ١٨٧ عن القوشجي، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٠٠.

٢ - المغني لعبد الجبار ج ٢٠ ص ٣٥٠ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣١٥ و ٣١٨.

ونجيب:

أولاً: إن إنكار أصل الواقعة استناداً إلى ما ذكر لا يلتفت إليه، اجتهاد في مقابل النص، إذ قد تضافرت الأخبار، واشتهرت الواقعة حتى أصبحت أوضح من الشمس، وأبين من الأمس، كما اعترف به القاضي عبد الجبار^(١).

ثانياً: هذا المورد ليس من موارد النسخ، لأنه ليس حكماً شرعياً كلياً، لكي يتعلق به النسخ.. وإنما هو أمر مرتبط بشخص بعينه هو أبو بكر، كانت هناك مصلحة بإعطائه كتاباً، وأمره بأن يبلغ مقالاً لأهل الموسم، فإذا حمل الكتاب، وبلغ به مكاناً بعينه انتهت تلك المصلحة وتبلورت مصلحة أخرى تتمثل بأخذ الكتاب منه، وإعطائه لعلي (عليه السلام) ليقرأه هو على أهل الموسم.. ولعل هذه المصلحة في ذلك كله هي إظهار فضل علي (عليه السلام)، وعدم أهلية أبي بكر لما يطلبه ويسعى من أجله..

ثالثاً: جوز جمهور الأشاعرة، وكثير من علماء الأصول النسخ قبل حضور وقت العمل^(٢).
رابعاً: إذا دلت الأخبار المتواترة على وقوع النسخ قبل حضور وقت العمل، وأجمع نقلة الأخبار على حصوله، كان ذلك دليلاً على جوازه، وبه

١- بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣١٥ و ٣١٨.

٢- هداية المسترشدين ج ١ ص ٥٩٠ وبداية الوصول ج ٤ ص ٢٥٦ وعناية الأصول ج ٢ ص ٣٣٤.

يعلم أن ما يتشبه به القائل بالمنع، هو مجرد شبهة لا تصلح للوقوف عندها.

قصة براءة دليل إمامة أبي بكر:

قال الرازي: (قيل: قرر أبا بكر على الموسم، وبعث علياً خليفة (خلفه) لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر، ويكون ذلك جارياً مجرى تنبيهه على إمامة أبي بكر، والله أعلم).
قال: (وقرر الجاحظ هذا المعنى، فقال: إن النبي ﷺ) بعث أبا بكر أميراً على الحاج، وولاه الموسم، وبعث علياً يقرأ على الناس سورة براءة، فكان أبو بكر الإمام وعلي المؤتم، وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع، وكان أبو بكر الرفع بالموسم، والسائق لهم، والأمر لهم، ولم يكن ذلك لعلي^(١).
وقد أجاب العلامة المجلسي على هذا بما ملخصه^(٢):

أولاً: إن تولى أبي بكر للموسم ممنوع، كما أظهرته النصوص.

ثانياً: إن جعل شخص أميراً لا يجعل الناس ملزمين بالصلاة خلفه.. (بل كل يعمل بتكليفه، من حيث ثبوت جامعته لشرائط إمامة الصلاة وعدمها).

ثالثاً: إن علياً (عليه السلام) لم يكن من أهل الموسم، ليكون أبو بكر

١ - التفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٢١٨ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٩٩ عن تفسير فرات ص ٥٤ وراجع: تحفة الأحوزي ج ٨ ص ٣٨٧.

٢ - بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٤١٨ فما بعدها.

أميراً عليه، بل هو مرسل إليهم برسالة.. وليس في الأخبار أي شيء يدل على أن علياً (عليه السلام) صلى خلف أبي بكر.

رابعاً: إن الصلاة خلف أبي بكر لا تعني ثبوت فضيلة له، على ما زعموه من جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر^(١).

خامساً: إن قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): (لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني) ، يدل على أنها تأدية خاصة، لا ينالها أحد من البشر، أما إمارة الحاج فيتولاها أي كان من الناس، برأ كان أو فاجراً، وقد تولاها عتّاب بن أسيد قبل أبي بكر، ولا تحتاج إلى أكثر من المعرفة بما هو الأصلح في سوق الإبل، والبهائم، ومعرفة المياه، والتجنب عن مواضع اللصوص ونحو ذلك.. فهو أمر إداري صرف..

سادساً: إن إمارة الحاج لا تستلزم خطابة، لتستلزم الإستماع.

١- راجع: سنن أبي داود، كتاب الصلاة، الباب ٦٣ وراجع: فتح العزيز ج ٤ ص ٣٣١ والمجموع للنووي ج ٥ ص ٢٦٨ ومغني المحتاج ج ٣ ص ٧٥ والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٤٨ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ١ ص ١٥٦ و ٣١١ و ٣١٢ والجواهر النقي للمارديني ج ٤ ص ١٩ والبحر الرائق ج ١ ص ٦١٠ وحاشية رد المختار لابن عابدين ج ٢ ص ٢٢٤ والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٢٥ و ج ١١ ص ٣٧٩ وكشاف القناع للبهوتي ج ٦ ص ٣٦٦ وتلخيص الحبير ج ٤ ص ٣٣١ وسبل السلام ج ٢ ص ٢٩.

سابعاً: إن النبي (ﷺ) لم يأمر علياً (عليه السلام) بطاعة أبي بكر، ومجرد رفاقته له . لو صحت . لا تعني ائتماره بأمره ..

الباب الحادي عشر: حجة الوداع.. ويوم الغدير..

الفصل الأول: علي (عليه السلام) في حجة الوداع

الذين حجوا مع النبي (ﷺ):

لقد حج النبي (ﷺ) في سنة عشر حجة الوداع، مع جمع كبير من المسلمين، وقد ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله): أن الذين قدموا على رسول الله (ﷺ) في السنة العاشرة ليحجوا معه كانوا بشراً كثيراً، ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، وكانوا من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مدّ البصر.

وقد ذكرت الروايات: أن الذين خرجوا معه (صلى الله عليه وآله) كانوا سبعين ألفاً^(١).

١ - بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠٢ وروضة الواعظين ص ٨٩ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٦٨ واليقين لابن طاووس ص ٣٤٤ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٥٣ ونور الثقلين ج ٢ ص ٧٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٠٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليهم السلام" للنجفي ج ٨ ص ٤٨ وغاية المرام ج ١ ص ٣٢٧ وكشف المهم في طريق خير غدير خم ص ١٩ والسقيفة للمظفر ص ١٧٤.

وقيل: كانوا تسعين ألفاً^(١).

ويقال: مائة ألف، وأربعة عشر ألفاً^(٢).

وقيل: كانوا مائة وعشرين ألفاً^(٣).

وقيل: كانوا مئة وأربعة وعشرين ألفاً. ويقال أكثر من ذلك^(٤).

١- الغدير ج ١ ص ٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٠٨ والنص والإجتهد ص ٥٧٧ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص ٥٢ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٣ وتاريخ الخلفاء لابن الجوزي في الجزء الرابع، وتذكرة خواص الأمة ص ١٨ ودائرة المعارف لفريد وجدي ج ٣ ص ٥٤٢ (غ ١/٩).

٢- الغدير ج ١ ص ٩ والمجموع للنووي ج ٧ ص ١٠٤ ومغني المحتاج ج ١ ص ٣٤٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٠٨ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص ٥٢ عن المصادر التي تقدمت.

٣- بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٥٠ عن ابن الجوزي، والغدير ج ١ ص ٩ و ٢٩٦ و ٣٩٢ عن تذكرة خواص الأمة ص ١٨ والعدد القوية ص ١٨٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٠٨ والنص والإجتهد ص ٢٠٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٣٥٠ وج ٩ ص ١٩٦ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص ٥٢ عن المصادر التي تقدمت.

٤- الغدير ج ١ ص ٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٠٨ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص ٥٢.

أما قول بعضهم: إن الذين حجوا في تلك السنة كانوا أربعين ألفاً^(١)، فلعل المقصود: هو صحابته الذين كانوا يعيشون في المدينة وأطرافها^(٢).

قال العلامة الأميني: (وهذه عدة من خرج معه، أما الذين حجوا معه، فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكة، والذين أتوا من اليمن مع علي (عليه السلام) (أمير المؤمنين)، وأبي موسى^(٣)).

قالوا: (وأخرج معه نساء كلهن في الهودج، وسار معه أهل بيته، وعامة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب، وأفناء الناس)^(٤).
لماذا هذا الحشد؟!:

ونقول:

لم يكن هذا الحشد الهائل بصورة عفوية، بل كان يطلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، فإنه أرسل الكتب إلى أقصى بلاد الإسلام، وأمر

١ - راجع: تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٨٠ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٥٤ وج ٤ ص ٢٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٧٠ ومقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص ١٧٧.

٢ - راجع المصادر في الهامش السابق.

٣ - الغدير ج ١ ص ٩ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص ٥٢.

٤ - الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٣ ص ٢٢٥ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ١٧٣ وإمتاع الأسماع ص ٥١٠ وإرشاد الساري ج ٦ ص ٤٢٩ والغدير ج ١ ص ٩ عنهم.

المؤذنين بأن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأن رسول الله (ﷺ) يحج في عامه هذا. ومن الواضح: أن إخراج النبي (ﷺ) نساءه كلهن في الهوادج إلى الحج، وجمع هذه الأعداد الهائلة، لتسير معه، سوى من سار إلى مكة من دون أن يمر بالمدينة، وما والاها، وسوى الذين جاؤوا من اليمن مع ذلك، إن ذلك لم يكن أمراً عفويّاً، ولا مصادفة، ولا كان استجابة لرغبة شخصية، ولا لشيء من أمور الدنيا، فرض على النبي (ﷺ) أن يجمع الناس حوله. فحاشاه من ذلك، فإن النبي (ﷺ) لا يفكر ولا يفعل إلا وفق ما يريد الله تبارك وتعالى..

ولعل الهدف من كل هذا الحشد هو تحقيق أمور كلها تعود بالنفع العميم على الإسلام والمسلمين، ويمكن أن نذكر منها، ما يلي:

- ١ . إنه أراد للناس المتمردين، بل والمنافقين، والذين يحلمون بالإرتداد على الإسلام وأهله عند أول فرصة تسنح لهم، يريد لهم أن يروا عظمة الإسلام، وامتداداته الواسعة، وأنه لم يعد بإمكان أحد الوقوف في وجهه، أو إيقاف مده، فليأس الطامحون والطامعون، وليراجع حساباتهم المتوهمون، وليعد إلى عقولهم المتهورون والمجازفون..
- ٢ . إنه يريد أن يربط على قلوب الضعفاء، ويشد على أيديهم، ويربهم عياناً ما يحصنهم من خدع أهل الباطل، وكيد أهل الحقد والشنآن.. ومن كل ما يمارسونه معهم من تخويف، أو تضعيف..
- ٣ . يريد أن ينصب علياً (عليه السلام) إماماً وخليفة من بعده أمام كل

هذه الجموع الهائلة، ليكونوا هم الشهداء بالحق على أنفسهم وعلى جميع الناس، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

ثم أن يقطع الطريق على الطامحين والطامعين من أن يتمكنوا من خداع الآخرين ببعض الإدعاءات أو الإشاعات كما سنرى حين الحديث عما جرى في عرفات، ومنى، وفي طريق العودة، في غدير خم. وأما أخذه لجميع نسائه معه، فلعله لأن فيهن من يريد أن يقيم عليها الحجّة في ذلك كله، لأنها سيكون لها دور قوي في الإتجاه الآخر الذي يريد أن يحذر الناس من الإنغماس به، والمشاركة فيه.. يمنعهم من ركوب إبل الصدقة:

عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب إلى اليمن، قال أبو سعيد: فكنت فيمن خرج معه، فلما احتفر (كذا) إبل الصدقة سألتناه أن نركب منها ونريح إبلنا، وكنا قد رأينا في إبلنا خللاً، فأبى علينا وقال: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين.

قال: فلما فرغ علي، وانطلق من اليمن راجعاً أمر علينا إنساناً، فأسرع هو فأدرك الحج، فلما قضى حجه قال له النبي (ﷺ): ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم. قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي (عليه السلام) منعنا إياه، ففعل. فلما جاء عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت، رأى أثر المراكب، فذم الذي أمره ولامه.

فقلت: أما إن لله علي لئن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله (ﷺ)، ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق..

قال: فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله (ﷺ) أريد أن أفعل ما كنت قد حلفت عليه، فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله (ﷺ)، فلما رأني وقف معي، ورحب بي، وساءلني وساءلته، وقال: متى قدمت؟!

قلت: قدمت البارحة.

فرجع معي إلى رسول الله (ﷺ)، فدخل وقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد . قال: ائذن له.

فدخلت، فحييت رسول الله (ﷺ) وحياني، وسلم علي، وساءلني عن نفسي، وعن أهلي، فأحفي المسألة، فقلت: يا رسول الله، ما(ذا) لقينا من علي من الغلظة، وسوء الصحبة والتضييق.

فانتبذ رسول الله (ﷺ)، وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه، حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله (ﷺ) على فخذي . وكنت قريباً منه . وقال: [يا] سعد بن مالك بن الشهيد، مه بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمت أنه أخشن في الله!!

قال: فقلت في نفسي: ثكلتك أمك سعد بن مالك، ألا أراي كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري؟!

لا جرم والله، لا أذكره بسوء أبداً، سراً ولا

علانية^(١).

ونقول:

١ - إن ما يثير الدهشة هنا: هو أن أبا سعيد الخدري قد أخذ على علي (عليه السلام) أمراً هو عين الحق والعدل، والإلتزام بأحكام الشرع الحنيف، فاتخذ منه ذريعة للطعن عليه، وسبباً للتشهير به.. ثم زاد على ذلك أنه اشتكاه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان كل همه وجهده مصروفاً لإقامة هذا العدل، ونشر هذه الأحكام، وحملهم على العمل بها.. فهل يمكن أن يصبر وأن يسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على هذا التجني والظلم الظاهر، الذي يريدون التسويق له، وأن يجعلوه نهباً في الناس؟! وكيف لم يفهم أبو سعيد وغيره: أن إبل الصدقة ليست ملكاً طلقاً له ولا لغيره. وأنها ليست لهم وحدهم، بل هي أمانة في أيديهم، لا بد من أن

١ - تاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي (تحقيق المحمودي) ج ١ ص ٣٨٧ و ٣٨٨ و (ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٢٠٠ و ٢٠١ و شرح إحقاق الحق (المللحات) ج ٢٠ ص ٣٠١ و ج ٢١ ص ٦٣١ و ج ٣١ ص ٤٦ و ٥١٦ عن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٥١ و (ط بيروت) ج ١٧ ص ٣٥٠ و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ١٢٢ و ج ٧ ص ٣٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٤.

يؤدوها إلى أهلها من دون أدنى تصرف فيها..

٢ . إنه (عليه السلام) قد استفاد من الوسائل الطبيعية لاكتشاف ما حصل، حيث رأى أثر المراكب، فدلّه ذلك على ما جرى، فرتب الأثر على ما حصل عليه من معلومات، وذم ذلك الرجل الذي سمح لهم بركوب تلك الإبل..

٣ . لا ندري أية غلظة في علي (عليه السلام) ظهرت لأبي سعيد الخدري!! فهل المنع من التصرف بمال الغير، يعتبر غلظة، وتضييقاً؟! ولو سمح لهم بأن يغيروا على أموال غيرهم، هل يزول التضييق؟! وتزول صفة الغلظة عنه، ويصبح حسن الصحبة؟!..

٤ . إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدأ مهمة إيقاظ أبي سعيد بالضرب على فخذ أبي سعيد.. ولم يكتف بمجرد نصيحته بالكلمة، فإن هذه الضربة لا بد أن تثير اهتمامه، وتنقله إلى جو أكثر جدية وحساسية، وتدفعه إلى تفهّم الكلام الذي سيورده رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه بصورة أكثر دقة، وتنبهاً. وسيدرك أن القضية أكثر حساسية وأهمية وجدية مما يظن، وأن مواصلة هذا النهج ربما يجعلهم في مواجهة أمور تتصف بالخطورة الحقيقية على مستقبل علاقتهم برسول الله (صلى الله عليه وآله). وربما يضع علامة استفهام كبيرة حول التزامهم وحركتهم الدينية والإيمانية.

علي (عليه السلام) يلتقي النبي (صلى الله عليه وآله) في مكة:

لقد كان علي (عليه السلام) في اليمن حين جمع النبي (صلى الله عليه وآله) الناس وسار بهم إلى حجة الوداع.. ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله)

بمكة بالبطحاء هو وأصحابه، ولم ينزل الدور.

قالوا: وقدم علي (عليه السلام) من اليمن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمكة، فدخل على فاطمة (سلام الله عليها) وقد أحلت، فوجد ريحاً طيبة، ووجد عليها ثياباً مصبوغة، فقال: ما هذا يا فاطمة؟! فقالت: أمرنا بهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فخرج علي (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مستفتياً، فقال: يا رسول الله، إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة؟! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أنا أمرت الناس بذلك، فأنت يا علي بما أهللت)؟! قال: يا رسول الله، إهلالاً كإهلال النبي.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): (قرّ على إحرامك مثلي، وأنت شريكي في هديي)^(١). هل هذا تحريف متعمد؟!

وقد روى ابن كثير وغيره النص المتقدم محرفاً، فقال: قدم علي من

١- الكافي ج ٤ ص ٢٤٥. ٢٤٧. وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٩٠. ٣٩٢. وراجع ج ٣٨ ص ٧٢ وراجع: تهذيب الأحكام ج ٥ ص ٤٥٤. ٤٥٦. وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٠. ٣٥٤. ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٠ و ٤١ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ١٢٢ و ١٢٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٩٤ وعوالي الآلي ج ٢ ص ٩٠ و ٩١.

اليمن يُبذَن رسول الله (ﷺ) محرشاً لفاطمة.

فقال رسول الله (ﷺ): صدقت - ثلاثاً - أنا أمرتها، يا علي بم أهلت؟! .

قال: قلت: اللهم إني أهلّ بما أهل به رسولك، قال: ومعني هدي.

قال: فلا تحل.

فكان جملة المهدي الذي قدم به علي من اليمن، والذي ساقه رسول الله (ﷺ) من المدينة مئة بدنة^(١).

فيلاحظ: أن كلمة (مستفتياً) الواردة في الرواية عن أهل البيت صارت محرشاً، وبدل أن يكون مستفتياً

لرسول الله (ﷺ)، صار (محرشاً لفاطمة) (عليها السلام)، للإيحاء بأن فاطمة (عليها السلام) لم تكن . بنظر علي

(عليها السلام) - مأمونة على دينها، أو للدلالة على أن علياً (عليه السلام) كان ذا طبيعة عدوانية استفزازية، حتى

بالنسبة لفاطمة (عليها السلام) ..

أو أن المقصود هو الأمران معاً ..

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٦٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٩١ وراجع: مسند أبي يعلى ج ١٢ ص ١٠٧ وراجع ج ٤ ص ٩٥ والمتقى من السنن المسندة ص ١٢٢ والدرر لابن عبد البر ص ٢٦٢ ومسند أحمد ج ٣ ص ٣٢٠.

الإجمال في النية:

ويلاحظ: أن نية علي (عليه السلام) في إهلاله كانت مجملة، لأنه أهل بما أهل به رسول الله (صلى الله عليه وآله) .. والمفروض: أنه كان غائباً ولم يطلع . بحسب الظاهر . على نية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأن علينا أن لا نحمل تصرفات النبي والإمام على أنها تستند إلى علم الإمامة، وعلم النبوة، وإلا لبطلت الأسوة والقدوة بهما ..

فدلنا ظاهر حال علي (عليه السلام) هنا: على كفاية النية التي يكون تحديد المنوي فيها على سبيل الإجمال، إذ يكفي كون المنوي محددًا في واقع الأمر، وإن لم يعلمه صاحب النية تفصيلاً، ولا يجب تحديد حدوده واستحضار خصوصياته حين انشاء النية، والدخول في العمل ..

وكانت نية رسول الله (صلى الله عليه وآله) هنا محددة في واقع الأمر، فقصد علي (عليه السلام) ما قصده النبي إجمالاً، وأغناه ذلك عن التفصيل، إذ لا ترديد في النية، ولا في المنوي بحسب الواقع ..

لماذا كان سؤال علي (عليه السلام):

وقد ذكرت الرواية المشار إليها: إن علياً (عليه السلام) كان يريد بسؤاله أن يعرف بماذا أحرم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو يرى فاطمة (عليها السلام) في حال تختلف عن الحال الذي كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) .. فسألها عن سبب ذلك، فلم تفصح له .

فسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فبين له أن حجها حج تمتع . أما

النبي (ﷺ) فكان حججه حج قران ..

إذن فلم يكن علي (عليه السلام) جاهلاً بالحكم، بل هو لم يخبره أحد بطبيعة ما جرى عليه الحال .

هل ندم (ﷺ) علي ما اختاره؟!:

قد يحاول البعض أن يدعي: أنه (ﷺ) قد أظهر أنه قد ندم علي اختياره حج القران . وأنه لو استقبل

من أمره ما استدبر لاختيار حج التمتع ..

غير أننا نقول:

أولاً: أنه (ﷺ) لا يقدم علي فعل أمر من تلقاء نفسه، بل بوحى ودلالة إلهية ..

ثانياً: إن المطلوب منه (ﷺ) في خصوص هذه الحججة هو حج القران، لكي يشرك علياً (عليه السلام) في

الهدى، ويظهر فضل علي (عليه السلام) ومنزلته منه .. وليمهد لإعلان إمامته، وأخذ البيعة له في هذا الحج

بالذات، في عرفة أو منى، أو في غدير خم. وهذا ما يفسر لنا أمره (ﷺ) للزهراء (عليها السلام) بأن تحرم بحج

التمتع، وأحرم هو بحج القران .

البدن التي نحر:

قالوا: ثم انصرف (ﷺ) إلى النحر بمنى، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده الشريفة بالحربة، وكان ينحرها

قائمة معقولة اليسرى،

وكان عدد هذا الذي نخره عدد سنِّي عمره (ﷺ).
ثم أمسك، وأمر علياً (عليه السلام) أن ينحر ما بقي من المائة، ثم أمره أن يتصدق بجلاها، وجلودها،
ولحومها، في المساكين، وأمره أن لا يعطي الجزار في جزارتها شيئاً منها، وقال: (نحن نعطيه من عندنا)^(١)،
وقال: (من شاء اقتطع)^(٢).

قال ابن جريج: قلت: من الذي أكل مع النبي (ﷺ) وشرب من المرق؟!
قال جعفر: علي بن أبي طالب (عليه السلام) أكل مع النبي (ﷺ) وشرب من المرق^(٣).
وقول أنس: إن رسول الله (ﷺ) نخر بيده سبع بدن قياماً^(٤).

-
- ١- سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ والمجموع للنووي ج ٨ ص ٣٦١ وقد تقدمت مصادره فراجع.
 - ٢- سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٥٥٨ وقد تقدمت مصادره فراجع.
 - ٣- سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٧٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٣٤٠.
 - ٤- سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٧ ونيل الأوطار ج ٥ ص ٢١٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٢٩٢ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٢ ص ١٨٥ وعمدة القاري ج ١٠ ص ٤٩.

حملة أبو محمد: علي أنه (ﷺ) لم ينحر بيده أكثر من سبع بدن كما قال أنس، وأنه أمر من ينحر ما بعد ذلك إلى تمام ثلاث وستين^(١)، ثم زال عن ذلك المكان، وأمر علياً (عليه السلام) فنحر ما بقي. أو أنه لم يشاهد إلا نحره (ﷺ) سبعاً فقط بيده، وشاهد جابر تمام نحره (ﷺ) للباقي، فأخبر كل واحد منهما بما رأى وشاهد. أو أنه (ﷺ) نحر بيده مفرداً سبع بدن كما قال أنس، ثم أخذ هو وعلي الحرية معاً، فنحرا كذلك تمام ثلاث وستين. وقال عروة (غرفة) بن الحارث الكندي: أنه شاهد رسول الله (ﷺ) يومئذ أخذ بأعلى الحرية، وأمر علياً (عليه السلام) فأخذ بأسفلها، ونحرا بها البدن، ثم انفرد علي (عليه السلام) بنحر الباقي من المائة كما قال جابر^(٢).

١- سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٧ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٢٨٥.

٢- سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٣٧٦ و ج ٨ ص ٤٧٧ و سنن أبي داود ج ١ ص ٣٩٦ والمعجم الأوسط ج ٣ ص ١٧٣ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٨ ص ٢٦٢ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣ ص ١٢٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢٣٨ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٥٦٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٤٣١ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٣ ص ٥١٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٦٩ وتهذيب الكمال ج ٢٣ ص ٩٧ والمنتخب من ذيل المذيل ص ٧٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٧٦.

وكان الهدي الذي جاء به رسول الله (ﷺ) أربعة وستين، أو ستة وستين.
وجاء علي (عليه السلام) بأربعة وثلاثين، أو ستة وثلاثين، فنحر رسول الله (ﷺ) ستة وستين، ونحر علي (عليه السلام) أربعة وثلاثين بدنة^(١).
وفي الرواية الأخرى: نحر رسول الله (ﷺ) ثلاثاً وستين نحرها بيده، ثم أخذ من كل بدنة بضعة فجعلها في قدر الخ^(٢).
وأمر رسول الله (ﷺ) أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم، ثم تطرح في برمة، ثم تطبخ، فأكل رسول الله (ﷺ)

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٧ وعوائد الأيام ص ٢٨ والكافي ج ٤ ص ٢٤٧ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٤ وج ١٢ ص ٣٤ و ٤٩ وراجع: الصافي (تفسير) ج ٣ ص ٣٧٨.
٢ - الكافي ج ٤ ص ٢٤٩ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٥٥١ وعلل الشرائع ج ٢ ص ٤١٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٢٢٣ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ١٥٧ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٩٦ وج ٩٦ ص ٨٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٧ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليه السلام" للنجفي ج ٣ ص ٤٥ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ١٢١ وتفسير الميزان ج ٢ ص ٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٦ عن ابن جريج، عن جعفر بن محمد، عن جابر.

وعلي (عليه السلام)، وحسبنا من مرقها^(١).

وفي صحيح الحلبي عن علي (عليه السلام): أن النبي (صلى الله عليه وآله) ساق مئة بدنة^(٢).

-
- ١- الكافي ج ٤ ص ٢٤٦ . ٢٤٨ . ومجمع الفائدة والبرهان ج ٧ ص ٢٨٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٦٧٠ وج ١ ق ٣ ص ٦٧٠ والحدائق الناضرة ج ١٤ ص ٣١٨ وجواهر الكلام ج ١٩ ص ١٥٩ وجامع المدارك ج ٢ ص ٤٦٢ وتهذيب الأحكام ج ٥ ص ٤٥٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٢١٧ وج ١٤ ص ١٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ١٥٣ وج ١٠ ص ١٤٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٩٣ و ٣٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٤ وج ١٢ ص ١٠١ وج ١٢ ص ١٠٤ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ١٢٥ وج ٣ ص ٣٧٣ وج ٣ ص ٤٠١ وراجع المغني لابن قدامة ج ١١ ص ١٠٩ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٥٧٩ وج ٣ ص ٥٨٢ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢ ص ١١١ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٢٨٤ .
- ٢- الكافي (الفروع) ج ٤ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٥٥١ وجواهر الكلام ج ١٨ ص ٢١١ وعلل الشرائع ج ٢ ص ٤١٢ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٢٢٢ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ١٥٧ ومستدرک الوسائل ج ٨ ص ٧٥ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٩٥ وج ٩٦ ص ٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٦ وج ١٠ ص ٤٥٥ و ٤٩٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليه السلام" للنجفي ج ٣ ص ٤٤ وتفسير العياشي ج ١ ص ٨٩ ونور الثقلين ج ١ ص ١٨٥ وكنز الدقائق ج ١ ص ٤٦٥ وتفسير الميزان ج ٢ ص ٨٣ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ١٢١ .

وقد ذكر المجلسي: أن المقصود: هو أنه (ﷺ) ساق مئة بدنة، لكن ساق بضعا وستين لنفسه، والباقي لأمير المؤمنين (عليه السلام)، لعلمه بأنه (عليه السلام) يحرم كإحرامه، ويهمل كإهلاله إلخ..^(١).
لكن قد تقدم قولهم: إن النبي (ﷺ) وعلياً (عليه السلام) ساقا البدن، فساق منها النبي (ﷺ) ستاً وستين، وساق علي (عليه السلام) أربعاً وثلاثين.

وقال ابن كثير: قدم علي من اليمن ببدن رسول الله (ﷺ)^(٢).
فنسب ما جاء به علي (عليه السلام) إلى النبي (ﷺ)، لأنه أخوه، ولأنهما تشاركا في مجموع المئة، ونحراها بصورة مشتركة.

وقد تقدم: أن النبي (ﷺ) كان يأخذ بأعلى الحربة، وعلي (عليه السلام) يأخذ بأسفلها إلى ثلاث وستين، ثم نحر علي (عليه السلام) الباقي، وأخذ من كل واحدة جذوة من لحم، وجعلها في قدر واحد، وأكلا منها، وحسبها من مرقها..

١- مرآة العقول ج ١٧ ص ١١٦.

٢- سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٦٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٩١.

مضافاً إلى أن علياً (عليه السلام) أهل بما أهل به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فنية علي (عليه السلام) معتمدة على نية النبي (صلى الله عليه وآله)، ومتقومة بها..

مجموع البدن:

تذكر الروايات: أن الذي سيق من البدن هو مئة بدنة..

وتذكر أيضاً: أن علياً (عليه السلام) نحر عن نفسه أربعاً وثلاثين، ونحر هو النبي (صلى الله عليه وآله) وألهما) ثلاثاً وستين بدنة، فيصير المجموع سبعاً وتسعين وليس مئة.. فلعل إطلاق كلمة مئة قد جاء على سبيل التسامح لا لأجل التحديد.

أو يقال: كان المجموع مئة، وقد نحرث الثلاث الباقية تطوعاً.. أو يكون عمر علي (عليه السلام) آنئذ كان سبعة وثلاثين سنة أن كان عمره حين البعثة ثلاث عشرة سنة، أو أربع عشرة سنة.

أو تكون قد حسبت أيام زادت على الثلاث وستين سنة في عمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فنحرث بدنة لأجلها وأيام زادت على سني عمر علي (عليه السلام)، فنحرث لها بدنة أيضاً.

ملاحظة ذات مغزى:

إذا كان (صلى الله عليه وآله) قد نحر من البدن على عدد سني عمره الشريف، وهو ثلاث وستون سنة.. فإن علياً

(عليه السلام) قد نحر على عدد سني عمره أيضاً في ذلك الوقت، وهو أربع وثلاثون سنة.

وليس لأحد أن يدعي . على سبيل القطع واليقين .: بأن ذلك قد جاء على سبيل الصدفة .
يضاف إلى ذلك: أن مشاركة علي (عليه السلام) شارك النبي (صلى الله عليه وآله) في نحر البدن التي كانت على عدد
سني عمره الشريف لا تخلو من إشارة إلى مشاركته (عليه السلام) له في كل حلو ومرّ .
وقد أنتجت هذه المشاركة كل ما عاش النبي (صلى الله عليه وآله) من أجله وهو إقامة دين الله سبحانه .. وكانت
سني عمر علي (عليه السلام)، التي عاشها مع النبي (صلى الله عليه وآله) قد استغرقتها ما نخره (صلى الله عليه وآله) متوافقاً مع سني عمره
الشريف، فشارك كل منهما الآخر فيما يخصه، وأعاناه عليه .. وهكذا كان الحال في كل ما يتصل بإقامة
دين الله، ونشر شرائعه، وحقائقه ..

لو أشرك النبي (صلى الله عليه وآله) أبا بكر:

وتمر الناس على هذا الحدث الجليل مرور الكرام، ونحن على يقين من أنه (صلى الله عليه وآله) لو أشرك أبا بكر في
هدية كما أشرك علياً، بل لو أشركه في واحدة من هديه، ولو بأن يهتم بها، ويرعاها بالسقي، والإطعام
لأقام أتباع أبي بكر الدنيا ولم يقعدوها في التحليل، والإستنتاج، والإستدلال على عظمة أبي بكر ومنزلته،
وإمامته وخلافته .. وربما تجنح بهم الأوهام إلى ما هو أبعد من هذا بكثير ..
وكيف لا يكون الأمر كذلك، ونحن نرى كيف تحولت أخطاء، وضعف وهنات أبي بكر وعمر إلى
فضائل وكرامات، وإشارات ودلالات .. وسنرى

كيف أصبح قول عمر: إن النبي (ﷺ) ليهجر فضيلة لعمر، وسبباً في إنقاذ الإسلام والأمة من أمر عظيم..

ولكن الأمر إذا تعلق بعلي (عليه السلام)، فإن الألسنة تخرس، والأسماع تصم، والعيون تعمي، والمحابر تجف، والأقلام تلتوي وتتحطم، أو تعيا عن تسجيل عشر معشار الحقيقة، ثم هي تقتل ما سجلته بالتأويلات الباردة، والإحتمالات السقيمة، وقشور العبقريات، لاختراع المعارضات، والتحريف والتزييف، والسعي لإفراغ أعظم المواقف من محتواها، فهل نتوقع بعد هذا أن نجد في كلامهم ما ينفع ويجدي من الإستنتاج الموضوعي للنصوص، أو الإشارة إلى شيء ذي بال من الدلالات والمخات؟!!

الفصل الثاني: اضاء على ما جرى في عرفة.

للإمامة تاريخها:

صحيح أن موضوع الإمامة هو من أكثر الموضوعات حساسية، وأشدّها أهمية.. وله تأثيره في الكثير الكثير من قضايا التاريخ، وفي فهمها، ومعرفة أسرارها وخلفياتها..
وصحيح أيضاً: أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) هو محورها الأعظم، وهو أساسها وبه قوامها.. وأنه لا يمكن لمن يريد أن يبحث في أي شأن من شؤونها أن يتجاهل أمر الإمامة هذا..
ولكن من الواضح والصحيح أيضاً: أن إيفاء هذا الأمر حقه من البحث والتقصي غير ميسور، بل غير مقدور.. بل هو كإيفاء علي (عليه السلام) حقه من ذلك. وإن أياً كان من الناس لا يستطيع أن يدعي أنه قادر على استيفاء البحث في هذين الأمرين معاً، ولو حاول أن يتصدى لذلك، فإنه سوف ينتهي إلى الفشل الذريع، والخيبة القاتلة، والفضيحة الصلعاء والنكراء..
من أجل ذلك نقول:

لا بد لنا من تجنب الدعاوى الفارغة، وتحاشي استعراض العضلات المنتفخة بالأورام التي تنتج له الأسقام والآلام.. فلا ندعي أننا نريد أن نوفي سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) حقها.. أو نريد إعطاء موضوع الإمامة

حقه .. لأن نتيجة المغامرة ستكون غاية في الضعف، وفي منتهى الهزال، والتواضع ..

لذلك آثرنا أن نحيل القارئ الكريم إلى ما أوردناه في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)، ولا سيما الأجزاء الثلاثة الأخيرة منه، ليطلع منها على بعض التفاصيل في الناحيتين التاريخية والعقائدية في موضوع الإمامة .. فإن ما ذكرناه هناك وما نذكره هنا ربما يعطي لمحة ولو محدودة ومتواضعة عن بعض معاناة النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) فيما يرتبط بالعمل على ترسيخ موضوع الإمامة، وصيانته في ضمير ووجدان الأمة ..

وإحالتنا هذه على كتاب الصحيح سوف تغنينا عن التعرض هنا لكثير مما ذكرناه هناك .. مع اعترافنا بأننا لم نوف كلا الأمرين حقهما، ونحن أعجز من ذلك .. فكيف نجيز لأنفسنا أن ندعيه ..

ليلة عرفة تمهيد ليوم عرفة:

١- روى: أنه خرج (عليه السلام) على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم: إن الله قد باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة، وغفر له خاصة، إني قائل لكم قولاً غير محاب فيه لقرابتي: إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً (عليه السلام) في حياته وبعد موته^(١).

١ - الفصول المئة ج ٣ ص ٢٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١٦٨ عن أحمد = بن حنبل في المسند والفضائل، وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٨١ وج ٣٩ ص ٢٦٥ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٩٢ وينابيع المودة ج ٢ ص ٤٨٧ والتحفة العسجدية ص ١٣٥ وغاية المرام ج ٥ ص ١٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٢٥٤ وج ٢١ ص ٢٩٦.

٢ . وعن فاطمة (عليها السلام)، قالت: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشية عرفة، فقال: إن الله تبارك وتعالى باهى بكم وغفر لكم عامة، ولعلي خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محاب لقرايتي، هذا جبرئيل يخبرني: أن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته. زاد في نص آخر: (إن الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد مماته)^(١).

١ - المعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٤١٥ والمناقب للخوارزمي ص ٧٨ والأُمالي للصدوق ص ٢٤٨ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٢ ودلائل الإمامة ص ٧٤ والأُمالي للمفيد ص ١٦١ والأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه ص ٣٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣ والعمدة لابن البطريق ص ٢٠٠ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٥٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٤٦٢ وبحار الأنوار ج ٢٧ ص ٧٤ وج ٣٩ ص ٢٥٧ و ٢٧٤ و ٢٨٤ وكشف الغمة ج ١ ص ٩٢ و ١٠٥ وج ٢ ص ٧٨ ونهج الإيمان ص ٤٥٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٢٥ و (ط دار الحديث) ج ١ ص ٥٨٥ عن معالم العترة النبوية، وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٤٣ وبشارة المصطفى ص ٢٣٧.

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: إن يوم عرفة قد شهد حدثاً هاماً يرتبط بالنص النبوي على إمامة علي (عليه السلام) .. ويأتي هذا الموقف من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشية ليلة في سياق الإعداد لما سيقوم به في اليوم التالي ..
ثانياً: إنه (صلى الله عليه وآله) قد ضمن كلامه ما يدل على أنه كان يتوقع اتهامه بمحاباة قرابته، لكي يسقطوا كلامه في حقه عن الاعتبار بالرغم من أن اتهاماً من هذا القبيل يُخرج من يطلقه عن دائرة التقوى، بل عن دائرة الإيمان، لتضمنه اتهام النبي (صلى الله عليه وآله) بالإنقياد إلى الهوى، وتجاوز ما يمليه عليه الوحي الإلهي، ليصبح (صلى الله عليه وآله) خارج دائرة العصمة، ولا يبقى مأموناً على ما أتمنه الله عليه ..
ثالثاً: إنه أخبرهم: بأن الله تعالى قد باهى بهم، وغفر لهم عامة، وباهى وغفر لعلي خاصة، وفي هذا النص كلام من عدة جهات، هي:

ألف: إن علياً (عليه السلام) معصوم لا يصدر منه الذنب، إلا إن كان المقصود الذنب الذي هو من قبيل ما ورد في أول سورة الفتح: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) (١).

حيث ثبت: أن المراد بالذنب: هو ما كان قومه يعدونه ذنباً، وهو مجيئه

١ - الآيات ١ و ٢ من سورة الفتح.

بهذا الدين. فإفهم غفروا له ذلك، وصاروا يعتبرونه فضلاً وسداداً.. شاهدنا على ذلك: أنه لو كان بالذنب معصية لما كافأه عليه بالفتح المبين، لأن المذنب يعاقب ولا يكافأ.
أو أن المراد: أن الله تعالى غفر لعلي ما يراه (عليه السلام) ذنباً في جنب الله، وإن لم يكن كذلك في الواقع. حيث يرى: أن عبادته لا تليق بمقام الألوهية الأقدس.. ويعتبر نفسه مذنباً ومقصراً في أداء واجبه..
ب: إن المراد بمغفرة ذنوبهم عامة: هو مغفرة ذنوب من تاب منهم وأناب، وعزم على عدم العود للمعاصي. أما المصير على معصية الله، وعلى مخالفة ما يأتي به نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ولا سيما فيما يرتبط بإمامة وصيه من بعده، فلا تشمل المغفرة، لا عموماً ولا خصوصاً.
رابعاً: إنه (صلى الله عليه وآله) قد ربط السعادة كل السعادة بحب علي (عليه السلام) في حياة علي وبعد موته.. ولم يزد على ذلك..

فهنا سؤالان:

أولهما: ما معنى التأكيد على حب علي (عليه السلام) في الحياة وبعد الممات؟!

ونجيب:

لعل السبب في تعميم الحب إلى ما بعد الممات: هو أن حبه في هذه الحالة يكون صادقاً وحقيقياً، وليس حباً مصلحياً، ولا متأثراً بمؤثرات خارجية، بل هو يحبه لأنه يراه مستحقاً للحب.. لا لشيء آخر.
الثاني: لقد اقتصر على ذكر الحب، ولم يشر إلى الطاعة والقبول بحكمه

وخلافته، لأن الحديث عن السعادة التامة في الدنيا والآخرة، وأي شيء آخر غير الحب قد لا يحققهما معاً، حتى الطاعة والإنقياد، فإن الإنسان قد يطيع الحاكم خوفاً، أو طمعاً، أو حباً بالسلامة، أو لغير ذلك.. أما الحب الحقيقي فهو يدعو للطاعة في الدنيا، ويجعله أهلاً لشفاعته في الآخرة.

وبعد ما تقدم نقول، وتوكل على خير مسؤول:

حديث عرفات:

ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) نصوصاً تدل على ما جرى للنبي (ﷺ) في

عرفات، وهي التالية:

ذكرت الروايات الصحيحة: أن رسول الله (ﷺ)، خطب الناس في حجة الوداع؛ في عرفة، فلما ذكر حديث الثقلين^(١)، ثم ذكر عدد الأئمة، وأنهم اثنا عشر، واجهته فئات من الناس بالضجيج والفوضى، إلى حد أنه لم يتمكن من إيصال كلامه إلى الناس.

وقد صرح بعدم التمكن من سماع كلامه كل من: أنس، وعبد الملك بن عمير، وعمر بن الخطاب، وأبي

جحيفة، وجابر بن سمرة^(٢)، ولكن رواية

١ - راجع: حديث الثقلين للوشنوي ص ١٣ وما ذكره من مصادر..

٢ - راجع: كشف الغطاء (ط. ق) ج ١ ص ٧ والسنة في الشريعة الإسلامية لمحمد تقي الحكيم ص ٦٣ والأمالى للصدوق ص ٣٨٧ و ٤٦٩ والخصال ص ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ وإكمال الدين ص ٦٨ و ٢٧٢ و ٢٧٣ وكفاية الأثر ص ٥١ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ = وشرح أصول الكافي ج ٢ ص ٢٤٠ و ج ٥ ص ٢٣٠ و ج ٧ ص ٣٧٤ وكتاب الغيبة للنعماني ص ١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ والغيبة للطوسي ص ١٢٨ و ١٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٤ والعمدة لابن البطريق ص ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤٢٠ و ٤٢١ والطرائف لابن طاووس ص ١٧٠ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٩٨ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٣٨١ و ٣٨٦ وسفينة النجاة للسرايى التنكابني ص ٣٨٥ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص ١٩٣ والملاحم والفتن لابن طاووس ص ٣٤٥ والمسلك في أصول الدين للمحقق الحلي ص ٢٧٤ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلي ص ٤١٨ وإعلام الوري ج ٢ ص ١٥٩ و ١٦٢ وكشف الغمة ج ١ ص ٥٧ و ٥٨ ومسنند أحمد ج ٥ ص ٨٧ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٨ ص ١٢٧ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٦ ص ٣ و ٤ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٩ وسنن الترمذي ج ٣ ص ٣٤٠ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٦١٧ و ٦١٨ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٢٠١ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ١٩٠ وفتح الباري ج ١٣ ص ١٨١ وعمدة القاري ج ٢٤ ص ٢٨١ ومسنند أبي داود الطيالسي ص ١٠٥ و ١٨٠ ومسنند ابن أبي الجعد ص ٣٩٠ والآحاد والمثاني ج ٣ ص ١٢٦ و ١٢٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥١٨ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٣ و ٤٤ و ٤٦ والمعجم الأوسط ج ٣ ص ٢٠١ وج ٦ ص ٢٠٩ والمعجم الكبير ج ٢ ص ١٩٥ = ١٩٦ و ١٩٧ و ٢١٤ و ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٣٢ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ وج ٢٢ ص ١٢٠ والرواة عن سعيد بن منصور لأبي نعيم الأصبهاني ص ٤٤ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٩٥ والكامل لابن عدي ج ٢ ص ٣٨٦ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٩٠ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢٤ وج ١٤ ص ٣٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ١٩١ وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ١٨٤ وج ١٤ ص ٤٤٤ وذكر أخبار إصبهان ج ٢ ص ١٧٦ والبداية والنهاية ج ١ ص ١٧٧ وج ٦ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١٢ ص ٣٠٢ و ٢٠٣ وبتأليف المودة ج ٣ ص ٢٨٩.

هذا الأخير، كانت أكثر صراحة ووضوحاً.

ويبدو أنه قد حدث بما جرى مرات عديدة، فرويت عنه بأكثر من طريق. وبأكثر من تعبير يشير إلى المعنى الثابت، ونختار بعض نصوص تلك الرواية . ولا سيما ما ورد منها في الصحاح والكتب المعتمدة، فنقول:

١ . في مسند أحمد؛ حدثنا عبد الله، حدثني أبو الربيع الزهراني، سليمان بن داود، وعبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن أبي بكر المقدمي، قالوا: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) بعرفات . وقال المقدمي في حديثه: سمعت رسول الله (ﷺ) يخطب بمنى.

وهذا لفظ حديث أبي الربيع: فسمعتة يقول:

(لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً، حتى يملك اثنا عشر كلهم . ثم لغط

القوم، وتكلموا. فلم أفهم قوله بعد (كلهم)؛ فقلت لأبي: يا أبتاه، ما بعد كلهم؟! قال: (كلهم من قريش)^(١).

وحسب نص النعماني: (وتكلم الناس، فلم أفهم، فقلت لأبي..)^(٢).

٢. عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): (لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً، يُنصرون على من ناوهم عليه إلى اثني عشر خليفة. قال: (فجعل الناس يقومون ويقعدون)^(٣).

١- مسند أحمد ج ٥ ص ٩٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٣٤ و ٣٧ وكتاب الغيبة للنعماني ص ١٢٣ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ١٩٦ وراجع: الأمالي للصدوق ص ٣٨٧ والخصال ص ٤٧٥ وكمال الدين ص ٢٧٣ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣١ و ٢٤١ وغاية المرام ج ٢ ص ٢٧١.

٢- الغيبة للنعماني ص ١٢١ و ١٢٢ وعن عوالم العلوم ص ١٠٦/١٥٣ ح ١٦.

٣- مسند أحمد ج ٥ ص ٩٩ وراجع ص ٩٨ و ١٠١ والغيبة للنعماني ص ١٠٥ والغيبة للطوسي ص ١٢٩ وإعلام الوري ص ٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ١٦٢ والإستنصار لأبي الفتح الكراچكي ص ٢٥. وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣٧ و ٢٩٩ وراجع ص ٢٣٥ و ٢٦٨ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص ٤١٨ ومنتخب الأثر ص ٢٠ وغاية المرام ج ٢ ص ٢٥٤ و ٢٧٥ وراجع ص ٢٧٤ والخصال ص ٤٧٠ و ٤٧٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٥٠ والملاحم والفتن لابن طاووس ص ٣٤٥ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٥.

زاد الطوسي: (وتكلم بكلمة لم أفهمها، فقلت لأبي، أو لأخي:...) (١).
وفي حديث آخر عن جابر بن سمرة صرح فيه: (أن ذلك كان في حجة الوداع) (٢).
ومن المعلوم: أن النبي (ﷺ) لم يحج إلا هذه الحجّة.. (٣).

-
- ١- الغيبة للطوسي ص ٨٨ و ٨٩ و (ط مؤسسة المعارف الإسلامية) ص ١٢٨ و ١٢٩ وكتاب الغيبة للنعماني ص ١٠٥ وإعلام الوري ص ٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ١٦٢ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣٧ و ٢٩٩ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص ٤١٨ ومنتخب الأثر ص ٢٠ وغاية المرام ج ٢ ص ٢٥٤ و ٢٧٥.
- ٢- مسند أحمد ج ٥ ص ٨٧ والثقات لابن حبان ج ٧ ص ٢٤١.
- ٣- راجع: السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج ٣ ص ٢٨٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية أيضاً) ج ٣ ص ٢ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٣٥٢ ومسند زيد بن علي ص ٢٢٠ وعمدة القاري ج ٤ ص ٢٧١ وج ٩ ص ١٢٥ وج ١٨ ص ٣٦ و ٤٠ و ٤١ وج ٢٥ ص ٦٢ وشرح مسلم للنووي ج ٨ ص ٢٣٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٤ ص ٣٣١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٤٢ واختلاف الحديث للشافعي ص ٥٦٨ ومعرفة السنن والآثار ج ٣ ص ٥١٥ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٦٣ ومسند أبي يعلى ج ٤ ص ٢٣ وعون المعبود ج ٥ ص ١٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٤٢ وج ٦ والكافي ج ٤ ص ٢٤٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٩٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ١٨٧ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٦ ص ١٧٤.

٣ . عن جابر بن سمرة، قال: (خطبنا رسول الله ﷺ) بعرفات؛ فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً، ظاهراً على من ناواه حتى يملك اثنا عشر، كلهم . قال: فلم أفهم ما بعد . قال: فقلت لأبي: ما قال بعد كلهم؟

قال: (كلهم من قريش)^(١) .

وعن أبي داود وغيره: - وإن لم يصرح بأن ذلك كان في عرفات . زاد قوله: كلهم تجتمع عليه الأمة، فسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه، فقلت لأبي...^(٢) .

١ - مسند أحمد ج ٥ ص ٩٣ وفي ص ٩٦ في موضعين وص ٩٨ و ١٠١، وكتاب الغيبة للنعماني ص ١٢٣ والإكمال في أسماء الرجال ص ٣٤ و ١٨٣ .

٢ - سنن أبي داود السجستاني ج ٤ ص ١٠٦ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٣٠٩ ومسند أبي عوانة ج ٤ ص ٤٠٠ وتاريخ الخلفاء ص ١٠ و ١١ وراجع: فتح الباري ج ١٣ ص ١٨١ وكرر عبارة "كلهم تجتمع عليه الأمة" في ص ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ . وذكرها أيضاً في: الصواعق المحرقة ص ١٨ وفي إرشاد الساري ج ١٠ ص ٢٧٣ وبنابيع المودة ص ٤٤٤ و(ط دار الأسوة) ج ٣ ص ٢٨٩ .

وراجع: الغيبة للطوسي ص ٨٨ و الغيبة للنعماني ص ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ والبحار ج ٣٦ ص ٣٦٥ وسفينة النجاة للسرايبي التنكابني ص ٣٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ١٨ و ج ١٩ ص ٦٢٩ .

وفي لفظ آخر: (كلهم يعمل بالهدى ودين الحق)^(١).

وفي بعض الروايات: ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟
قال: قال: (كلهم من بني هاشم)^(٢).

٤. وذكر في نص آخر: أن ذلك كان في حجة الوداع، وقال:

ثم خفي عليّ قول رسول الله (ﷺ)، وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله (ﷺ) مني؛ فقلت: يا
أبتاه، ما الذي خفي عليّ من قول رسول الله (ﷺ)؟!
قال: يقول (كلهم من قريش).

قال: فأشهد على إفهام أبي إتياني: قال: (كلهم من قريش)^(٣).

١- الخصال ج ٢ ص ٤٧٤ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٤٧٤ و عيون أخبار الرضا "عليه السلام" للصدوق ج ٢ ص ٥٥ والبحار ٣٦ ص ٢٤٠ عنه وعن عيون أخبار الرضا "عليه السلام". وفتح الباري ج ١٣ ص ١٨٤ وعمدة القاري ج ٢٤ ص ٢٨٢ وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ١٨٩ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٨٠ وإمتاع الأسماع ج ١٢ ص ٣٠٦ وشرح إحقاق الحق ج ١٣ ص ٤٧ وج ١٩ ص ٦٢٩.

٢- ينابيع المودة ص ٤٤٥ و (ط دار الأسوة) ج ٢ ص ٣١٥ وج ٣ ص ٢٩٠ عن كتاب: مودة القرني للسيد علي الهمداني (المودة العاشرة) وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٣٠ عن مودة القرني (ط لاهور) ص ٤٤٥.

٣- مسند أحمد ج ٥ ص ٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٣٢.

٥ . وبعد أن ذكرت رواية أخرى عنه حديث أن الأئمة اثنا عشر قال: ثم تكلم بكلمة لم أفهمها، وضع الناس؛ فقلت لأبي: ما قال؟^(١).

٦ . ولفظ مسلم عن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله (ﷺ)، ومعني أبي؛ فسمعتة يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة؛ فقال كلمة صمّنيها الناس.

فقلت لأبي: ما قال؟

قال: (كلهم من قريش)^(٢).

وعند أحمد وغيره: فقلت لأبي . أو لابني .: ما الكلمة التي أصمّنيها الناس؟!.

قال: (كلهم من قريش)^(٣).

٧ . وعن جابر بن سمرة قال: كنت عند النبي (ﷺ)، فقال: يلي هذا الأمر اثنا عشر، فصرخ الناس؛

فلم أسمع ما قال، فقلت لأبي

١ - مسند أحمد ج ٥ ص ٩٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٣٥.

٢ - صحيح مسلم ج ٦ ص ٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ١ عنه، والعمدة لابن البطريق ص ٤٢١ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٤١٨ الإكمال في أسماء الرجال ص ٣٤.

٣ - مسند أحمد ج ٥ ص ١٠١ والخصال ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٣٩ والبحار ج ٣٦ ص ٢٣٥ وراجع: النهاية في اللغة ج ٣ ص ٥٤ ولسان العرب ج ١٢ ص ٣٤٣ ونقل عن كتاب: القرب في محبة العرب ص ١٢٩.

. وكان أقرب إلى رسول الله (ﷺ) مني . فقلت: ما قال رسول الله؟

فقال: قال: (كلّهم من قريش، وكلهم لا يُرى مثله)^(١).

٨ . ولفظ أبي داود: فكبر الناس، وضجوا، ثم قال كلمة خفية..^(٢).

ولفظ أبي عوانة: فضح الناس.

وقد قال النبي (ﷺ) كلمة خفيت عليّ..^(٣).

وعلى كل حال.. فإن حديث الاثني عشر خليفة بعده (ﷺ)، والذي قال فيه (ﷺ) كلمة لم

يسمعا جابر، وغيره . ممن كان حاضراً، وروى الحديث.. أو لم يفهما، أو خفض بها صوته، أو خفيت

عليه، أو نحو ذلك . إن هذا الحديث . مذكور في كثير من المصادر

١ - إكمال الدين ج ١ ص ٢٧٢ . ٢٧٣ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٦٨ و ٢٧٣ والخصال ج ٢ ص ٤٧٣ وراجع: البحار ج ٣٦ ص ٢٣٩ .

٢ - سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٦ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٣٠٩ ومسنند أحمد ج ٥ ص ٩٨ وفتح الباري ج ١٣ ص ١٨١ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٩٥ وإرشاد الساري ج ١٠ ص ٢٣٧ والبحار ج ٣٦ ص ٣٦٥ تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٩ ص ٩٤ .

٣ - مسند أبي عوانة ج ٤ ص ٣٩٤ والخصال ج ٢ ص ٤٧١ والبحار ج ٣٦ ص ٢٣٦ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٦١٧ والمعجم الكبير ج ٢ ص ١٩٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٢٩ و ٤١ .

والمراجع، فليراجعها طالبها^(١).

ونقول:

إن ملاحظة الحدث المتقدم: تفرض على الباحث التأمل ملياً في كل ما جرى، فإنه على درجة عالية جداً من الخطورة، ونستطيع نحن أن نفتح للقارئ باب التأمل من خلال لفتات ولحاح نشير إليها ضمن العناوين التالية:

علي (عليه السلام) امتداد للرسول (ﷺ):

وذكرت الروايات: أن النبي (ﷺ) خطب الناس في منى،

١- راجع المصادر التالية: صحيح مسلم ج ٦ ص ٣ بعدة طرق، ومسند أحمد ج ٥ ص ٩٣ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٨٩ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و مسند أبي عوانة ج ٤ ص ٣٩٤ وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣٣٣ وإعلام الورى ص ٣٨٢ والعمدة لابن البطريق ص ٤١٦ . ٤٢٢ وإكمال الدين ج ١ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ والخصال ج ٢ ص ٤٦٩ و ٤٧٥ وفتح الباري ج ١٣ ص ١٨١ . ١٨٥ والغيبة للنعماني ص ١١٩ . ١٢٥ وصحيح البخاري ج ٤ ص ١٥٩ وينابيع المودة ص ٤٤٤ . ٤٤٦ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢٦ و ج ١٤ ص ٣٥٣ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٦١٨ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامش المستدرک) نفس الصفحة، ومنتخب الأثر ص ١٠ . ٢٣ عن مصادر كثيرة، والجامع الصحيح ج ٤ ص ٥٠١ وسنن أبي داود ج ٤ ص ١١٦ وكفاية الأثر ص ٤٩ إلى آخر الكتاب، والبحار ج ٣٦ ص ٢٣١ إلى آخر الفصل، وإحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ١٠٠ . عن مصادر كثيرة..

وخطبهم في عرفات، ولكن قد ظهر أن ثمة فرقاََ قد ظهر بين الموقفين..
فقد أظهر الله الكرامة للنبي (ﷺ) في منى.. ولم يحصل مثل ذلك في عرفات.
فقد ذكروا: أن النبي (ﷺ) كان في منى يخطبهم، ويصل صوته إلى كل من كان في منى^(١).
ولكنه حين خطبهم في عرفات كان (ﷺ) يخطبهم وكان علي (عليه السلام) يقف في مكان آخر، ويوصل
كلامه إلى من هم في الجهة الأخرى^(٢).

١- راجع المصادر المتقدمة في الفصل السابق.

٢- راجع: مسند أحمد ج ٣ ص ٤٧٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٨ ص ٤ و ٥ وأسد الغابة ج ٢
ص ١٥٥ وج ٥ ص ١١ وتهذيب الكمال ج ٩ ص ٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٩٦ وأدب الإملاء والإستملاء ص ١٠١
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٣٤٣ و (ط دار الفكر) ج ٣ ص ٢٤٧ وج ٥ ص ١٤٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٤٤٣
والمعجم الكبير ج ٥ ص ١٩ وإمتاع الأسماع ج ٦ ص ٣٨٩ والمغني لابن قدامة ج ١ ص ٦٢٤ وتحفة الأحوزي ج ٥ ص ٣١٩ وسبيل
الهدى والرشاد ج ٧ ص ٣١٢ و ٣١٤ وج ٨ ص ٢١٢ وج ٩ ص ١٣٨ وتلخيص الخبر لابن حجر ج ٤ ص ٦٢١ وسنن أبي داود
ج ١ ص ٤٣٧ وج ٢ ص ٢٦٣ ونيل الأوطار ج ٢ ص ٩٠ وكشف اللثام (ط.ج) ج ٦ ص ٧٨ و (ط.ق) ج ١ ص ٣٥٦ والمجموع
للنووي ج ٨ ص ٩٠.

وقد يمكن أن نستفيد من هذا: أن رسول الله (ﷺ) كان في المواضع المشابهة من حيث كثرة الحاضرين، يمارس هذه الطريقة لإبلاغ كلامه. أي أنه كان يجعل في الجهة الأخرى من يبلغ كلامه لمن هو بعيد عنه..

ولعل من إشارات هذا الحدث:

أولاً: إرادة الإيحاء بأن علياً (عليه السلام) امتداد لرسول الله (ﷺ) في حياة الرسول وبعد مماته.
ثانياً: إنه تعالى قد تعامل مع الناس هنا - أي في عرفات - بمنطق المؤلف لهم، دون أن يمارس أي نوع من التصرف الغيبي ليفسح لهم المجال للتعبير عن موقفهم، وإظهار دخائل أنفسهم، حيث إنهم قد يجمعون عن ذلك رهبة وخوفاً حين يرون آثار الغيب..

مكان خطبة الرسول (ﷺ):

اختلفت الروايات في المكان الذي خطب فيه الرسول (ﷺ)، وتصدت له قريش، هل هو: المسجد^(١)، أو منى، أو عرفات كما تقدم؟!

١- راجع بالنسبة لخصوص هذه الطائفة من الروايات: الخصال ج ٢ ص ٤٦٩ و ٤٧٢ وكفاية الأثر ص ٥٠ ومسنند أبي عوانة ج ٤ ص ٣٩٨ وإكمال الدين ج ١ ص ٢٧٢ وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣٣٣ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣٤ و ٢٦٩ و ٣٦٣ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ١٩٧ ومنتخب الأثر ص ١٩ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٥١ وغاية المرام ج ٢ ص ٢٥١ و ٢٧٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ١٧ و ٣٣ و ج ٢٩ ص ٩٥.

وهل حدث ذلك ثلاث مرات، فكان (ﷺ) يواجه بالضجيج والفوضى؟! أم هي مرة واحدة؟!
اختلف الرواة في تحديدها بسبب النسيان! مع العلم بأن حدثاً كهذا لا ينسى! أم أن الاختلاف في
التحديد نشأ عن تلاعب متعمد، يهدف إلى التلاعب بالحقيقة، وجعلها موضع شبهة؟!
كل ذلك محتمل، وقد يؤكد لنا احتمال التعمد: أن حدثاً كهذا شهده عشرات الألوف من الناس،
الذين كانوا يتحركون بحركة رسول الله (ﷺ)، ويطبِقون أعمالهم على عمله، ويهتمون بعدم الإبتعاد عنه
حتى لا يفوتهم شيء مما يصدر منه، لا بد أن نتوقع أن يرويه لنا المئات، وليس العشرات من الناس
وحسب.. فلماذا لم ينقله لنا إلا قلة قليلة جداً، إذا قيسوا إلى ما نتوقعه في مثل هذه الحالات؟!
وإن كان هذا الحدث قد تكرر، فالمتوقع أن يشير رواته إلى هذا التعدد، حتى لو قل عددهم.
وقد يؤيد هذا التعدد أيضاً تصريحهم بأنه (ﷺ) خطب في حجة الوداع خمس خطب: في مكة، وفي
عرفات، ويوم النحر بمنى، ويوم النفر بمنى، ويوم النفر الأول أيضاً.
كلهم من قريش:

ونحن على يقين من أن قريشا لا تغضب لو اقتصر (ﷺ) على كلمة: (كلهم من قريش)، ولكنها
كانت تعلم: أن الأمر سيتجاوز ذلك إلى ذكر بني هاشم، ثم التصريح باسم من لم تنزل قريش

تكرهه وتبغضه . كما دلت عليه النصوص الكثيرة^(١) . لا سيما وأنه (ﷺ) قد ذكر حديث الثقلين في نفس خطبته، وكان ولا يزال يصرح لهم بإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده .

وهذا الإبلاغ لو تم في عرفات وفق ما رسم له، فسوف لا تبقى لمناوئي علي (عليه السلام) أية فرصة للتخلص أو التملص، والمناورة، وسوف يتحتم عليهم تجرع الغصة، وتضيق منهم الفرصة، فلا بد لهم من درء هذا الخطر الداهم، فحاولوا قطع كلامه، فلم يمكنهم ذلك، وضجت قريش وعجت، وكذلك فعل أنصارها ومحبوها، حتى لا يتمكن أحد من سماع ما يقول رسول الله (ﷺ) .

وهكذا كان، فلم يسمع جابر كلمة (كلهم من قريش)، ويبدو أن كلمة: كلهم (من بني هاشم)، قد جاءت بعدها، فلم يسمعها أيضاً إلا أقل القليل .

التمرد على الرسول (ﷺ):

هذا.. وقد كانت هناك قلة من الصحابة تلتزم بأوامره (ﷺ)، وتنتهي بناهيه، وتضع نفسها في موقع التسليم والرضا، والأكثر هم أصحاب الطموحات، وطلاب اللبانات، أو من الذين غلبوا على أمرهم فاستسلموا، بل إن الأكثرية الساحقة من هؤلاء الحاضرين إنما

١- راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم "ﷺ" ج ٣١ ص ١٣٥-١٥٨ .

أعلنت إسلامها بعد فتح مكة.

وكان من بين هؤلاء ثلة كانوا يتبركون بفضل وضوء رسول الله (ﷺ)، وحتى ببصاقه، ونخامته، ويدعون الحرص على امتثال أوامر الله سبحانه بتوقيره، وبعدم رفع أصواتهم فوق صوته^(١)، وبالتأدب

١- راجع الآيتين ١ و ٢ من سورة الحجرات.

وقد ورد أنّ هذه الآيات نزلت حينما حصل اختلاف فيما بين أبي بكر وعمر حول تأمير بعض الأشخاص. فقد روي: أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي (ﷺ)، فقال أبو بكر: أمر القعقاع معبد بن زرارة. وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس. قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي.

قال عمر: ما أردت خلافاً.

فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) إلى قوله تعالى: (..أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) [الآيتان ١ و ٢ من سورة الحجرات].

ويلاحظ: (أن المراد من الإيمان قوله تعالى في الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا؟ هو الإيمان بمعناه العام - أي إظهار الإسلام - لا الخاص. ويدل على ذلك قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) [الآية ١٣٦ من سورة النساء].

راجع في الحديث الذي ذكرناه آنفاً: الدر المنثور ج ٦ ص ٨٣ - ٨٤ عن البخاري، = وابن المنذر، وابن مردويه، وأسباب النزول ص ٢١٨ و (ط أخرى) ص ٢٥٧ وصحيح البخاري ج ٣ ص ١٢٢ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١١٦ و ج ٦ ص ٤٧ والجامع الصحيح ج ٥ ص ٣٨٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ولباب التأويل ج ٤ ص ١٦٤ وفتح القدير ج ٥ ص ٦١ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٣٠٠ - ٣٠١ وغرائب القرآن (مطبوع بحامش جامع البيان) ج ٢٦ ص ٧٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ١٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٧٨ وسنن النسائي ج ٨ ص ٢٢٦ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٩ و ج ١٩ ص ١٨١ و ١٨٤ وتحفة الأحمدي ج ٩ ص ١٠٨ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٦٥ و ج ٦ ص ٤٦٦ ومسند أبي يعلى ج ١٢ ص ١٩٣ وشرح معاني الآثار ج ٤ ص ١٧٢ وزاد المسير ج ٧ ص ١٧٧ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٧٠ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٢٠٩ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٧ ص ٤٠١ والإحكام لابن حزم ج ٦ ص ٨٠٤ وتفسير الألوسي ج ٢٦ ص ١٣٣ ولباب النقول ص ١٧٨ وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٢٦٧ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٧٨ والطرائف ص ٤٠٣ وعين العبرة في غبن العترة ص ٤ والغدير ج ٧ ص ٢٢٣.

معها، وبأن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله .. و ..
لكن الذي حدث أن نفس هؤلاء بمجرد إحساسهم بأنه (ﷺ) يريد الحديث عن الأئمة الاثني عشر،
وبيان مواصفاتهم . ويتجه نحو تحديدهم بصورة أدق، وأوفى وأتم . قد ثارت ثائرتهم . وذلك بسبب خشيتهم
من إعلان إمامة من لا يرضون إمامته، وخلافة من يرون أنه قد

وترهم، وأباد خضراءهم في مواقفه المشهورة، دفاعاً عن الحق والدين . ألا وهو علي أمير المؤمنين (عليه السلام)،
فظهر حقدهم، وعلا ضجيجهم، وزاد صخبهم، ومن التعبيرات التي وردت في الروايات واصفة حالهم:
(ثم لغط القوم وتكلموا)^(١) .

أو: فلم أفهم قوله بعد (كلهم)، فقلت لأبي: ماذا قال؟! الخ..

أو: (وتكلم الناس فلم أفهم)^(٢) .

أو: (وضح الناس)^(٣) .

أو: (فقال كلمة أصمّنيها الناس)^(٤) .

-
- ١- مسند أحمد ج ٥ ص ٩٩ والمعجم الكبير ج ٢ ص ١٩٦ وكتاب الغيبة للنعماني ص ١٢٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٣٤ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٥٩٥ وج ٣ ص ٧٢٧ .
 - ٢- الغيبة للنعماني ص ١٢١ وعوالم العلوم ص ١٥٣ / ١٠٦ ح ١٦ .
 - ٣- مسند أحمد ج ٥ ص ٩٣ ومسند أبي عوانة ج ٤ ص ٣٩٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٢٩ و ٣٥ .
 - ٤- راجع: مسند أحمد ج ٥ ص ٩٨ و ١٠١ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٤ والخصال ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧٢ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣٥ و ٢٦٦ و ٣٦٢ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٣ ص ٥٤ ولسان العرب ج ١٢ ص ٣٤٣ وإثبات الهداة ج ١ ص ٥٣٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٣٩ وسفينة النجاة للسراي التنكابني ص ٣٨٦ والعمدة لابن بطريق ص ٤٢١ .

- أو: (صمّنيها الناس)^(١) .
وفي نسخة: (صمّنتيها الناس)^(٢) .
أو: (فصرخ الناس، فلم أسمع ما قال)^(٣) .
أو: (فكبر الناس، وضجوا)^(٤) .
أو: (فجعل الناس يقومون، ويقعدون)^(٥) .

- ١- راجع: العمدة لابن البطريق ص ٤١٨ و ٤٢١ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٤ والديباج على مسلم ج ٤ ص ٤٤٠ والإكمال في أسماء الرجال ص ٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ١ .
٢- راجع: شرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٢٠٣ والديباج على مسلم ج ٤ ص ٤٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٩ ص ٩٣ .
٣- الخصال ص ٤٧٣ وإكمال الدين ج ١ ص ٢٧٢ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٦٨ و ٢٧٣ وإثبات الهداة ج ١ ص ٤٩٤ و ٥٠٧ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣٩ .
٤- مسند أحمد ج ٥ ص ٩٨ وسنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٦ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٣٠٩ وفتح الباري ج ١٣ ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٦٥ وإرشاد الساري ج ١ ص ٢٧٣ والكفاية للخطيب البغدادي ص ٩٥ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢٤ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٢٠ و ج ٢٩ ص ٩٤ .
٥- مسند أحمد ج ٥ ص ٩٩ وإثبات الهداة ج ١ ص ٥٤٦ والخصال ج ٢ ص ٧٥ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣٧ و ٢٩٩ وكتاب الغيبة للنعماني ص ١٠٥ وإعلام الوري ص ٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ١٦٢ وتقريب المعارف لأبي الصلاح = = الحلبي ص ٤١٨ والغيبة للطوسي ص ٨٨ و ٨٩ و (ط مؤسسة المعارف الإسلامية) ص ١٢٩ وغاية المرام ص ١٩٤ ومنتخب الأثر ص ٢٠ .

المجتمعون في منى وعرفات:

١ . المجتمعون في موسم الحج هم من كل بلد، وحي، وقبيلة. قدموا ليحجوا مع أكرم وأعظم وأشرف خلق الله، الذي يتمنى كل أحد أن يراه ولو مرة واحدة في حياته، ولو من بعيد.. وهم حين يرجعون من سفرهم هذا المخفوف بالأخطار سيحدثون بكل ما مر بهم، وسيصغي إليهم الناس بشغف وشوق لكل كلمة كلمة، وسيلذ لهم كل حديث منهم حتى لو كان في الظروف العادية لا يعني لهم شيئاً.. فكيف إذا كانوا يحدثونهم عن أعظم نبي، وأقدس وأعلى، وأشرف وأفضل مخلوق في الدنيا؟!!

والذين رأوه (ﷺ) في حجته تلك ستبقى الذكريات محفورة في قلوبهم طيلة حياتهم، وسيحرص الناس بدورهم على استخراج كل كلمة من أولئك الحجاج، وسيتملونها بدقة وشغف وحرص.. فإذا رأى هؤلاء وأولئك أن أقرب الناس إلى الرسول، الذين يدعون التقوى، والزهد والعلم، والمكانة عنده، والأثرة لديه، يعاملونه بطريقة تخالف أبسط قواعد الأدب، وبنحو يمس قداسته، ويقوض هيئته، ويبطل تدبيره، فإن ذلك سيكون له وقع الصاعقة عليهم..

٢ . وإذا كان هذا هو السفر الأخير الذي يرون فيه الرسول، فسيكون

حرصهم على وعي ما يجري فيه أشد وأكد، لأن ذكراه ستكون عزيزة، ومقرونة بمؤثر عاطفي، خصوصاً بعد أن يفقد رسول الله (ﷺ) من بينهم، أو يصلهم خبر وفاته بعد أيام يسيرة من وصول بعضهم إلى بلده، أو قبل أن يصلوا إلى ديارهم بالنسبة للبعض الآخر..

٣ . إن ما ذكرناه يشير إلى أنه (ﷺ) كان يريد أن يصل ما يروونه ويسمعونه إلى كل بلد، وحي، وبيت دخل إليه الإسلام، ولن يستطيع أحد التمويه أو التشويه، فالناس قد رأوا الوقائع بأنفسهم، ووعوها ونقلوها إلى أهلهم وإخوانهم، ولن يمكن مصادرة هذه المعرفة منهم، ولا منعها من الإنتشار والوصول، فقد وصلت وانتهى الأمر..

٤ . إنه مهما ادعى ذلك الفريق لنفسه بعد ذلك من الطاعة والإنقياد لرسول الله، ومن التقوى والزهد، أو ادعى تغير الأحوال، وعدول النبي (ﷺ) عن تديره الأول فقد أصبح الشك في صحة كل ما يقوله هؤلاء المتجرؤون ممكناً، وإذا جاء الناس ما يدل على خلافه، لم يكن مستغرباً ولا مستهجناً..
من هم المتجرؤون؟!:

هناك أكثرية صامتة ومستضعفة منصرفة إلى أعمالها، ومنشغلة بتحصيل لقمة عيشها، وفيها الكثير من البسطاء والسذج ممن ليس له بصر بالسياسة، ولا يعرف الكثير عن ألعيب الساسة، بل هو ينقاد لكل قائد، ويخضع لكل متسلط، بدءاً من كبير العائلة، إلى رئيس العشيرة، ثم الوالي، وانتهاءً بأي ملك وحاكم، سواء أكان نبياً أم جباراً.

ولا نريد هنا أن نتحدث عن هذه الأثرية، بل نريد أن نتحدث عن الناشطين في المجتمع الإسلامي في حياة النبي (ﷺ) فنقول:

هناك فريق من الصحابة عرف عنهم التزامهم بالحق، ومناصرته، وعدم تخطيه، وهم أفاضل الصحابة، وأمثالهم، كسلمان وعمار، والمقداد، وأبي ذر، وأبي الهيثم بن التيهان، وثلة من بني هاشم، وآخرين، وعلى رأس هؤلاء جميعاً علي (عليه السلام).. وقد دلت سيرتهم على صدق التزامهم واستقامتهم.

وهناك فريق آخر التزم طريق النفاق، وإظهار الطاعة والإيمان، وإبطان الخلاف.. وقد كثر هؤلاء بعد فتح مكة حيث رجح الكثيرون اللجوء إلى التزيث والمجارات بانتظار مرور ما اعتبروه عاصفة لا بد لهم من الإنحاء لها، وبعد أن تعود المياه إلى مجاريها، يكون لكل حادث حديث.

وهناك فريق ثالث يهتم بمصالحه، ويسعى لتحقيق طموحاته التي أذكأها التوسع الهائل، والإنتشار السريع للإسلام، وما جلب ذلك لهم منافع، وما بسط لهم من نفوذ. ولا يهم هذا الفريق كثيراً ما يجري حوله خارج هذا السياق..

ولا شك في أنه كان من بين هؤلاء من يريد أن يحتفظ بلبوس الدين، وأن يراعي أحكامه، وأن يعمل بشرائعه، ولكنه انساق وراء تقديرات خاطئة، أو خضع لضغوط أجواء وتأثير محيط موبوء.

ولم يكن هذان الفريقان يرتاحان لتأكيدات النبي (ﷺ)

على مقام وفضل علي (عليه السلام)، ولا سيما ما كان يعلنه من وزارته له، ووصايته وإمامته من بعده.. ولشدَّ ما كانا ينزعجان وبجرحان وهما يواجهان الآيات القرآنية التي كانت تنزل في حقه (عليه السلام)، وبيان فضله، والتنويه بمقامه، وجهاده وتضحياته..

قريش هي السبب:

وكان المهاجرون هم حملة لواء المناوأة لعلي (عليه السلام)، والساعون لانتزاع الخلافة منه بكل قوة وعزم، وبعد الفتح كثر حولهم المنحرفون عنه، والحاقدون عليه، بعد أن أبطل كيدهم، وخضد شوكتهم. وكان عامة أهل مكة ومحيطها يسيرون في هذا الإتجاه.. ومن ورائهم الكثير الكثير من القبائل والفتات التي أعلنت إسلامها أو استسلامها في سنة تسع وعشر من الهجرة، أي قبل فترة يسيرة جداً، ولم يتفقهوا بعد في الدين، ولا فهموا معانيه، ولا طبقوا أحكامه، ولا تربوا على مفاهيمه، ولا استبان لهم حقائقه ودقائقه..

فاستفاد من هؤلاء المهاجرون القرشيون الطامحون والطامعون، الذين ذهبوا إلى الحج وهم بضع عشرات، كما استفادوا من أجواء مكة ومحيطها. فإنهم يعتبرونها وما وراءها الرصيد الأكبر، والثقل الحقيقي، والعضد القوي لهم، فبادروا إلى مواجهة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك القدر من الجفاء، وبهذه الحدة!

أضواء على ما جرى في عرفة:

- ونلاحظ: أن ما جرى في عرفة.. وما صدر من أولئك الناس من إساءات وأذى لرسول الله (ﷺ).. قد أسهم إسهاماً كبيراً في تعريف الأمة بالتقوى والصدق. وتمييزه عن المتآمر الطامح لما ليس له، المتجرب على رسول الله (ﷺ)، والساعي لتحقيق مآربه الخاصة بكل ثمن..
- وقد توفرت عناصر كثيرة جعلت هذا الأمر من أوضح الواضحات لكل الناس: كبيرهم، وصغيرهم، عالمهم، وجاهلهم، مؤمنهم، وفاسقهم، ونذكر من هذه العناصر ما يلي:
١. إن يوم عرفة هو يوم يجتمع فيه الحجيج كله في صعيد واحد.. ولا يجوز لهم الخروج منه، والتفرق عنه.. أما في منى، أو في مكة، فالناس يتفرقون في حاجاتهم العبادية أو غيرها..
 ٢. إنه يوم عبادة وابتهاال، ودعاء ومناجات، وطلب حوائج الدنيا والآخرة، وإظهار الندم، والتوبة والإستغفار..
 ٣. وهو يوم يهتم فيه الإنسان بنفسه وبمصيره، وتصفية حساباته مع ربه، ولا يهتم فيه بالدنيا وحطامها، ولا يمارس فيه السياسة، ولا يسعى فيه لنيل المقامات الدنيوية.
 - وهو يوم يهيء الإنسان لإلتزام جادة التقوى، والإنسجام مع الأوامر الإلهية، والإنضباط على أساسها، والخضوع للمشيئة الربانية.
 ٤. وقد لفت النبي (ﷺ) نظرهم إلى فضل هذا اليوم،

فأقروا له . كما جاء في خطبة عرفة في حجة الوداع حين سألهم عن يومهم، وعن شهرهم، وغير ذلك ..
٥ . وهو يوم لا نظير له في حياة هؤلاء الناس، لأنهم يجتمعون بحضور، وبرعاية خير خلق الله، وأشرف، وأقدس، وأفضل المخلوقات .

فإذا بادر النبي (ﷺ) إلى بيان أمر ما في هذا اليوم، فلا بد أن يروا أنه من الأمور الهامة جداً، في دنياهم وفي آخرتهم .. ويرى كل فردٍ فردٍ منهم أن عليه أن يهتم بكل توجيه وكل كلمة تصدر منه وعنه (ﷺ)، ويلاحقها بدقة وابتباه فائق ..

فإذا رأى أن أصحاب هذا النبي (ﷺ) في هذا المقام بالذات يتمردون عليه، ويسئئون الأدب معه، وهم يدعون التقوى، والورع والإخلاص، والتوبة، و .. و .. فإن ذلك سيشكل مفاجأة له تصل إلى حد الصدمة .

٦ . للإحرام خصوصيته أيضاً، فالجميع في عرفة وهو المكان المقدس، وكلهم على صفة الإحرام . الذي انعقد بتلبيتهم داعي الله، وبراءتهم من الشرك، والإقرار بالمملوكية له تعالى، ومالكيته لكل شيء .. وبأن الحمد والنعمة له تعالى .

وفي الإحرام يمتنعون عن الملذات، ويمارسون تجربة السيطرة على أنفسهم، وعلى دوافعهم الغريزية، والإمتناع عن إيذاء أي مخلوق، حتى النملة والقملة ..
ويشعرون بمساواة لفقيرهم، والملك بالسوق، والعبد بالسيد،

والعالم بالجاهل أمام محكمة العدل الإلهية ..

فهل يعقل بعد هذا أن يؤذوا رسول الله، أو أن يظلموا أيا من عباد الله، أو أن يتمردوا على الله، أو أن يطمعوا بالدنيا، ويؤثروها على الآخرة؟!!

٧ . وفي موسم الحج يأتي الناس من كل حي وقبيلة وبلد، وينقلون ما رأوه، وما سمعوه لمن وراءهم .. ولا بد أن يحجزهم هذا ويردعهم عن الإنسياق وراء الإنفعالات الطائشة، ويصددهم عن التصرفات المشينة ..

٨ . إن وجود الرسول يساعد على فهم ما يجري وعلى نشره على أوسع نطاق، كما شرحناه فيما سبق.

٩ . قد تمازج الحدث المثير للإستهجان والإستغراب مع المشاعر العاطفية والروحانية، والبُعد العقيدي

حيث سيعقبه بفترة وجيزة ارتحال رسول الله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ..

ومن الواضح: أن العلاقة بالحدث حين تتراقق مع هزة مشاعرية وعاطفية، فإنها تصبح أكثر صفاء

وعمقاً ورسوخاً، وأبعد أثراً في مجال الإلتزام والوفاء ..

١٠ . إن للمكان أيضاً خصوصيته، فإنه من أقدس الأماكن.

١١ . وللزمان أيضاً خصوصيته، فإن الحدث جاء في يوم من أيام الله الكبرى.

١٢ . وللمناسبة دورها، فإن الحدث جاء في سياق أداء إحدى أهم عبادات الإسلام، وهي عبادة

الحج ..

١٣ . واختار (ﷺ) أسلوب خطاب الجماعة، لا الأفراد

والأشخاص، ربما ليفهمهم أن هذا واجب على الجميع، فلا يختص بفرد دون فرد، ولا بفئة دون أخرى.
نتائج وآثار:

ثم إننا لا نريد أن نستقصي هنا آثار ونتائج هذا الحدث.. وإنما نريد لفت النظر إلى أمور بعينها منها، فنقول:

١. إن ما جرى في عرفات، قد أخرج قضية الإمامة وسواها من يد جماعة تسعى لاحتكار القرار فيها وفي غيرها. وهم القرشيون، الذين يدعون أنهم هم أهل الحل والعقد في هذا الأمر كما في غيره.. وأصبحت من مسؤوليات الأمة بأسرها، فعلى الأمة أن تطالب بالعمل بتوجيهات رسول الله (ﷺ)، وتنفيذ أوامره فيها..

ولعل هذا هو أهم إنجاز حصل في موقف النبي (ﷺ) هذا في عرفة، فقد منع هذه الجماعة من ممارسة الإقطاع السياسي والديني القائم على أسس ومفاهيم جاهلية، دونما أثارة من علم، ولا دليل يهدي إلى الرشد، وإنما من منطلق الأهواء الشيطانية، والأطماع الرخيصة، والأهواء والغرائز، والأحقاد المقيتة والبغيضة.

٢. وإنجاز آخر تحقق أيضاً، وهو أن موقف النبي (ﷺ) هذا قد دفع أولئك الناس إلى الإقدام على حركة تفضح كثيراً مما اختزنته نفوسهم. وهي حركة يفهمها الناس كلهم: الذكي والغبي، المرأة والرجل، والعالم والجاهل، والعدو والصديق، والمسلم وغير المسلم.. وهو أنهم أساءوا الأدب مع نبيهم، وعرف الناس أنهم لا يوقرونه، ولا ينقادون له،

ولا يطيعون الله فيما أمرهم فيه ..

فقد رأى الجميع: أن هؤلاء الذين يدعون: أنهم يوقرون رسول الله (ﷺ)، ويتبركون بفضل وضوئه، وببصاقه، وحتى بنخامته. رأوا. أنهم لا يعملون بالتوجيهات الإلهية التي تقول:

(لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (١).

(لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) (٢).

(مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (٣).

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (٤).

وغير ذلك من آيات تنظم تعاملهم، وتضع الحدود، وترسم معالم السلوك معه (ﷺ)، مما يكون الفسق والخروج عن الدين، في تجاهله، وفي تعديه.

هذا إلى جانب اعترافهم بما له (ﷺ) من فضل عليهم، وأياد لديهم، فإنه هو الذي أخرجهم - بفضل الله - من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، وأبدلهم الذل بالعز، والشقاء بالسعادة، والنار بالجنان.

١ - الآية ١ من سورة الحجرات.

٢ - الآية ٢ من سورة الحجرات.

٣ - الآية ٧ من سورة الحشر.

٤ - الآية ٥٩ من سورة النساء.

يضاف إلى ذلك كله: ادعاء هؤلاء أنهم قد جاؤوا مع هذا الرسول الأكرم والأعظم، في هذا الزمان الشريف، إلى هذا المكان المقدس . عرفات . لأداء إحدى أهم شعائر الإسلام، وهي فريضة الحج، ولعبادة الله سبحانه، وطلب رضاه، معلنين بالتوبة، وبالندم على ما فرطوا به في جنب الله، منيين إليه سبحانه، ليس لهم في حطام الدنيا مطمع، ولا في زخارفها مأرب .

وهم يظهرون أنفسهم بمظهر من يسعى لإنجاز عمل صالح يوجب غفران ذنوبهم، ورفعة درجاتهم . نعم، رغم ذلك كله: فإنه (ﷺ) استطاع أن يري الجميع بأمر أعينهم: كيف أن حركة بسيطة منه (ﷺ) قد فضحتهم، وكشفت ما أبطنوه، حيث تبدل موقفهم من نبيهم بالذات، وظهر أنهم قد تحولوا إلى وحوش كاسرة، ضد هذا النبي بالذات .

وظهر كيف أنهم لا يوقرونه، ويرفعون أصواتهم فوق صوته، ويجهرون له بالقول أكثر من جهر بعضهم لبعضهم، ويعصون أوامره، ويتجاهلون زواجه .. و .. و .. كل ذلك رغبة في الدنيا، وزهداً في الآخرة، وعزوفاً عن الكرامة الإلهية، وعن طلب رضى الرحمن .

٣ . الكل يعلم أن هؤلاء إذا كانوا لا يوقرون رسول الله (ﷺ)، فلا يمكن أن يتوقع أحد منهم الرفق والتوقير لغيره، لأن البشر كلهم دونه .

وقد أظهرت الأحداث اللاحقة هذه الحقيقة، حيث ضربوا ابنته حتى الإستشهاد، وأسقطوا جنينها .. فهل يمكن أن نتصور موقفهم تجاه علي

(عليه السلام) الذي طفحت قلوبهم بالحقد عليه، ولهم قبله ترات وثارات آبائهم، وإخوانهم وأبنائهم، الذين قتلهم على الشرك؟!!

ولا يمكن لهؤلاء واتباعهم أن يقدموا أي تعليل لما صدر منهم إلا الإصرار على الباطل الصريح، والجحود للحق الظاهر والواضح.

من الرابع؟!:

وظنوا أنهم ربجوا المعركة، حين تمكنوا من منع النبي (صلى الله عليه وآله) من إعلان إمامة علي (عليه السلام) على الحجيج ولكنهم كانوا يدركون أيضاً . وهم الدهاة المهرة . أن مكائنتهم قد تزعزت لدى الكثيرين ..

فلا بد لهم من التدارك والترقيع، ولو بالإعتذار اللساني عما صدر وبدر، واعتبارها مجرد غلطة جرّت لهم الندم والألم.

وإن لم يمكن الإعتذار، فمن الممكن ادعاء ذلك، ثم زعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) عفا وصفح، وأثنى عليهم ومدح ..

وربما يدعون أيضاً أنه أسر إليهم: أنه لم يرد إعلان إمامة علي (عليه السلام) في عرفات، بل أراد مجرد التنويه بإسمه، وإظهار فضله ..

فكان لا بد من سد الطريق عليهم، ومنعهم من ذلك . وهذا ما حصل بالفعل كما سنوضحه .

الخروج السريع من مكة:

وقد جاءت الخطوة النبوية التالية لتفسد عليهم ما دبروه، وهي المبادرة إلى الخروج من مكة، فإنه بعد أن

انتهى النبي (صلى الله عليه وآله) من أداء

المناسك وبعد نفره من منى.. قيل: دخل مكة، وطاف بالبيت، وبقي إلى صباح اليوم التالي، ثم ارتحل^(١).
ولكن هذا غير دقيق ولا صحيح، بل الصحيح المروي عن أهل البيت (عليهم السلام) هو أنه لم يطف بالبيت
ولا زاره، بل نفر حتى انتهى إلى الأبطح، فطلبت عائشة العمرة، فأرسلها، فاعتمرت، ثم أتت النبي
(ﷺ)، فارتحل من يومه، ولم يدخل المسجد الحرام، ولم يطف بالبيت^(٢). وكان هذا آخر عهد بالبيت
والمسجد الحرام.
وقولهم: إنه صلى الصبح ثم طاف بالبيت سبعا، ووقف في الملتزم وبين الركن الذي فيه الحجر الأسود،
والزرق جسده بجدار الكعبة.. ثم ارتحل.

١- السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤١٠ و ٤١١ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١١١٤ وراجع: مغني المحتاج ج ١
ص ٤٧٢. والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج ٣ ص ٣٠٧ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٣٤ والمجموع ج ٤ ص ٣٦٣ وج ٨
ص ٢٤٩ وتحفة الأحوذني ج ٣ ص ٩٠ ومصادر كثيرة من كتب أهل السنة.
٢- الكافي ج ٤ ص ٢٤٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٩٣ وج ٩٦ ص ٣٢٧ وراجع: تهذيب الأحكام ج ٥ ص ٢٧٥ و ٤٥٧ ووسائل
الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٢١٧ و ٢١٨ وج ١٤ ص ٢٨٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ١٥٣ وج ٨ ص ١٥٤
وج ١٠ ص ٢٢٩ ومستطرفات السرائر لابن إدريس ص ٥٥٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٥ و ٤٥٥ وج ١٢ ص ٢٠٧
ومنتقى الجمال ج ٣ ص ١٢٥ والحدائق الناضرة ج ١٤ ص ٣١٩.

غير دقيق أيضاً..

فقد روي عن جابر قال: خرج رسول الله (ﷺ) من مكة عند غروب الشمس، وصلى المغرب في سرف^(١).

مما يعني: أن وقوفه في المنتزم، وإلحاق جسده بجدار الكعبة لم يحصل، وإن كان قد حصل، فلا بد أن يكون إما قبل النفر من منى، أو في عمرة القضاء.

ولا بد أن يفاجئ الناس هذا الإجراء النبوي، وهم الذين يعلمون أنه (ﷺ) أحرص الناس على تعظيم البيت، والإلتزام بالسنة فيه..

نعم.. إن مبادرته (ﷺ) للخروج من مكة لا بد أن تثير الهواجس الكثيرة، وستنهال الأسئلة الغزيرة عن سبب ذلك.. وسيدرك الجميع أنه لو لم يكن ثمة ما هو أخطر لما فعل (ﷺ)، وسيراقبون حركته بدقة، وسيتوقعون ما يكون منه، وسيدققون في دلالاته ومراميه، وسيربطون ذلك بما حصل في عرفة، ولو بنحو غائم.. إلى أن تنجلي لهم الأمور بموقفه العظيم في يوم الغدير.. كما سنرى.

وأما السبب في هذا كله، فهو أنه (ﷺ) كان يعلم: أن

١ - راجع: مسند أحمد ج ٣ ص ٣٠٥ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٢ ص ١٣٤ والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤١٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٨ ص ٢٤٧.

أي تأخير سيكون معناه: أن يخرج أشتات من الناس إلى بلادهم، ولا يتمكن النبي (ﷺ)، من إيصال ما يريد إيصاله إليهم..

أما حين يخرج (ﷺ) معهم، فمن الطبيعي أن يتقيدوا في مسيرهم بمسيره (ﷺ)، والكون في ركابه، إما حياءً، أو طلباً لليسر والأمن، والبركة، والكون إلى جانبه أكبر قدر ممكن من الوقت، والفوز بسماع توجيهاته.

هذا.. وقد قطع (ﷺ) المسافة ما بين مكة والجحفة، حيث غدير خم . وهي عشرات الأميال . في أربعة أيام فقط، مع أنه كان يسير في جمع عظيم تبطئ كثيرته حركته..
الصحابة يعاقبون النبي (ﷺ):

ثم إن ما جرى في منى وعرفات قد أوضح لقريش، ومن تابعها: أن النبي (ﷺ) مصرٌّ على تنصيب علي (عليه السلام) إماماً وخليفة من بعده.. فضاقت بذلك صدورهم، وأجمعوا أمرهم على مقاطعته ولم يعودوا يطيقون حضور مجلسه، فاعتزلوه وخلا مجلسه منهم.. وابتعدوا عنه.. مع أنهم كانوا دائمي الدخول عليه عادة، وظهر ما أبطنوه على حركاتهم، وفي وجوههم، وعلى تصرفاتهم، وصاروا يعاملونه (ﷺ) بصورة بعيدة حتى عن روح المجاملة الظاهرية.

فواجههم (ﷺ) بهذه الحقيقة، وصارحهم بها، في تلك اللحظات بالذات. ويتضح ذلك من النص التالي:

عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله (ﷺ) نزل بحم

فتنحى الناس عنه، ونزل معه علي بن أبي طالب، فشق على النبي تأخر الناس، فأمر علياً، فجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم متوسداً (يد) علي بن أبي طالب، فحمد الله، وأثنى عليه.. ثم قال:
(أيها الناس، إنه قد كرهتُ تخلفكم عني، حتى تُخيل إلي: أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني)^(١).

وروى ابن حبان بسند صحيح على شرط البخاري. كما رواه آخرون بأسانيد بعضها صحيح أيضاً:
أنه حين رجوع رسول الله (ﷺ) من مكة، حتى إذا بلغ

١- راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢٦ و ٢٢٧ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥ والعمدة لابن البطريق ص١٠٧ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٤٨ والطرائف لابن طاووس ص١٤٥ مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣ وتفسير العياشي ج١ ص٣٣١ وتفسير البرهان ج١ ص٤٨٩ وشواهد التنزيل ج١ ص١٩٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص١٣٣ و١٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٨٩ وج٦ ص٢٥٣ وج٣٠ ص٤٠٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٨ و٢٣١ ج٩ ص١٦٩ وكشف المههم في طريق خير غدیر خم ص٧٥ و١١٥ والغدير ج١ ص٢٢ و٢١٩ و٢٢٣ و٣٢٧ عنه، وعن الثعلبي في تفسيره، كما في ضياء العالمين، وعن مجمع البيان وعن روح المعاني ج٢ ص٣٤٨.

الكديد أو (قدير)، جعل ناس من أصحابه يستأذنون، فجعل (ﷺ) يأذن لهم.
فقال رسول الله (ﷺ): (ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر)؟! .
قال: فلم نر من القوم إلا باكياً.
وهو بكاء لا يعبر عن الحقيقة، فإن رسول الله (ﷺ) هو الصادق المصدق. إذ لا معنى لهذا البكاء،
بعد ما سبقه ذلك الجفاء، الذي بلغ في الظهور حداً دعا النبي (ﷺ) إلى مطالبته بالإفلاع عنه.
قال: يقول أبو بكر: (إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه في نفسي الخ..)^(٩) . مع أن المطالب
الحقيقي هنا هو أبو بكر بالذات.

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١ ص ٤٤٤ ومسند أحمد ج ٤ ص ١٦ ومسند الطيالسي ص ١٨٢ ومجمع الزوائد ج ١
ص ٢٠ و ج ١٠ ص ٤٠٨ وقال: رواه الطبراني، والبخاري بأسانيد رجال بعضها عند الطبراني والبخاري والشافعي، وكشف الأستار
عن مسند البخاري ج ٤ ص ٢٠٦ وقال في هامش (الإحسان): إنه في الطبراني برقم: ٤٥٥٦ و ٤٥٥٩ و ٤٥٥٧ و ٤٥٥٨ و
٤٥٦٠. وراجع: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٢١٢ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٢٤ وصحيح ابن حبان ج ١ ص ٤٤٤
والمعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ٥٠ و ٥١ وموارد الظمان للهيثمي ج ١ ص ١٠٣ وكنز العمال ج ١٠ = ص ٤٧٧ وتهذيب
الكمال للمزي ج ٩ ص ٢٠٨. وراجع: مسند الحارث ج ٣ ص ١٠٣ والمسند الجامع ج ١٢ ص ٢٢١ وحلية الأولياء ج ٣ ص ٩٣.

الفصل الثالث: حديث الغدير: تاريخ ووقائع..

لا بد من الرجوع لكتاب الصحيح:

إن ما جرى في واقعة الغدير بعد حجة الوداع هام جداً، وحساس، وفيه الكثير من البحوث الهامة التي ذكرنا شطراً منها في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) في الجزئين الأخيرين منه، وقد آثرنا أن نأخذ النصوص المرتبطة بالغدير ومصادرها من ذلك الكتاب بالذات، توفيراً للوقت والجهد.. ثم نشير إلى ما نرى ضرورة للإشارة إليه من استدلالات، أو مناقشات، أو استفادات فنقول:

نصوص حديث الغدير:

١ - قال الطبرسي: (اشتهرت الروايات عن أبي جعفر، وأبي عبد الله (عليه السلام): أن الله أوحى إلى نبيه (ﷺ): أن يستخلف علياً (عليه السلام)؛ فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه؛ فأُنزل الله هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه..)^(١).

١ - مجمع البيان ج ٣ ص ٢٢٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٣٨٣ وسعد السعود للسيد ابن طاووس ص ٦٩ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٥٠ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٥٣ والتبيان ج ٣ ص ٥٨٨ ومجمع البحرين ج ١ ص ٢٤٢.

والمراد بـ (هذه الآية) قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.. (١).

٢ - عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أنه لما أمر بإبلاغ أمر الإمامة قال: (إن قومي قريبا عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم، وإني أخاف، فأُنزل الله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ... (٢)).

٣ - عن ابن عباس، وجابر الأنصاري، قالا: أمر الله تعالى مُجَدِّدًا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أن ينصب علياً للناس، فيخبرهم بولايته، فتخوف النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يقولوا: حابي ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك فأوحى الله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... (٣)).

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢ - شواهد التنزيل ج ١ ص ١٩١ و (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٢٥٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٢٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٣٩ وراجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٥٩٧ وقال في هامشه: راجع البرهان ج ٢ ص ١٤٦ وكنز الدقائق ج ٣ ص ١٣٧ و ١٤٠ و ١٥٨ ومجمع البيان ج ٣ ص ٢٢٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ و ج ٣ ص ٢٥٩ و ٢٦٠.

٣ - الدر المنثور ج ٢ ص ١٩٣ و ٢٩٨ عن أبي الشيخ، وراجع: البرهان ج ٢ ص ١٤٦ وكنز الدقائق ج ٣ ص ١٣٧ و ١٤٠ و ١٥٨ ومجمع البيان ج ٣ ص ٣٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٣٨٢ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ١٩٣ ومكاتيب = الرسول ج ١ ص ٥٩٧ وروح المعاني ج ٢ ص ٣٤٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٥٢ وخلاصة عقبات الأنوار ج ٨ ص ٢٢٧ والغدير ج ١ ص ٢١٩ و ٢٢٣ و ٣٧٧ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٥٠.

٤ . ويقول نص آخر: إنه لما أمر الله نبيه (ﷺ) بنصب علي (عليه السلام): (خشي رسول الله (ﷺ) من قومه، وأهل النفاق، والشقاق: أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية، لما عرف من عداوتهم، ولما تنطوي عليه أنفسهم لعلي (عليه السلام) من العداوة والبغضاء، وسأل جبرائيل أن يسأل ربه العصمة من الناس).
ثم تذكر الرواية:

(أنه انتظر ذلك حتى بلغ مسجد الخيف. فجاءه جبرئيل، فأمره بذلك مرة أخرى، ولم يأت به بالعصمة. ثم جاء مرة أخرى في كراع الغميم. موضع بين مكة والمدينة. وأمره بذلك، ولكنه لم يأت به بالعصمة. ثم لما بلغ غدیر خم جاءه بالعصمة).
فخطب (ﷺ) الناس، فأخبرهم: (أن جبرئيل هبط إليه ثلاث مرات يأمره عن الله تعالى، بنصب علي (عليه السلام) إماماً وولياً للناس)..
إلى أن قال: (وسألت جبرائيل: أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم - أيها الناس - لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وختل

المستهزئين بالإسلام، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم:

(يَقُولُونَ بِاللَّسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) ^(١)، (وَيَحْسَبُونََهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) ^(٢)، (وكثرة أذاهم لي في غير مرة، حتى سمّوني أذناً، وزعموا: أنّي كذلك لكثرة ملازمتي إياي، وإقبالي عليه، حتى أنزل الله عز وجل في ذلك قرآناً: وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) ^(٣).
إلى أن قال: ولو شئت أن أسميهم بأسمائهم لسميت، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت، وأن أدل عليهم لفعلت. ولكني والله في أمورهم تكرمت) ^(٤).

٥ . عن مجاهد، قال: (لما نزلت: بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... قال: (يا رب، إنما أنا واحد كيف أصنع، يجتمع عليّ الناس؟! فنزلت: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ..) ^(٥).

١ - الآية ١١ من سورة الفتح.

٢ - الآية ١٥ من سورة النور.

٣ - الآية ٦١ من سورة التوبة.

٤ - راجع: مناقب علي بن أبي طالب "عائلاً" لابن المغازلي ص ٢٥ والعمدة لابن البطريق ص ١٠٧ والإحتجاج ج ١ ص ٧٣ واليقين ص ٣٤٩ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠٦ ونور الثقلين ج ٢ ص ٢٣٦ والغدير ج ١ ص ٢٢ عنه وعن الثعلبي في تفسيره. وراجع: موسوعة أحاديث أهل البيت "عليه السلام" ج ٨ ص ٥٣ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٥٨.

٥ - الإحتجاج ج ١ ص ٦٩ و ٧٠ و ٧٣ و ٧٤ وراجع: روضة الواعظين ص ٩٠ و = ٩٢ والبرهان ج ١ ص ٤٣٧ . ٤٣٨ . والغدير ج ١ ص ٢٢١ وفتح القدير ج ٢ ص ٦٠ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ عن عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. وراجع: مناقب أهل البيت "عليه السلام" للشيرازي ص ١٣٠.

٦ . قال ابن رستم الطبري: (فلما قضى حجّه، وصار بغدير خم، وذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة، أمره الله عز وجل بإظهار أمر علي؛ فكأنه أمسك لما عرف من كراهة الناس لذلك، إشفافاً على الدين، وخوفاً من ارتداد القوم؛ فأنزل الله يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...)^(١).

٧ . وفي حديث مناشدة علي (عليه السلام) للناس بحديث الغدير، أيام عثمان، شهد ابن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو ذر، والمقداد، أن النبي (صلى الله عليه وآله) وسلم قال، وهو قائم على المنبر، وعلي (عليه السلام) إلى جنبه: (أيها الناس، إن الله عز وجل أمرني أن أنصب لكم إمامكم، والقائم فيكم بعدي، ووصيي، وخليفتي، والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرب^(٢) بطاعته طاعتي، وأمركم بولايته، وإني راجعت رأيي خشية طعن أهل النفاق، وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغها، أو ليعذبني)^(٣).

١ - المسترشد في إمامة علي "عليه السلام" (ط مؤسسة الثقافة الإسلامية) ص ٤٦٥ .

٢ - لعل الصحيح: ففَرَنَ.

٣ - الإحتجاج ج ١ ص ٢١٤ وإكمال الدين للصدوق ص ٢٧٧ والغدير ج ١ ص ١٦٦ والتحصين للسيد ابن طاووس ص ٦٣٤ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤١٢ = = وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٤٤٢ ومصباح الهداية في إثبات الولاية للسيد علي البهبهاني ص ٣٥٤ والمناشدة والإحتجاج بحديث الغدير للشيخ الأميني ص ١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٧٩ وج ٥ ص ٣٦ وج ١٣ ص ٥٢ .

وعند سليم بن قيس:

(إن الله عز وجل أرسلني برسالة ضاق بها صدري، وظننت الناس تكذبني، فأوعدني..)^(١).

٨ - وعن ابن عباس: لما أمر النبي (ﷺ) أن يقوم بعلي بن أبي طالب المقام الذي قام به؛ فانطلق النبي

(ﷺ) إلى مكة، فقال:

(رأيت الناس حديثي عهد بكفر (بجاهلية) ومتى أفعل هذا به،

١- فرائد السمطين ج ١ ص ٣١٥ و ٣١٦ والغدير ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦ و ١٩٦ و ٣٧٧ عنه، وإكمال الدين ج ١ ص ٢٧٧ وراجع البرهان ج ١ ص ٤٤٥ و ٤٤٤ و بحار الأنوار ج ٣١ ص ٤١١ و ج ٣٣ ص ١٤٧ و كتاب الولاية لابن عقدة الكوفي ص ١٩٨ و بنايع المودة للقندوزي ج ١ ص ٣٤٧ و كتاب الأربعين للماحوزي ص ٤٤١ و جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ٢٨ و سليم بن قيس ص ١٤٩ و (بتحقيق الأنصاري) ص ١٩٩ والإحتجاج ج ١ ص ٢١٣ و كتاب الغيبة للنعماني ص ٧٥ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٥ و ج ٢٠ ص ٩٦ و ٣٦١ و ج ٢١ ص ٧٨ و ج ٢٢ ص ٢٨٥ وثمة بعض الإختلاف في التعبير.

يقولوا، صنع هذا بابين عمّه. ثم مضى حتى قضى حجة الوداع^(١).

وعن زيد بن علي، قال: لما جاء جبرائيل بأمر الولاية ضاق النبي (ﷺ) بذلك ذرعاً، وقال: (قومي حديثو عهد بجاهليّة، فنزلت الآية)^(٢).

٩ - وروي: أنه (ﷺ) لما انتهى إلى غدِيرِ خم: (نزل عليه جبرائيل، وأمره أن يقيم علياً، وينصبه إماماً للناس).

فقال: إن أمتي حديثوا عهد بالجاهلية.

فنزل عليه: إنها عزيمة لا رخصة فيها، ونزلت الآية: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...^(٣).

١٠ - عن ابن عباس إنّه (ﷺ) قال في غدِيرِ خم: (إن

١ - كتاب سليم بن قيس ص ١٤٨ والبرهان ج ١ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ والغدير ج ١ ص ٥٢ و ٣٧٧ عن سليم بن قيس، وراجع ص ٢١٧ عن ابن مردويه. وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٩٨ و ج ٨ ص ٢٦٢.

٢ - الغدير ج ١ ص ٥١ - ٥٢ و ٢١٧ و ٣٧٨ عن كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣ عن المحاملي في أماليه، وعن شمس الأخبار ص ٣٨ عن أمالي المسترشد بالله، وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٧٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٢٦٩ و ٣٠٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٤٩ ومناقب علي بن أبي طالب "عليه السلام" لابن مردويه ص ٢٤٠ وكشف الغمة ج ١ ص ٣١٨ و ٣٢٤ و ٣٢٥.

٣ - إعلام الوري ص ١٣٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢٦١.

الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعاً، مخافة أن تتهموني، وتكذبوني، حتى عاتبني ربي بوعيد أنزله علي بعد وعيد..^(١).

١١ - عن الحسن قال في غدير خم أيضاً: (إن الله بعثني برسالة؛ فضقت بها ذرعاً، وعرفت: أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أوليعدني، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...^(٢)).

١٢ - وجاء في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام): أنه حين نزلت

١ - شواهد التنزيل ج ١ ص ١٩٣ و (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٢٥٨ والأماي للصدوق ص ٤٣٦ والتحصين لابن طاووس ص ٦٣٣ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١١١ ونور الثقلين ج ١ ص ٦٥٤ وتأويل الآيات ج ١ ص ١٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٣٤.

٢ - شواهد التنزيل ج ١ ص ١٩٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ عن ابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبي الشيخ. وراجع: إكمال الدين ص ٢٧٦ والإحتجاج ج ١ ص ٢١٣ وفتح القدير ج ٢ ص ٦٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٥١ والتحصين لابن طاووس ص ٦٣٣ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٤٧ ومناقب أهل البيت "عليهم السلام" للشيرازي ص ١٢٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٢٥٥ و ٢٧٠ ولباب النقول (دار إحياء العلوم) للسيوطي ص ٩٤ و (دار الكتب العلمية) ص ٨٢ والغدير ج ١ ص ١٦٥ و ١٩٦ و ٢٢١ ومسنند ابن راهويه ج ١ ص ٤٠٢ ومسنند الشاميين ج ٣ ص ٣١٤ وتخریج الأحاديث والآثار ج ١ ص ٤١٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨.

آية إكمال الدين بولاية علي (عليه السلام):

قال عند ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن أمتي حديثو عهد بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي، يقول قائل، ويقول قائل. فقلت في نفسي من غير أن ينطلق لساني، فأنتني عزيمة من الله بتلّة، أو عديني: إن لم أبلغ أن يعذبني. فنزلت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...^(١).

وفي بعض الروايات: أنه (صلى الله عليه وآله) إنما أخرج نصبه (عليه السلام) فرقاً من الناس، أو لمكان الناس^(٢). ولما انتهى النبي (صلى الله عليه وآله) من نصب علي (عليه السلام) لقي عمر علياً فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(٣).

١- البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤٨٨ والكافي ج ١ ص ٢٩٠ والتفسير الأصفى ج ١ ص ٢٨٥ ونور الثقلين ج ١ ص ٥٨٨ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٥٢ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٢٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٢٨٧.

٢- تفسير العياشي ج ١ ص ٣٣٢ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٤٨٩ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٣٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٢٦٢ وتفسير الميزان ج ٦ ص ٥٣ وغاية المرام ج ٣ ص ٣٢٥.

٣- مسند أحمد ج ٤ ص ٢٨١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٠٣ وكنز العمال = ج ١٣ ص ١٣٤ والتفسير الكبير للرازي (ط الثالثة) ج ١٢ ص ٢ و ٤٩ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ١٩٤ وتفسير الثعلبي ج ٤ ص ٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٣٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٩ و ج ٧ ص ٣٨٦ والمنقب للخوارزمي ص ١٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤١٧ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٨٤ ونهج الإيمان لابن جبر ص ١١٣ و ١١٦ و ١٢٠ وتبيين الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص ٦٤ و ٦٥ وبشارة المصطفى ص ٢٨٤ وذخائر العقبي للطبري ص ٦٧ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ١٠٩ وبنابيع المودة للقندوزي ج ١ ص ٩٨ و ١٠١ و ١٥٨ و ج ٢ ص ٢٨٥ ومودة القرني (المودة الخامسة)، وبناء المقالة الفاطمية لابن طاووس ص ٢٩٤ و ٢٩٧ وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري ج ٦ ص ١٧٠ وخصائص الوحي المبين ص ٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ والعمدة لابن البطريق ص ٩٢ و ٩٦ و ١٠٠ والمراجعات ص ٢٦٣ وشرح أصول الكافي ج ٥ ص ١٩٦ و ج ٦ ص ١٢٠ والعدد القوية للحلي ص ١٨٥ والطرائف ص ١٤٦ و ١٥٠ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٤٩ و ١٥٩ و ١٧٩ و ١٩٨ و ٢٤٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٤٤ و ١٤٨ والإكمال في أسماء الرجال ص ٢٥ وخلاصة عقبات الأنوار ج ١ ص ٣٠٥ و ج ٧ ص ٢٩٥ و ٥٤ و ٦١ و ٦٩ و ٨٦ و ٩٢ و ١١٥ و ١١٩ و ١٢٢ و ٢٨٥ و ٢٩٥ و ٣٠١ و ٣٢١ و ٣٢٦ و ج ٨ ص ٢١٨ و ٢٣٤ و ٢٤١ و ٢٤٧ و ٢٥٩ و ٢٧٢ و ج ٩ ص ٩٣ والغدير ج ١ ص ١٩ و ١٤٣ و ١٤٤ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٣٠٦ و ٣٥٥ و ج ٢ ص ٣٧ و ج ٦ ص ٥٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١١٦ و ١١٨ و ١٢٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٢٦٤ و ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٩٠ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٦ و ج ١٤ ص ٣٤ و ٥٦١ و ٥٦٩ و ٥٨٣ و ج ٢٠ ص ١٧٣ و ١٧٤ و ٣٥٨ و ٦٠٣ و ج ٢١ ص ٣١ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٦٦ و ٨٦ و ٨٨ و ج ٢٢ ص ١١٣ و ١١٥ و ١٢١ و ج ٢٣ ص ٤ و ٩ و ٣٢٥ و ٥٥٤ و ٦٣٥ و ٦٣٧ و ج ٣٠ ص ٢٣ و ٤١٨ و ٤١٩ و مناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ٢ ص ٣٦٨ و ٣٧٠.

أو قال له: بخ بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(١).

١ - ما نزل من القرآن في علي "عليه السلام" لأبي نعيم ص ٨٦ وثمار القلوب للتعالي ص ٦٣٦ وراجع: تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٩٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٢٨٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٣٢٨ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٨٦ والمناقب للخوارزمي ص ١٥٦ ومناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ٢ ص ٤٣٠ و ٥١٦ وينايع المودة = ج ٢ ص ٢٤٩ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٨ و ٣٣٥ وكشف اليقين ص ٢٠٨ و ٢٥٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٤٢٧ والإرشاد ج ١ ص ١٧٧ وكنز الفوائد ص ٢٣٢ والعمدة لابن البطريق ص ١٠٦ و ١٧٠ و ١٩٥ و ٣٤٤ والطرائف ص ١٤٧ والمختصر للحلي ص ١١٤ وبشارة المصطفى ص ١٥٨ و ٤٠٢ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٦٢ و ٣٢٩ وتنبية الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص ٦٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٨٨ وج ٣٧ ص ١٠٨ و ١٤٢ و ٢٥١ وج ٣٨ ص ٣٤٤ وج ٩٤ ص ١١٠ وج ٩٥ ص ٣٢١ ومسار الشيعة للمفيد ص ٣٩ والأمالى للصدوق ص ٥٠ ورسائل المرتضى للشريف المرتضى ج ٤ ص ١٣١ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص ٣٥٦ وروضة الواعظين للنيسابوري ص ٣٥٠ وشرح أصول الكافي ج ٥ ص ١٩٦ وج ٦ ص ١٢٠ وخلاصة عقبات الأنوار ج ٧ ص ١٣٤ و ٢٤٦ و ٢٧٧ و ٣٤٤ و ٣٥٤ وج ٨ ص ٢٦١ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٣٠٢ و ٣٠٣ وج ٩ ص ١٨٦ والغدير ج ١ ص ١١ و ٢٢٢ و ٢٣٣ و ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٩٢ و ٤٠٢ والمعيار والموازنة ص ٢١٢ والتفسير المنسوب للإمام العسكري "عليه السلام" ص ١١٢ وتفسير فرات ص ٥١٦ وخصائص الوحي المبين ص ٩٧ و ١٥٣ وكنز الدقائق ج ١ ص ١١٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٣ وج ٢ ص ٣٩١.

ماذا جرى يوم الغدير؟!:

قال العلامة الأميني (رحمته الله):

(فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً إلى المدينة، ومعه من كان من

الجموع المذكورات، وصل إلى غدِير خم من الجحفة، التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** ^(١). وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية، وفرض الطاعة على كل أحد.

وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله (ﷺ) أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرة خمس متقاربات، دوحات عظام، أن لا ينزل تحتهم أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فُقِّم ما تحتهم.

حتى إذا نودي بالصلاة. صلاة الظهر. عمد إليهن فضلى بالناس تحتهم، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدة الرمضاء، وظلل لرسول الله (ﷺ) بثوب على شجرة سمرة من الشمس.

فلما انصرف (ﷺ) من صلاته، قام خطيباً وسط القوم ^(٢)

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢ - راجع: الغدير ج ١ ص ٢١٠. ٢٢٣ وقد صرح بنزول الآية في هذه المناسبة كثيرون، فراجع ما عن المصادر التالية: ابن جرير الطبري في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير كما في ضياء العالمين، والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ وفتح = = القدير ج ٢ ص ٥٧ و ٦٠ عن ابن أبي حاتم، وكنز العمال ج ١١ ص ٦٠٣ وعن أبي بكر الشيرازي وابن مردويه، وكشف الغمة للأرنبي ص ٣٢٤ و ٣٢٥ وعن تفسير النعلبي، والعمدة لابن البطريق ص ١٠٠ والطرائف لابن طاووس ج ١ ص ١٥٢ و ١٢١ وجمع البيان ج ٣ ص ٣٤٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٩ وأبي نعيم في كتابه ما نزل من القرآن في علي "عليه السلام" ص ٨٦ وخصائص الوحي المبين ص ٥٣ وأسباب النزول ص ١٣٥ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٢٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ٢٣٧ والتفسير الكبير للرازي ج ١٢ ص ٤٩ ومفتاح النجا في مناقب آل العبا ص ٣٤ ومودة القرني (المودة الخامسة) وفرائد السمطين ج ١ ص ١٥٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٤٢ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٠٦ وغرائب القرآن للنيسابوري ج ٦ ص ١٧٠ وشرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدي ص ٤٠٦ وعن أبي الشيخ، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن مردويه، وثمار القلوب للثعالبي ص ٦٣٦ وراجع: روح المعاني ج ٦ ص ١٩٢ وينايع المودة ج ١ ص ١١٩ وراجع: تفسير المنار ج ٦ ص ٤٦٣ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١١٥ ونور الثقلين ج ١ ص ٦٥٧ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٦١ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٥٣ وكشف اليقين ص ٢٤٠ وتفسير القمي ج ١ ص ١٧٣ والصافي (تفسير) ج ٢ ص ٦٩.

على أفتاب الإبل، وأسمع الجميع رافعاً عقيرته^(١)، فقال:

١- راجع: الغدير ج ١ ص ١٠ وراجع: بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٦٦ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٥٤٤.

(الحمد لله، ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكل عليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّدًا عبده ورسوله.

أما بعد.. أيها الناس، قد نبأني اللطيف الخبير: أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟! قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، و أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟! قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟! قالوا: نعم.

قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبُصرى^(١)، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين^(٢).

١ - صنعاء: عاصمة اليمن اليوم. وبُصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

٢ - الثقل، بفتح المثلثة والمتناة: كل شيء خطير نفيس.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟!

قال: الثقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عز وجل، وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربي، فلا تَقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا، ولا تُقَصِّرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟! قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقوؤها ثلاث مرات . وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات . ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

ثم لم يتفرقا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** الآية^(١))^(٢).

١ - الآية ٣ من سورة المائدة.

٢ - وقد روي نزول الآية في يوم الغدير في المصادر التالية: الغدير ج ١ ص ١١ و ٢٣٠ . ٢٣٧ و ٢٩٦ و روى ذلك الطبري في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير، كما في ضياء العالمين. وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٤ عن ابن مردويه، والدر = المنشور ج ٢ ص ٢٥٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ٢٣٧ والإتقان ج ١ ص ٣١ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٣٠ وعن مفتاح النجاة، وعن الفرقة الناجية وما نزل من القرآن في علي "عائيل" لأبي نعيم ص ٥٦ وكتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٢٨ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٩٠ ومناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ١٨ والعمدة لابن البطريق ص ١٠٦ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٢٠١ والمناقب للخوارزمي ص ١٣٥ و ١٥٦ وفرائد السمطين ج ١ ص ٧٤ و ٧٢ وعن النطنزي في كتابه الخصائص العلوية، وتوضيح الدلائل للصالحاني، وتذكرة الخواص ص ٣٠ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢١٠. وراجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٩٠ وج ٣٧ ص ١٣٤ و ١٦٦ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٣٠١ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٥٤٤ وإعلام الوری ج ١ ص ٢٦١ . ٣٦٣ قصص الأنبياء للراوندي ص ٣٥٣ . ٣٥٤ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص ٢٠ وكشف اليقين ص ٢٥٣.

فقال رسول الله (ﷺ): الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالي، والولاية لعلي من بعدي.

ثم طفق القوم يهتفون أمير المؤمنين صلوات الله عليه.
وممن هنأه في مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر، كلُّ يقول: بَخِ بَخِ لك يا بن أبي طالب،
أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.
وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم^(١).

١- الغدير ج ١ ص ١٠ و ١١. وراجع: العمدة لابن البطريق ص ١٠٤. ١٠٦. وبحار = الأنوار ج ٣٧ ص ١٨٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٣٢ وج ٨ ص ١٢٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٢٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٤١ و ٣٤٢ عن ابن المغازي.

الخطبة برواية الطبري:

وعن زيد بن أرقم: أنه (ﷺ) خطب في يوم الغدير خطبة بالغة، ثم قال: إن الله تعالى أنزل إليّ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)^(١)، وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كل أبيض وأسود: أن علي بن أبي طالب أخي، ووصيي، وخليفتي، والإمام بعدي.

فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي، لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المؤذنين لي، واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي، وشدة إقبالي عليه، حتى سموني أذنًا، فقال تعالى: (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلُّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ)^(٢). ولو شئت أن أسميهم وأدل عليهم لفعلت، ولكني بسترهم قد تكرمت.

فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه. فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماض حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

مولاكم، وعلي إمامكم.

ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله وهم، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم.

فما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ، ونقلته إليه؛ فلا تضلوا عنه، ولا تستكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك، أن يعذبه عذاباً نكراً أبداً الأبدين.

فهو أفضل الناس بعدي، ما نزل الرزق، وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبرئيل عن الله، فلتنظر نفس ما قدمت لغد.

إفهموا محكم القرآن، ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا آخذ بيده، وشائل بعضده، ومُعَلِّمكم: أن من كنت مولاه فهذا (فعلي) مولاه، ومولاته من الله عز وجل أنزلها عليّ.

ألا وقد أديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمع، ألا وقد أوضحت، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركة النبي (ﷺ) وقال:

معاشر الناس! هذا أخي، ووصيي، وواعي علمي، وخليفتي على من آمن بي، وعلى تفسير كتاب ربي. وفي رواية: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، وأغضب علي من جحد حقه.

اللهم إنك أنزلت عند تبين ذلك في علي: (أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) ^(١) بإمامته، فمن لم يأت به، وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة، فأولئك حبطت أعمالهم، وفي النار هم خالدون. إن إبليس أخرج آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من الجنة، مع كونه صفوة الله، بالحسد ^(٢)، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم، وتزل أقدامكم.

في علي نزلت سورة (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) ^(٣). معاشر الناس! (آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْظِمَ سُجُودَهَا فَتَرُدَّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ) ^(٤). النور من الله فيَّ، ثم في عليٍّ، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي.

معاشر الناس! (سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون، وإن الله وأنا بريثان منهم، إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار. وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً، فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان ويُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِلٌ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ) ^(٥) ^(٦).

١- الآية ٣ من سورة المائدة.

٢- لنا كتاب مستقل حول هذا الموضوع أسميناه "براءة آدم" راجع ذلك.

٣- الآيتان ١ و ٢ من سورة العصر.

٤- الآية ٤٧ من سورة النساء.

٥- الآية ٣٥ من سورة الرحمن.

٦- الغدير للعلامة الأميني ج ١ ص ٢١٥ و ٢١٦ عن ضياء العالمين للفتوني عن كتاب = = الولاية للطبري. وراجع: كتاب الإحتجاج ج ١ ص ١٣٣ - ١٦٢ والتحصين لابن طاووس ص ٥٧٩ - ٥٩٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٩١ - ١١٢ والعدد القوية للحلي ص ١٦٩ - ١٨٣ والصابي (تفسير) ج ٢ ص ٥٦ - ٦٧ وفيها زيادات هامة، وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠١ - ٢١٩ وروضة الواعظين ص ١٠٠ - ١١٣ وغاية المرام ج ١ ص ٤٠٢ - ٤١٩ وراجع: الصراط المستقيم ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٤.

النبي (ﷺ) يعلمهم التهنة والبيعة:

وتذكر الروايات أيضاً: أنه (ﷺ) قال:

(معاشر الناس! قولوا أعطيناك على ذلك عهداً من أنفسنا، وميثاقاً بألسنتنا، وصفقة بأيدينا، نؤديه إلى من رأينا من أولادنا وأهالينا، لا نبغي بذلك بدلاً، وأنت شهيد علينا، وكفى بالله شهيداً.

قولوا ما قلت لكم، وسلموا على عليّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) ^(١)، فإن الله يعلم كل صوت، وخائنة كل عين، (فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أُوْفِيَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) ^(٢). قولوا ما يرضي الله عنكم، (فَإِنْ تَكَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّيَ عَنكُم) ^(٣) ^(٤).

١- الآية ٤٣ من سورة الأعراف.

٢- الآية ١٠ من سورة الفتح.

٣- الآية ٧ من سورة الزمر.

٤- الغدير للعلامة الأميني ج ١ ص ٥٠٨ و ٥٠٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص ٢٧٠ = عن الطبري في كتاب الولاية ص ٢١٤ - ٢١٦، وعن الخليلي في مناقب علي بن أبي طالب. وعن كتاب النشر والطي. وعيد الغدير في الإسلام للشيخ الأميني ص ٢٠ وراجع: الصراط المستقيم ج ١ ص ٣٠٣ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢١٧.

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم، سمعنا وأطعنا لما أمرنا الله ورسوله، بقلوبنا، وأنفسنا، وألسنتنا، وجميع جوارحنا.
ثم انكبوا على رسول الله، وعلى عليٍّ بأيديهم..
وكان أول من صافق رسول الله (ﷺ) أبو بكر وعمر، وطلحة والزبير، ثم باقي المهاجرين [والأنصار وباقي] الناس على طبقاتهم، ومقدار منازلهم، إلى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد، والمغرب والعشاء الآخ

وفي نص آخر: قال أبو بكر وعمر: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة^(١).

١ - راجع: الغدير ج ١ ص ٢٧٣ عن كتاب الولاية لابن عقدة، وعن المرزباني في كتابه سرقات الشعر، وعن الدارقطني، وعن الإبانة لابن بطة، وعن التمهيد للباقلاني، وعن العاصمي في زين الفتى، والصواعق المحرقة ص ٤٤ وكفاية الطالب ص ٦٢ . ٦٤ . وفيض القدير للمناوي ج ٦ ص ٢١٨ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٧ ص ١٣ والفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٣٠٦ . والفضائل لابن شاذان ص ١٣٣ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٥٥ وبحار الأنوار ج ١٠٤ ص ١١٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢١١ و ٢٦٣ و ٣٦٤ و ٤٠٥ و ٤١٢ و ٨٢ ص ٨٢ ج ٩ ص ٩٧ و ١٤٣ و المراجعات ص ٢٨٢ والغدير ج ١ ص ١١ و ٢٧٣ و ٢٨١ و ٢٨٢ = ٣٠٣ و ٣٠٩ و ٣٥٤ و شرح إحقاق الحق ج ٦ ص ٣٦٦ ج ٢٠ ص ٥٨١ و ٥٩٩ و ٢١ ص ٥٠ و ٥٢ و ٥٦ و ٣١ ص ٥٠٠ ونهج الإيمان ص ١٢٧ .

فقال حسان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ أبياتاً تسمعهن.

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسان، فقال: يا معشر مشيخة قريش، أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية، ثم

قال^(١):

١ - الغدير للعلامة الأميني ج ١ ص ١١ و ٢٣٢ ورسائل المرتضى ج ٤ ص ١٣١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ١ ص ١١٩ و ٣٦٣ والمسترشد للطبري (الشيعة) ص ٤٦٩ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ٩٤ والطرائف ص ١٤٦ وتنبية الغافلين لابن كرامة ص ٦٤ والجمل للمفيد ص ١١٧ ومناقب علي بن أبي طالب "عليه السلام" وما نزل من القرآن في علي "عليه السلام" لابن مردويه ص ٢٣٣ والمناقب للخوارزمي ص ١٣٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٨٨ وج ٣٧ ص ١١٢ و ١٦٦ و ١٧٨ و ١٧٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٤٧ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٥٦ وج ٢٠ ص ١٩٩ والألمالي للصدوق ص ٦٧٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص ١١٦ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص ٤٢ وروضة الواعظين ص ١٠٣ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٢٠ ونظم درر السمطين ص ١١٢ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص ٢٩٠ والإرشاد ج ١ ص ١٧٧ وأقسام المولى للشيخ المفيد ص ٣٥ والصراط المستقيم ج ١ ص ٣٠٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٣٠ وكنز = الفوائد ص ١٢٣ ومسار الشيعة للشيخ المفيد ص ٣٩ وإعلام الورى ج ١ ص ٢٦٢ والدر النظيم ص ٢٥٣ و ٣٩٦ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٢٥.

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم فاسمع بالرسول مناديا
يقول: فمن مولاكم ووليكم؟! فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولم تر منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاذا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه وكن للذي عادا علياً معاديا
وحسب رواية سليم بن قيس:

ألم تعلموا أن النبي مُجَدِّدٌ لَدَى دَوْحِ خَمٍ حِينَ قَامَ مَنَادِيَا
وَقَدْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِأَنَّكَ مَعْصُومٌ فَلَا تُكَ وَانِيَا
وَبَلِّغْهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ رَجْمًا وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ وَحَادَرْتَ بَاغِيَا
عَلَيْكَ فَمَا بَلَّغْتَهُمْ عَنْ إِيْلَهُمْ رَسَالَتَهُ إِنْ كُنْتَ تُخَشِي الْأَعَادِيَا
فَقَامَ بِهِ إِذْ ذَاكَ رَافِعٌ كَفَّهُ بِيَمِينِي يَدِيهِ مَعْلَنُ الصَّوْتِ عَالِيَا
فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ مِنْكُمْ وَكَانَ لِقَوْلِي حَافِظًا لَيْسَ نَاسِيَا
فَمَوْلَاهُ مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ وَإِنِّي بِهِ لَكُمْ دُونَ الْبَرِيَّةِ رَاضِيَا
فِيَا رَبِّ مَنْ وَالِيَّ عَلِيًّا فَوَالَهُ وَكَانَ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مَعَادِيَا
وَيَا رَبِّ فَانصُرْ نَاصِرِيهِ لِنَصْرِهِمْ إِمَامَ الْهُدَى كَالْبَدْرِ يَجْلُو الدِّيَاجِيَا

ويا رب فاخذل خاذليه وكن لهم إذا وقفوا يوم الحساب مكافياً^(١)

وعن عمر بن الخطاب قال:

نصب رسول الله (ﷺ) علياً علماً، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيدي عليهم.

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح، قال لي: يا عمر لقد عقد رسول الله عقداً لا يحله إلا منافق.

فأخذ رسول الله بيدي فقال: يا عمر، إنه ليس من ولد آدم، لكنه جبرائيل أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في علي^(٢) ..

١- كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٢٨ و ٨٢٩ و (بتحقيق الأنصاري) ص ٣٥٦ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٩٥.

٢- الغدير للعلامة الأميني ج ١ ص ٥٧ عن مودة القرني لشهاب الدين الهمداني، المودة الخامسة، وينابيع المودة ج ٢ ص ٧٣ و (ط) دار الأسوة) ص ٢٨٤ عنه.

وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٨٧ و ج ٩ ص ٢٧٣ والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص ١٧٨ وشرح إحقاق الحق ج ٦ ص ٢٥٢ عن أرجح المطالب (ط لاهور) ص ٥٦٥ و ج ٢١ ص ٦٥ عن آل محمد (نسخة مكتبة السيد الأشكوري) ص ٤٥٣ وراجع: الدر النظيم ص ٢٥٣.

الفصل الرابع: هكذا حورب عيد الغدير..

بداية ضرورية:

لقد حاول مناوؤا علي (عليه السلام)، والرافضون لامامته بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يتخلصوا من حديث الغدير باتجاهان:

١ . تغييبه من التاريخ بادعاء أن هذه الواقعة أما حدث جاهلي، أو حدث اسلامي، ولكن لا ربط له بموضوع الإمامة، بل اريد به تبرئة علي (عليه السلام) من تهمة وجهت إليه .
٢ . تغييبه عن الممارسة ومنعه من الحضور في الواقع العملي عن طريق محاربته في كل سنة، والمنع من الإحتفال به ..

٣ . الطعن في أسانيد، وهذه الأمور الثلاثة هي التي ستحدث عنها بإيجاز في هذا الفصل ..

٤ . التشكيك في دلالة مضمونة، وهذا ما سنتعرض له في الفصول التي تليه .

وعلى هذا الأساس نقول:

حديث الغدير واقعة حرب:

زعم الدكتور ملحم إبراهيم الأسود: أن واقعة الغدير هي واقعة حرب

معروفة^(١).

ونقول:

إن من المعلوم: أنه ليس في غزوات النبي (ﷺ)، ولا في سراياه أية واقعة حرب معروفة بهذا الاسم. وقد ذكر: أنه كان في الجاهلية واقعة حرب بهذا الإسم^(٢)، وتطبيقها على حديث الغدير هنا لا معنى له، فإنه لم يكن للنبي (ﷺ) ولا لعلي (عليه السلام) أدنى ارتباط به.. فلا معنى لتفسير المراد بذلك بصورة مطلقة، وبطريق التعميم.. فإن ما حدث في الإسلام وذكر فيه النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) لا يمكن أن يراد به تلك الواقعة التي كانت في الجاهلية.

يوم الغدير لتبرئة علي (عليه السلام):

قال ابن كثير: (فصل: في إيراد الحديث الدال على أنه (ﷺ) خطب بمكان بين مكة والمدينة، مرجعه من حجة الوداع، قريب من الجحفة - يقال له غدير خم - فبين فيها فضل علي بن أبي طالب، وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة، التي ظنها بعضهم جوراً، وتضييقاً وبخلاً،

١ - الغدير للعلامة الأميني ج ١ ص ١٢ وج ٢ ص ٣٣١ عن شرح ديوان أبي تمام ص ٣٨١ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص ٥٦٩.

٢ - الأغاني ج ١٠ ص ١٤ و ١٥ والعقد الفريد ج ٥ ص ٩٩.

والصواب كان معه في ذلك.

ولهذا لما تفرغ (ﷺ) من بيان المناسك، ورجع إلى المدينة بيّن ذلك في أثناء الطريق. فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذٍ. وكان يوم الأحد بغدير خم. تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء. وذكر من فضل علي، وأمانته وعدله، وقربه إليه، ما أراح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه^(١).

إلى أن قال: (قال مُجَدِّدُ بن إسحاق - في سياق حجة الوداع -: حدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لما أقبل علي من اليمن، ليلقى رسول الله (ﷺ) بمكة، تعجل إلى رسول الله، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل، فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي.

فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك! ما هذا؟

قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس.

قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله (ﷺ).

قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز.

قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم^(٢).

١ - البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤١٤.

٢ - البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤١٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٦٠٣ و (نشر مكتبة مُجَدِّدِ علي صبيح) ج ٤ ص ١٠٢١ وبحار = الأنوار ج ٤١ ص ١١٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤٠٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٧ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٣٠٤ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ١٩٤.

ثم روى ابن إسحاق، عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس علياً، فقام رسول الله (ﷺ) فينا خطيباً، فسمعتة يقول:

(أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يُشكى)^(١).
ونقول:

١. قد تحدثنا عن القضية التي أشار إليها ابن كثير في فصل سابق.. فلا بأس بمراجعة ما ذكرناه هناك.
٢. إن ما زعمه ابن كثير من أن السبب هو قضية الحلل، التي من الخمس، حيث منع علي (عليه السلام) المقاتلين من الإستيلاء عليها.. ليس له ما يدل عليه في كلمات الرسول في غدير خم، ولا في النصوص التاريخية التي

١- البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٨ وج ٧ ص ٣٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤١٥ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ١٩٤ ومسند أحمد ج ٣ ص ٨٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٦٠٣ و (نشر مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ١٠٢٢ وينايع المودة ج ٢ ص ٣٩٨ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٤ ص ١٨٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٩٩ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ١٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٢٤٠ و ٢٣٤ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ وج ٢٠ ص ٣٠٠ و ٣٠٢ وج ٢٣ ص ٦٠٦ وج ٣١ ص ٤٨.

يمكن التعويل عليها، بل هو مجرد حدس، وتضمن من ابن كثير على الأظهر.. إن لم نقل: أن وراء الأكمة ما وراءها من الكيد، والتعصب ضد علي (عليه السلام).. والسعي لإنكار مقاماته وفضائله.. والنصوص المعتمدة والمتواترة صريحة: بأنه (صلى الله عليه وآله) قد نصب علياً (عليه السلام) ولياً في ذلك اليوم، وليست القضية قضية تبرئة علي (عليه السلام) مما نسب إليه..

٣ - إن نزل قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ^(١) شاهد صدق على ما نقول، ويسقط ما يريد ابن كثير أن يسوق له.. وسيأتي الكلام حول ذلك إن شاء الله تعالى..

٤ - إن الخطبة التي رواها ابن إسحاق هي خطبة أخرى، لا ربط لها بما جرى في غدير خم.. ولكن ابن كثير اجتهد في تطبيق هذه على تلك، وتجاهل الخطبة الحقيقية، والنصوص الصحيحة المتواترة، الآتي شطر منها.

يوم الغدير عيد:

هذا.. ولا حاجة بنا إلى إثبات أن يوم الغدير عيد إسلامي أصيل، وأنه لم يزل معروفاً بهذه الصفة منذ القرون الثلاثة الأولى.

فلا يصح قول المقريري عن عيد الغدير: (أول ما عرف في الإسلام

١ - الآية ٣ من سورة المائدة.

بالعراق، أيام معز الدولة علي بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة، فاتخذته الشيعة من حينئذ عيداً^(١).

ويدل على بطلانه:

- ١ - قول المسعودي: (وولّد علي (عليه السلام)، وشيعته يعظمون هذا اليوم)^(٢).
- والمسعودي قد توفي قبل التاريخ المذكور، أي في سنة ٣٤٦ هـ.
- ٢ - وروى فرات بن إبراهيم، وهو من علماء القرن الثالث عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يوم غدیر خم أفضل أعياد أمّتي الخ..^(٣)).
- ٣ - وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه خطب في سنة اتفق فيها الجمعة والغدير، فقال: (إن الله عز وجل جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين..).

١ - الخطط للمقريزي ج ١ ص ٢٨٨.

٢ - التنبيه والإشراف ص ٢٢١ و ٢٢٢.

٣ - راجع: الغدير ج ١ ص ٢٨٣ والأمالى للصدوق ص ١٨٨ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٢٦٤ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٠٩ وج ٩٤ ص ١١٠ ونور الثقلين ج ١ ص ٥٨٩ وبشارة المصطفى للطبري ص ٤٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٣٣٩ وروضة الواعظين ص ١٠٢.

والخطبة طويلة يأمرهم فيها تفصيلاً بفعل ما ينبغي فعله في الأعياد، وبإظهار البشر والسرور، فمن أراد فليراجع^(١).

٤ . وعن فرات بن أحنف، عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: قلت: جعلت فداك، للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى، ويوم الجمعة، ويوم عرفة؟! من الفطر والأضحى، ويوم الجمعة، ويوم عرفة؟! من الفطر والأضحى، ويوم الجمعة، ويوم عرفة؟!

قال: فقال لي: (نعم، أفضلها، وأعظمها، وأشرفها عند الله منزلة، هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأنزل على نبيه محمد: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي الْآيَةَ (٢) (٣)**).

٥ . وفي الكافي: عن الحسن بن راشد، عن الإمام الصادق (عليه السلام)

١ - مصباح المتهجد ص ٦٩٨ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص ٧٥٤ والغدير ج ١ ص ٢٨٤ عنه، ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٤٥ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٧ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٢٥٦ والمصباح للكفعمي ص ٦٩٧ وبحار الأنوار ج ٩٤ ص ١١٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٤٢١ والغدير ج ١ ص ٢٨٤ ومسند الإمام الرضا "عليه السلام" للعتاردي ج ٢ ص ٢٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليهم السلام" ج ٨ ص ٧٢.

٢ - الآية ٣ من سورة المائدة.

٣ - الغدير ج ١ ص ٢٨٤ و ٢٨٥ وتفسير فرات ص ١١٧ حديث ١٢٣ ومستدرك الوسائل ج ٦ ص ٢٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٤٧٣ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ٦ ص ١٨٠ و ٣١٣ و ٤١٣.

أيضاً: أنه اعتبر يوم الغدير عيداً.

وفي آخره قوله: (فإن الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصي أن يتخذ عيداً).

قال: قلت: فما لمن صامه؟!

قال: (صيام ستين شهراً)^(١).

٦ - ويؤيده: ما رواه الخطيب البغدادي، بسند رجاله كلهم ثقات، عن أبي هريرة: من صام يوم ثماني

عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم الخ..)^(٢).

١- الكافي ج ٤ ص ١٤٨ و ١٤٩ والغدير ج ١ ص ٢٨٥ عنه، ومصباح المتهدد ص ٦٨٠ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص ٧٣٧ و ذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٥١٩ و مشارق الشموس (ط.ق) ج ٢ ص ٤٥١ و الحدائق الناضرة ج ١٣ ص ٣٦١ و جامع المدارك ج ٢ ص ٢٢٤ و ثواب الأعمال للصدوق ص ٧٤ و من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٩٠ و تهذيب الأحكام ج ٤ ص ٣٠٥ و وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٤١ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٤ و بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٧٢ و ج ٩٤ ص ١١١ و جامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٤٢٠ و بشارة المصطفى للطبري ص ٣٦٤.

٢- تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٩٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٢٨٤ وأشار إليه في تذكرة الخواص ص ٣٠ و المناقب للخوارزمي ص ٩٤ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ١٥٦ وفيه ستين سنة بدل ستين شهراً، و مناقب الإمام علي = "عليه السلام" لابن المغازلي ص ١٩ وفي فرائد السمطين الباب ١٣ ج ١ ص ٧٧ كما في المناقب للخوارزمي، والغدير ج ١ ص ٢٣٢ و ٤٠١ و ٤٠٢ عنهم، وعن زين الفتى للعاصمي. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص ١١٤ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٢٥ و الأمالي للصدوق ص ٥٠ و شرح أصول الكافي ج ٥ ص ١٩٦ و ج ٦ ص ١٢٠ و ينابيع المودة ج ٢ ص ٢٨٣ و الطرائف ص ١٤٧ و روضة الواعظين ص ٣٥٠ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٣٤ و ١٨٧ و ٢٤٦ و ٢٧٧ و ٣٤٤ و ٣٤٨ و ٣٥٤ و ج ٨ ص ٢٧٧ و ٢٨١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٣٠١ و ٣٠٢ و العملة لابن البطريق ص ١٠٦ و بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٠٨ و ج ٩٤ ص ١١٠ و ج ٩٥ ص ٣٢١ و تفسير الألوسي ج ٦ ص ١٩٤ و شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٠ و ٢٠٣ و كتاب الأربعين للماحوزي ص ١٤٨ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ و بشارة المصطفى للطبري ص ١٥٨ و ٤٠٢ و كشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص ٢٥٨ و شرح إحقاق الحق ج ٦ ص ٢٣٤ و ٢٥٥ و ٣٥٣ و ج ١٤ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ج ٢٠ ص ١٩٧ و ج ٢١ ص ٦١ و ٦٤ و ج ٣٠ ص ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٣ و ٣٨٦.

٧- وفي رواية أخرى: أن رسول الله (ﷺ) أوصى علياً (عليه السلام) أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً^(١).

١- الكافي ج ٤ ص ١٤٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٣ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٧٢ والغدير ج ١ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٥١٩ وجامع أحاديث = الشيعة ج ٩ ص ٤١٩ والحدائق الناضرة ج ١٣ ص ٣٦٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٣٤٢.

- ٨ . وليراجع ما رواه المفضل بن عمر، عن الصادق (عليه السلام) (١) .
٩ . وما روي عن عمار بن حريز العبدي عنه (عليه السلام) (٢) .
١٠ . وعن أبي الحسن الليثي عنه (عليه السلام) (٣) .

-
- ١- الخصال ج ١ ص ٢٦٤ والغدير ج ١ ص ٢٨٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٤٣ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٥ وبحار الأنوار ج ٩٤ ص ١١ وجامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٤٢١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٣٤٢ .
- ٢- مصباح المتهجد ص ٦٨٠ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص ٧٣٧ والغدير ج ١ ص ٢٨٦ وبحار الأنوار ج ٩٥ ص ٢٩٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٦ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٨ ص ٤٧٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٣٤٤ والحدائق الناضرة ج ١٠ ص ٥٣٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٧ ص ٤١١ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليه السلام" ج ٨ ص ٣٣ .
- ٣- الغدير ج ١ ص ٢٨٧ عن الحميري، ومستدرك الوسائل ج ٦ ص ٢٧٦ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٢٧٩ وبحار الأنوار ج ٩٥ ص ٣٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٧ ص ٤١١ وموسوعة الإمام علي "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٣٤٣ .

١١ . وعن زياد بن مُجَدِّد عن الصادق (عليه السلام) (١) .

١٢ . وعن سالم عن الإمام الصادق (عليه السلام) (٢) .

١٣ . وقال الفياض بن عمر الطوسي سنة تسع وخمسين ومائتين، وقد بلغ التسعين: إنه شهد أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في يوم الغدير، وبحضرتة جماعة من خاصته، قد احتبسهم للإفطار، وقد قدم إلى منازلهم الطعام، والبر والصلوات، والكسوة حتى الخواتيم والنعال، وقد غير من أحوالهم، وأحوال حاشيته، وجددت لهم آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتدائها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم وقدمه (٣) .

١ - مصباح المتهجد ص ٦٧٩ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص ٧٣٦ والمصباح للكفعمي ص ٦٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٤١٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٤٣ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليه السلام" ج ٨ ص ٣٨ .

٢ - الكافي ج ٤ ص ١٤٩ والغدير ج ١ ص ٢٨٥ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٥١٩ والحدايق الناضرة ج ١٣ ص ٣٦٢ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٣ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٢٦٣ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٤١٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليه السلام" ج ٦ ص ١٩٢ و ج ٧ ص ٣٩٢ و ج ٨ ص ٣٦ .

٣ - الغدير ج ١ ص ٢٨٧ ومصباح المتهجد ص ٦٩٦ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) = ص ٧٥٢ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٦ وبحار الأنوار ج ٩٤ ص ١١٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٤٢١ ومسند الإمام الرضا "عليه السلام" للعطاردي ج ٢ ص ٢١ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليه السلام" ج ٨ ص ٧٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ٣٤٦ .

وفي المختصر، بالإسناد، عن مُجَدِّ بن علاء الهمداني الواسطي، ويحيى بن جريح البغدادي، قالوا في حديث: قُصِدْنَا جَمِيعاً أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَمِي، صَاحِبَ الْإِمَامِ أَبِي مُجَدِّ الْعَسْكَرِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، بِمَدِينَةِ قَم، وَقَرَعْنَا عَلَيْهِ الْبَابَ، فَخَرَجَتْ إِلَيْنَا مِنْ دَارِهِ صَبِيَّةٌ عِرَاقِيَّةٌ، فَسَأَلْنَاهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: هُوَ مَشْغُولٌ بِعِيْدِهِ، فَإِنَّهُ يَوْمَ عِيْدٍ.

فقلنا: سبحان الله، أعياد الشيعة أربعة: الأضحى، والفطر، والغدير، والجمعة الخ..^(١). وبعد.. فقد حشد العلامة الأميني، في كتابه القيم: (الغدير) عشرات النصوص عن عشرات المصادر الموثوقة عند أهل السنة، والتي تؤكد على عيدية يوم الغدير في القرون الأولى، وأنه كان شائعاً ومعروفاً في تلك العصور..

وتكفي مراجعة الفصل الذي يذكر فيه تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر

١ - الغدير ج ١ ص ٢٨٧ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٠ وج ٩٥ ص ٣٥١ والمختصر ص ٩٣.

لأمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه المناسبة، فقد ذكر ذلك عن ستين مصدراً.. هذا.. عدا المصادر الكثيرة التي ذكرت تهنئة الصحابة له (عليه السلام) بهذه المناسبة، وعدا المصادر التي نصت على عيدية يوم الغدير، فإنها كثيرة أيضاً^(١).
عيد الغدير لا أصل له:
ومن ذلك كله يعلم: عدم صحة قول ابن تيمية عن عيد الغدير: (إن اتخذ هذا اليوم عيداً لا أصل له، فلم يكن في السلف، لا من أهل البيت، ولا من غيرهم، من اتخذ ذلك عيداً)^(٢).
فإنه كلام ساقط عن الاعتبار، لأنه لا يستند إلى دليل علمي، ولا تاريخي على الإطلاق.. وإنما الأدلة كلها على خلافه.

١- الغدير ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٨٩ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص ٢٧٠ عن الطبري في كتاب الولاية، وعن الخليلي في مناقب علي بن أبي طالب. وعن كتاب النشر والظي. وراجع: الصراط المستقيم ج ١ ص ٣٠٣ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢١٧. وراجع: التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٢٢ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٣٦٧.
٢- إقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٤ و (ط سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) ج ٢ ص ٨٣.

ماذا يقول شائغو علي (عليه السلام)؟!:

ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة يعدل صيام ستين شهراً، ولكن نفوس شائغي علي (عليه السلام)، والمتحاملين عليه لم تحتمل سماع هذه الفضيلة له، فبادرت إلى تكذيبها بصورة قاطعة معززة بالأيمان المغلظة، وكان مستندهم في ذلك غريباً وعجيباً، فاستمع إلى ابن كثير وهو ينقل لنا ذلك عن الذهبي، فيقول عن هذا الحديث:

(إنه حديث منكر جداً، بل كذب، لمخالفته لما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أن هذه الآية نزلت في يوم الجمعة، يوم عرفة. ورسول الله ﷺ واقف بما كما قدمنا.

وكذا قوله: إن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم غدیر خم، يعدل صيام ستين شهراً، لا يصح، لأنه قد ثبت ما معناه في الصحيح: أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً؟! هذا باطل.

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بعد إيراده هذا الحديث: هذا حديث منكر جداً. ورواه حبشون الخلال، وأحمد بن عبد الله بن أحمد النبري، وهما صدوقان، عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة. قال: ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، ومالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية.

قال: وصدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله (ﷺ) قال:

قاله، وأما: اللهم وال من والاه، فزيادة قوية الإسناد. وأما هذا الصوم فليس بصحيح، ولا والله، ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة، قبل غدير خم بأيام، والله تعالى أعلم^(١).
ونقول:

إن كلام الذهبي مرفوض جملة وتفصيلاً، وذلك لما يلي:

١. قد ذكرنا: أن نزول الآية في يوم عرفة في ضمن سورة المائدة لا يعني عدم نزولها مرة أخرى بعد ثمانية أيام في غدير خم..

بل إن ثمة آيات وسوراً قد نزلت أكثر من مرة لمناسبات اقتضت نزولها أكثر من مرة..

٢. إن هؤلاء رووا أيضاً: أن من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر^(٢).

١ - البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٢٥.

٢ - سنن أبي داود ج ١ ص ٥٤٤ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ١٨٣ وفتح الباري ج ٤ ص ١٩٤ ومسند الحميدي ج ١ ص ١٨٨ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ١٦٣ وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ٢٩٨ والمعجم الأوسط ج ٥ ص ١٧١ والمعجم الكبير ج ٤ ص ١٣٦ وأمالي الحافظ الأصبهاني ص ٢١ و ٣٤ ومعرفة السنن والآثار ج ٣ ص ٤٥٠ والإستذكار ج ٣ ص ٣٧٩ والإنصاف للمرداوي ج ٣ ص ٣٤٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ١٠٩ وج ٣٢١ والبرهان للزركشي ج ٢ ص ١٣٦ الدر المنثور ج ٣ ص ٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٦ ص ٣٥.

٣ . عن يزيد بن هارون، عن شعبة، عن أنس بن سيرين، عن عبد الملك بن المنهال، عن أبيه، عن رسول الله (ﷺ)، أنه كان يأمر بصيام البيض. ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة. ويقول: (هو كصوم الدهر، أو كهينة صوم الدهر)^(١).

٤ . وعن علي (عليه السلام): (في رجب يوم وليلة، من صام ذلك اليوم، وقام تلك الليلة، كان له من الأجر كمن صام مائة سنة، وقام مائة سنة. وهي لثلاث ليال بقين من رجب. في ذلك اليوم بعث الله محمداً نبياً)^(٢).

٥ . وروي: من صام يوماً من رجب كان كصيام سنة^(٣).

٦ . عن ابن عمر عنه (ﷺ): صوم يوم عرفة صوم

-
- ١ - مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧ و ٢٨ و سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٤٤ وعمدة القاري ج ١١ ص ٩٦ والآحاد والمثاني ج ٣ ص ٢٦٨ وج ٤ ص ٢٨٩ والمعجم الكبير ج ١٠ ص ١٣٧ وج ١٩ ص ١٧ وراجع: مسند أبي داود الطيالسي ص ١٧٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٥ و ٤١٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٩٤ وفتح الباري ج ٤ ص ١٩٧ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ٨١.
 - ٢ - تذكرة الموضوعات للفتني ص ١١٦ وفضائل الأوقات للبيهقي ص ٩٦ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٣٥.
 - ٣ - فضائل الأوقات للبيهقي ص ٩٣ وكنز العمال ج ٨ ص ٥٧٨ وج ١٢ ص ٣١١ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٣٥.

سنة^(١).

وفي نص آخر: يعدله بصوم سنتين^(٢).

٧ - عن أبي قتادة قال: صيام يوم عرفة يعدل السنة والتي تليها، وصيام عاشوراء يعدل سنة^(٣).

٨ - وروي مرسلاً: صيام كل يوم من أيام العشر كصيام شهر، وصيام عرفة كصيام أربعة عشر شهراً^(٤).

٩ - وعن ابن عباس، عنه (ﷺ): من صام يوم عرفة كان له كفارة سنتين، ومن صام يوماً من الحرم

فله بكل يوم ثلاثون يوماً^(٥).

١٠ - وروى البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن ماجه وغيرهم: أن النبي (ﷺ) قال لعبد الله بن عمرو:

صم ثلاثة أيام من الشهر صوم

١ - مسند أبي يعلى ج ١٠ ص ١٧ وكنز العمال ج ٥ ص ٧٥ و ١٩٣ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ٧٢.

٢ - مسند أحمد ج ٥ ص ٣٠٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ١٥٢.

٣ - كنز العمال ج ٥ ص ٧٥ و ٧٦ وراجع: السنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ١٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٢٧٧.

٤ - كنز العمال ج ٥ ص ٧٦ وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٤٢٧ ومستدرك الوسائل ج ٧ ص ٥٢٩.

٥ - مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٩٠ والمعجم الصغير ج ٢ ص ٧١ والجامع الصغير ج ٢ ص ٦١٤ والعهد الحمدي ص ١٩١ وكنز العمال

ج ٨ ص ٥٧٢ وفيض القدير ج ٦ ص ٢١٠.

الدهر كله^(١).

فهل يستطيع العجلوني والذهبي، ومن ينسج على منوالهما أن يحكم بكذب هذه الروايات كلها وسواها مما يدخل في هذا السياق، مع أن بعضها وارد في صحاحهم، ولا يكاد يخلو منه كتاب حديث لهم يتعرض لثواب صيام الأيام؟!!

أم أن وراء الأكمة ما وراءها من التحامل على علي (عليه السلام)، والتشكيك في كل ما يؤيد إمامته، ويسعى لتكذيب ما جرى عليه وعلى زوجته فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!!

الإبتداع الغي:

وقالوا عن سنة ٣٨٩ هـ: (وفيها أرادت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، فيما يزعمونه، فقَاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السنة؛ فادعوا: أنه في مثل هذا اليوم حصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبو بكر في الغار، فامتنعوا من ذلك)^(٢).

١- مسند أحمد ج ٢ ص ١٨٩ و سنن النسائي ج ٤ ص ٢١٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٩٩ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ١٣١.

٢- راجع: البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٢٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١١ ص ٣٧٣ والمنتظم ج ٧ ص ٢٠٦ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٠ والخطط = المقيزية ج ١ ص ٣٨٩ والكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٥٥ وذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج ٣ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ونهاية الإرب ج ١ ص ١٨٥.

واستمر أهل السنة يعملون هذا العيد المزعوم دهرًا طويلًا. وقد أظهروا فيه الزينة، ونصب القباب، وإيقاد النيران الخ..^(١).
ونقول:

- ١ - إن الشيعة لم يتدعوا هذا الأمر من عند أنفسهم، وإنما عملوا بقناعاتهم، وبما ثبت لديهم أنه من الدين، فهل الذي يعمل بقناعاته الإيمانية، التي يستند فيها إلى الدليل والبرهان القاطع يعتبر جاهلاً؟!..
- ٢ - وهل يصح مساواة من يعمل بما ثبت لديه بالدليل بالذي يعتدي عليه من غير حق، وبدون وجه شرعي، وإنما مجرد البغي عليه، والتعبر فيه، والتحكم به، انطلاقاً من العصبية والهوى؟!.
- ٣ - وإذا كان هذا الرجل قد اعترف بأن المعتدين على الشيعة جهلة من حيث إن هؤلاء المعتدين هم أهل نحلته، وهو أعرف الناس بهم، فمن أين علم أن الآخرين جهلة أيضاً، ولماذا يتهمهم بما لا يحق له اتهامهم به؟!.
- ٤ - ولماذا لا يردع عقلاء أهل السنة جهلاءهم المعتدين عن عدوانهم؟!.

١- راجع: البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٢٥. ٣٢٦ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٠ والمنتظم ج ٧ ص ٢٠٦ والكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٣٨٠ - ٤٠٠ هـ) ص ٢٥ وعن تاريخ كزيده ص ١٤٨ وذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع ج ٣ ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

٥ . وما هو المبرر لاختراع عيد جديد لم نجد من علمائهم أية إدانة له، أو اعتراض عليه، رغم اعترافه بأنه بدعة، والبدعة لا يصح ترويجها، ورغم أنهم حنابلة يتشددون في مثل هذا الأمر إلى حد تكفير فاعله ولا سيما إذا أصر عليه؟! ولا أقل من أنهم يرون ذلك خروجاً عن حدود الشرع والدين، فلا بد لهم من النهي عن المنكر..

فكيف إذا استمر هذا العيد بينهم دهرًا طويلاً، كما صرحوا به أنفسهم، دونما مانع أو رادع؟!
٦ . واللافت هنا: أن علماءهم ينسبون هذا العيد إلى العوام، ويتحاشون التعبير بكلمة عيد، ويتأون بأنفسهم عن توصيفه بالبدعة، فيقولون: عمل عوام السنة يوم سرور، وكأن الأسماء تغير الواقع وتلغيه. ولكن ما أسرعهم إلى وصم الآخرين الذين يخالفونهم في الإجتهد والرأي . ولو كانوا من أهل السنة بالكفر . والشرك، وما إلى ذلك، لأتفه الأسباب، وأوهى العلل..

٧ . والأدهى من ذلك كله.. : أن عيدهم هذا قد ارتكز على تزوير عظيم وظالم، لتاريخ بريء من هذا الأمر، براءة الذئب من دم يوسف، ولا علاقة له بموضوع الغدير والإمامة والبيعة، حيث الزموا أنفسهم بأن يجعلوا يوم الثامن عشر من ذي الحجة هو عيد الهجرة المرتبطة بالنبي (ﷺ)، وحصره بالغار! في حين أن الأمة بأسرها مجمعة على أن ذلك قد حصل في شهر ربيع الأول..
فلماذا لم يلفت علماءهم نظرهم إلى هذا الخطأ الفادح والمعيب؟!

وإن كان علماءهم يوافقونهم على ذلك، ولم يلتفتوا إلى هذا الخطأ فعلى الإسلام السلام..

٨ . على أننا لا ندري لماذا اعتبروا يوم حصر النبي (ﷺ) في الغار يوم سرور وفرح؟! ولم لا يكون سائر ما جرى على النبي أعياداً، وإيام فرح وسرور؟! مثل يوم قلع باب خيبر، ويوم فتح مكة، ويوم قتل عمرو بن عبد ود، وسائر أيام النصر أعياداً..

٩ . إذا كان حصر النبي في الغار من موجبات السرور والفرح عند هؤلاء، فهل لنا أن نتوقع أن يتخذوا يوم وفاة رسول الله (ﷺ) يوم عيد أيضاً؟! .. تماماً كما اعتبروا يوم عاشوراء يوم توسعة على العيال، ولبس الجديد، وما إلى ذلك؟!

الفصل الخامس: حديث الغدير: ثابت.. ومتواتر..

المنكرون والمشككون...:

هناك من حاول الطعن في سند حديث الغدير، ولكن بصورة عشوائية وأهوائية، وهم إما لم يقدموا أي دليل على رفضهم لهذا الحديث، أو قدموا دليلاً، لا أساس له من الصحة.. فلاحظ ما يلي:

١ - زعم التفتازاني: أن أكثر الذين تنسب إليهم رواية حديث الغدير لم يرووه على الحقيقة^(١). وهذا تحكم غير مقبول، ودعوى بلا دليل، ولا مبرر له من الناحية العلمية..

٢ - زعم ابن تيمية: أنه لا ريب في كذب هذا الحديث^(٢). وهذا كسابقه، من حيث إنه محض دعوى لم يقدم دليلاً عليها، ولو جاز رد الأحاديث بهذه الطريقة لبطل الدين، ومحقت شريعة سيد المرسلين..

كما أنه لو جاز رد الأحاديث التي لها هذه الأسانيد الصحيحة والمتواترة كما سنرى، فإنه لا يمكن إثبات أية حقيقة على الإطلاق..

١ - شرح المقاصد ج ٥ ص ٢٧٤.

٢ - منهاج السنة ج ٤ ص ٨٥.

- ٣ . وثمة من طعن في حديث الغدير، واعترف بصحة الدعاء: وهو قوله (ﷺ): اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وقال: لم يخرج غير أحمد إلا الجزء الأخير من قوله: (اللهم وال من والاه إلخ..)^(١).
- وهذا الكلام أيضاً تحكم باطل.. وأدنى مراجعة للمصادر تظهر ذلك، على أن نفس هذا الدعاء الذي اعترف بصحته كاف في إثبات إمامته (عليه السلام).. فإن من يكون كذلك هو الذي يصلح لمقام الإمامة، بل يكون هو الإمام دون سواه، ولا سيما قوله (ﷺ): وانصر من نصره، واخذل من خذله..
- ٤ . وثمة من يقول: (لم يروه علماؤنا)^(٢)، ويقول: (لا يصح من طريق الثقات)^(٣).
- وهذا كذب صراح، فإن المصادر التي تقدمت تكفي في إثبات زيفه..
- ٥ . ومثله قول بعضهم: (لم يذكره الثقات من المحدثين)^(٤) إذا ما أكثر الثقات الذين رووه وذكروه..

١ - الغدير ج ١ ص ٣١٥ عن نجات المؤمن لمحمد محسن الكشميري.

٢ - الغدير ج ١ ص ٣١٥ عن ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة.

٣ - الغدير ج ١ ص ٣١٥ والفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٤٨ وعنه في منهاج السنة ج ٤ ص ٨٦.

٤ - الغدير ج ١ ص ٣١٦ عن السهام الثاقبة لسبط ميرزا مخدوم بن عبد الباقي.

٦ . وهناك من يزعم: أنه لم يخرج إلا أحمد في مسنده^(١) .

وكل ذلك تحكم جائر، وتمحل غبي، يظهر عواره للعيان، حتى للعميان، فضلاً عن العوران والحولان..
مصادر حديث الغدير:

قد جمع العلامة الأميني في كتابه القيم (الغدير) طائفة كبيرة من مصادر حديث الغدير، ولكنه لم
يستطع أن يستقصيها كلها أو أكثرها، ويمكن الإستدراك عليه بمثل ما جمعه أو يزيد.

وقد ألفت الكثيرون في مصادر هذا الحديث وطرقه، وأسانيده . كما سيمر معنا . وكثير من رواياته هي في
عداد الصحاح والحسان..

علماً بأن هذا الحديث متواتر بلا ريب، وتواتره يغني عن النظر في أسانيده، فلا عبرة بعدها بتضعيف
بعض ما لا خبرة له..

طرق حديث الغدير:

قال العلامة الأميني (رحمته الله): (رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين
طريقاً، والجزري المقرئ من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة
وعشرين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً، وفي تعليق هداية العقول ج ٢ ص ٣٠
عن الأمير مُجَّد اليميني (أحد شعراء

١ - الغدير ج ١ ص ٣١٥ عن نجاته المؤمن لمحمد محسن الكشميري.

الغدِير في القرن الثاني عشر): إن له مائة وخمسين طريقاً^(١). وكذا في طبق الحلوى، عن السيد مُجَدِّ إبراهيم.
وأنها أبو العلاء العطار إلى مائتين وخمسين طريقاً^(٢).
وجمع الدارقطني الحافظ طرقه في جزء^(٣).
وجمع الحافظ ابن عقدة الكوفي كتاباً مفرداً فيه الخ^(٤). عن سبعين صحابياً وأكثر^(٥).
وقال العسقلاني في فتح الباري: (وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرج الترمذي
والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها

-
- ١- الغدير ج ١ هامش ص ١٤ وذكر تفاصيل ذلك ص ١٥٢-١٥٨.
 - ٢- الغدير ج ١ هامش ص ٣٠٢ و ١٥٨ عن القول الفصل ج ١ ص ٤٤٥ للعلوي الهدار الحداد، ونُحج الإيمان لابن جبر ص ١٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٩ ص ٦٧٨.
 - ٣- الغدير ج ١ ص ١٥٤ و ٢٩٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٥٠ عن كفاية الطالب ص ٦٠.
 - ٤- كفاية الطالب ص ٥٩ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٠٢ والغدير ج ١ ص ٢٩٧ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٣٩.
 - ٥- تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٩ و (ط دار الفكر) ج ٧ ص ٢٩٨ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٩٣ والغدير ج ١ ص ١٥٣ و ٢٩٩ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٨٩.

ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدھا صحاح وحسان^(١).

وقال العاصمي: (هذا حديث تلقته الأمة بالقبول، وهو موافق بالأصول)^(٢).

وقال ابن عبد البر عن حديث المؤاخاة، وحديثي الراية والغدير: (وهذه كلها آثار ثابتة)^(٣).

وقال ابن المغازلي عن هذا الحديث: (وقد رواه نحو مائة نفس، منهم العشرة المبشرة، وهو حديث

ثابت، لا أعرف له علة)^(٤).

١- الغدير ج ١ ص ١٥٣ و ٣٩٩ و ٣٠٤ و ٣١٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٦١ والمواهب اللدنية ج ٣ ص ٣٦٥ والصواعق المحرقة ص ٤٢ و ٤٣ ووسيلة المآل ص ١١٧ و ١١٨ ونزل الأبرار ص ٥٤ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٩٩ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٦ وينايع المودة ج ٢ ص ٣٦٩ وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٥.

٢- الغدير ج ١ ص ٢٩٥ عن زين الفقي.

٣- الإستيعاب (بھامش الإصابة) ج ٢ ص ٣٧٣ و (ط دار الجليل) ج ٣ ص ١٠٩٩ والغدير ج ١ ص ٢٩٥ ومناقب أهل البيت "للإمام" ص ٤٤.

٤- مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٢٧ والعمدة ص ١٠٨ والطرائف ص ١٤٢ والصراط المستقيم ج ١ ص ٣٠٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٢١ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٨٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٤١ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٣٩ و ج ٩ ص ١٦ والغدير ج ١ ص ٢٩٥ و ٣١٥ ونهج الإيمان ص ١٢٢.

وفي سر العالمين: (أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خم، باتفاق الجميع)^(١).
وفي المناقب لابن الجوزي: (اتفق علماء السير)^(٢).
وقال السمناني: (هذا حديث متفق على صحته)^(٣).
وقال الذهبي: (صدر الحديث متواتر، أتيقن أن رسول الله قاله (ﷺ) قاله، وأما (اللهم وال من والاه..)) فزيادة قوية الإسناد)^(٤).
كما أن شمس الدين الجزري روى حديث الغدير من ثمانين طريقاً، وأفرد في إثبات تواتره رسالته المسماة
بـ (أسنى المطالب).

-
- ١- سر العالمين ص ٢١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٨٤ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٥١ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ١٨٦ والغدير ج ١ ص ٢٧٦ و ٢٩٦ و ٣٩٢.
 - ٢- بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٥٠ و ج ١٠٩ ص ١٩ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٣٥٠ و ج ٩ ص ١٩٥ والغدير ج ١ ص ٢٩٦ و ٣٩٢ والعدد القوية ص ١٨٣.
 - ٣- العروة لأهل الخلوة ص ٤٢٢ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٣١٤ و ٣١٥ والغدير ج ١ ص ٢٩٧ و ٣٩٦.
 - ٤- البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٣٣٣ والسير النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٢٦ وراجع: الغدير ج ١ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ و (ط مركز الغدير للدراسات) ج ١ ص ١٣٢ و ١٣٣ وراجع: روح المعاني ج ٦ ص ١٩٥ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٢٨٢.

وقال بعد ذكر مناشدة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الرحبة: (هذا حديث حسن من هذا الوجه، صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ..) (١).
رواة حديث الغدير:

وتابع الأُميني (رحمته الله): ولا شك في أن هذا الحديث متواتر أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، رواه الجهم الغفيري عن الجهم الغفيري. والروايات الصحاح والحسان كثيرة فيه، رغم أن تواتر الحديث يغني عن النظر في الأسانيد، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا اطلاع ولا بصيرة له في هذا العلم، فقد ورد مرفوعاً. كما قالوا. عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزيير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس بن عبد المطلب، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وبريدة بن الحصيب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وحبشي بن جنادة، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وأسعد بن زرارة، وخزيمة بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وسهل بن حنيف، وحذيفة بن اليمان، وسمره بن جندب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

١ - الغدير ج ١ ص ٢٩٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٨٦ و ١٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢١ ص ١٠٢.

وصحح عن جماعة منهم ممن يحصل القطع بخبرهم^(١).
وقد أحصى العلامة الأميني رواية مائة وعشرة من الصحابة لهذا الحديث، وربما يمكن إضافة عدد وافر
آخر إليهم بالاستفادة من الجهاز الآلي (الكمبيوتر)، تبعاً لازدياد المصادر التي تضاف إلى ذاكرته.
تواتر حديث الغدير:

تقدم معنا ما دل على تواتر حديث الغدير، ونزيد هنا قول جمال الدين الحسيني الشيرازي: أصل هذا
الحديث . سوى قصة الحارث^(٢) . تواتر عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو متواتر عن النبي (ﷺ) أيضاً، ورواه
جمع كثير، وجم غفير من الصحابة^(٣) .
وعن السيوطي أيضاً: إنه حديث متواتر^(٤) .

-
- ١- الغدير ج ١ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ وأسنى المطالب ص ٤٧ و ٤٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٩٠ وشرح إحقاق الحق
(الملحقات) ج ٢١ ص ١٠٣ .
 - ٢- أي التي نزلت آيات سورة المعارج بسببها .
 - ٣- الغدير ج ١ ص ٣٠١ و ٣٠٢ عن الأربعين للشيرازي، وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٩٨ و ج ٨ ص ٢٦١ وشرح إحقاق
الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٩٤ .
 - ٤- فيض القدير ج ٦ ص ٢١٨ وقطف الأزهار ص ٢٧٧ والبيان والتعريف ج ٣ ص ٧٥ و ٢٣٣ والغدير ج ١ ص ٣٠٠ و ٣٠٨
وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٩١ .

وعده المقبل أيضاً في جملة الأحاديث المتواترة، والمفيدة للعلم^(١).
وقال مُجَّد الصنعاني: حديث الغدير متواتر عند أكثر أئمة الحديث^(٢).
وعده العمادي الحنفي من المتواترات^(٣).
وراجع كتاب تشنيف الآذان ص ٧٧، فإنه حكم بتواتره وذكر طائفة من طرقه أيضاً.
الرازي.. والأربع مئة طريق:

يقول الرازي: (ظفرت بأربع مئة طريق إلى حديث الغدير، ومع ذلك لم يؤثر صحته في قلبي)^(٤).
وللرازي مكانته المرموقة بين علماء أهل السنة، وهو هنا كما ترى يصرح بأنه ينقاد لدواعي الهوى
والتعصب، وهذا تصريح خطير منه، نكل أمر الحكم عليه إلى ضمير القارئ، ليعرف مع من نتعامل، وبمن
ابتلي علي

-
- ١- الغدير ج ١ ص ٣٠٦ عن كتاب الأبحاث المسددة في الفنون المتعددة، وعن هداية العقول إلى غاية السؤال ج ٢ ص ٣٠
وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢١٣.
 - ٢- الروضة الندية ص ١٥٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢١٨ والغدير ج ١ ص ٣٠٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦
ص ٢٩٦.
 - ٣- الصلوات الفاخرة ص ٤٩ والغدير ج ١ ص ٣١٠.
 - ٤- رسالة في الإمامة للشيخ عباسي نجل الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة ص ٩٨.

أمير المؤمنين (عليه السلام)، وماذا يمكن أن يكون قد جرى لكثير من الحقائق المرتبطة به (عليه السلام) التي لم توفق إلى أربع مئة طريق من الأسانيد؟! وهل بلغتنا؟! وإن كانت قد بلغتنا، فهل وصلت سليمة عن التحريف والتزييف، والتقليل والتطعيم؟!..

وإذا كان هذا هو حال علماء السلف القريب، فكيف كان حال سلف الرازي نفسه، والذين ذاقوا أو ذاق آباؤهم وإخوانهم طعم سيف علي (عليه السلام)، وواجهوا صلابته في دينه (عليه السلام)؟! هذا مع العلم بأن الرازي يتهم بالتشيع أيضاً.. فاضحك بعد هذا، أو فابك، ما بدا لك.. ما أصعب أن يتواتر حديث الغدير!:

وكلنا يعلم مدى شراسة أعداء علي (عليه السلام)، ولا سيما الأمويين والعباسيين، وغيرهم ممن جاء بعدهم، وإلى يومنا هذا تجاه كل من يروي فضيلة لعلي (عليه السلام) مهما كانت، ومدى الأخطار التي يواجهها العلماء في هذا المجال، حيث يتعرضون لمختلف أنواع الأذى، وأهونها تشويه السمعة، والإهانات والضرب والزج بالسجون، وقطع الأرزاق، إن لم يمكنهم قطع الأعناق..

هذا فضلاً عن أن الكثيرين من حملة الحديث كانت الأحقاد والضغائن تصدهم عن رواية أي شيء يتعلق بعلي (عليه السلام)، فهل يروون له حديث الغدير الذي يدينهم في اعتقادهم، ويسقط حججهم؟!.. من أجل ذلك نقول:

إن تواتر هذا الأمر الذي يحاربه الأكثرون، ويعاقب من يرويه بأشد ما يكون. لا يحتاج إلى كل هذا العدد الهائل، بل يكفي لإثباته، وظهور تواتره خمس هذا العدد، أو أقل من ذلك، ما دام أن الراوي له إنما يحمل دمه على كفه، ويحاطر بروحه ونفسه، ويسير إلى حتفه بظلفه..

وقد قال ابن قتيبة عن تعصب أهل السنة على علي (عليه السلام) ما يلي:
(وتحامي كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله (عليه السلام)، أو يظهرها ما يجب له.. وأهملوا من ذكره، أو روى حديثاً من فضائله، حتى تحامي كثير من المحدثين ثوابها، وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص، ومعاوية! كأنهم لا يريدونها بذلك. بل يريدونه.

فإن قال قائل: أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي، وأبو سبطيه الحسن والحسين، وأصحاب الكساء: علي، وفاطمة، والحسن والحسين، تمعرت الوجوه، وتنكرت العيون، وطرت حسائك الصدور.
وإن ذكر ذاك قول النبي (صلى الله عليه وآله): (من كنت مولاه فعلي مولاه)، و (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) واشباه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج ليتنقصوه ويبخسوه حقه). انتهى^(١).

١ - الإختلاف في اللفظ (ط دار القدسي بمصر سنة ١٣٤٩ هـ) ص ٤٧ وفتح الملك العلي لأحمد بن الصديق المغربي ص ١٥٤ ودفع الإرتياب عن حديث الباب لعلي بن محمد العلوي ص ٣٣.

أسباب إنكارهم التواتر:

ولأن الشيعة يقولون: لا بد في الأمور الإعتقادية الأساسية، ومنها الإمامة من الثبوت بالدليل القطعي، من العقل، أو النقل، فلا يكفي خبر الواحد.. فقد سعى بعض الناس إلى إنكار تواتر حديث الغدير، زعماً منهم أنهم بذلك يسقطون هذا الحديث عن صلاحية الاستدلال به..

وقد غفلوا عن أن التواتر عند بعض علماء أهل السنة: هو الذي يرويه ثمانية من الصحابة^(١)، أو أربعة منهم^(٢)، أو خمسة^(٣)، بل إن هذا المدعي نفسه يجزم بتواتر حديث الأئمة من قريش، وقد رواه عندهم ثلاثة أشخاص فقط، هم: أنس، وابن عمر، ومعاوية، وروى معناه ثلاثة آخرون هم: جابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وعبادة بن الصامت^(٤).

ومنهم من يحكم بتواتر حديث روي باثنتي عشرة طريقاً^(٥)، وجوّد

-
- ١- الصواعق المحرقة ص ٢٣ والغدير ج ١ ص ٣٢١ وخلاصة عبقات الأنوار ج ١ ص ٣٥.
 - ٢- المحلى لابن حزم ج ٢ ص ١٣٥ وج ٧ ص ٥١٢ وج ٨ ص ٤٥٣ وج ٩ ص ٧ والغدير ج ١ ص ٣٢١ والفصول في الأصول للجصاص ج ٣ ص ٥١ وفيض القدير ج ١ ص ٦٤٩.
 - ٣- المنخول للغزالي ص ٣٢٩.
 - ٤- الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٨٩.
 - ٥- البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٩ ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٦.

السيوطي قول من حدد التواتر بعشرة^(١).

فكيف إذا كان الحديث مروياً بمئات الطرق ذكر منها بعضهم مائة وخمسين، وبعضهم الآخر مائتين وخمسين طريقاً عن أكثر من مائة وعشرة من الصحابة؟! والرازي يقول: (ظفرت بأربع مئة طريق إلى حديث الغدير..).

أما أحمد أمين، فقد فضح نفسه، حين قال: إن الشيعة يروون حديث الغدير عن البراء بن عازب.. فافقراً واعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً!
الغدير لم يخرججه الشيخان:

وطعن بعضهم في حديث الغدير: بأن البخاري ومسلم لم يخرجاه^(٢).

بل قال بعضهم: إن أحداً من أصحاب الصحاح لم يخرججه^(٣).

مع أن التزمذي قد أخرجه في صحيحه، وكذلك ابن ماجة في سننه، فضلاً عن عداهم، مثل الضيياء في المختارة وغيره.

وعدم إخراج الشيخين له إنما يوجب الطعن بهما، من حيث إنه يشير

١ - ألفية السيوطي في علم الحديث ص ٤٤ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٢٣٢ ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٨.

٢ - شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٧٤ والمواقف لعصد الدين الأيجي ص ٤٠٥ والغدير ج ١ ص ٣١٦.

٣ - الغدير ج ١ ص ٣١٧ عن مرفوض الروافض للسهارنپوري.

إلى تعصبهما، ومجانبتهما سبيل الإنصاف، واتباعهما طريق الإعتساف..
على أن هناك آلافاً من الأحاديث التي لم يخرجها الشيخان، فراجع المستدرك للحاكم، وتلخيصه
للذهبي، فضلاً عن مستدركات أخرى ذكرها آخرون، فهل يرضى هؤلاء بإهمالها، أو بطمسها؟!
المؤلفات في حديث الغدير:

وقد أشار العلامة الأميني (رحمته الله) إلى طائفة من المؤلفات في حديث الغدير بلغت ستة وعشرين مؤلفاً.
كما أن للعلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي (رحمته الله) كتاباً بعنوان: (الغدير في التراث الإسلامي) صدر
عن دار المؤرخ العربي في بيروت سنة ١٤١٤ هـ. أشار فيه إلى الكثير مما لم يذكره العلامة الأميني
(رحمته الله).

وقد حكى عن الجويني الملقب بإمام الحرمين، وهو أستاذ الغزالي: أنه كان يتعجب ويقول: (رأيت مجلداً
في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خم، مكتوباً عليه: المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله
(صلى الله عليه وآله): (من كنت مولاه فعلي مولاه)، ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون)^(١).

١- بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٣٦ والغدير ج ١ ص ١٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٥٤٥ وقاموس الرجال ج ١١ ص ٥١٧
ونسخ الإيمان لابن جبر ص ١٣٤ ونبايع المودة ج ١ ص ١١٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٩٢.

وقال الذهبي: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير، فاندھشت له، ولكثرة تلك الطرق^(١).
ثم إن أكثر من حضر يوم الغدير كان من أعراب البوادي، الذين ذهبوا وذهب ما عندهم، ولم ينقل
شيء عنهم إلى غيرهم إلا ما شذ..

١- تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧١٣ ومشكل الآثار ج ٢ ص ٣٠٨ والصواعق المحرقة ص ٤٢ و ٤٣ والمعتصر من المختصر ج ٢
ص ٣٠١ والمرقاة في شرح المشكاة ج ١٠ ص ٤٧٦ والمسترشد للطبري (الشيعة) ص ٤٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢١٩
والغدير ج ١ ص ١٥٢ و ٣٠٧ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" لأحمد الرحماني ص ٨٠٨ وفتح الملك العلي لابن الصديق
المغربي ص ١٥.

الفصل السادس: خطبة الغدير: حدث .. ودلالة ..

قبل أن يبدأ النبي (ﷺ) خطبته:

بعد ما جرى في عرفات، وإلى أن بلغ النبي (ﷺ) غدير خم، خطب الناس مرات عديدة وجرت أحداث لها العديد من الإشارات والدلالات، ونذكر من ذلك:

ألف: إن النبي (ﷺ) حين خطب بمنى اسمع الله الناس كلهم صوته، لتكون هذه المعجزة تذكيراً للناس بالمهيمنة والتصرف الإلهي، لكي لا يظنوا أن ما جرى في عرفة دليل على قوة أولئك المتجربين وضعف في النبي (ﷺ).. ولكي يعرفوا أن الله تعالى لم يعاملهم بعدله، وإنما عاملهم بحلمه..

أي أنه إنما سكت عنهم رحمة بهم، وتكرماً وتفضلاً عليهم، وذلك يزيد في ظهور قبح عملهم، ولا بد أن يؤكد سر النبوة، ونبل وخلق الأصفياء، والأطياب من أهل الله تبارك وتعالى..

ب: ثم كانت مبادرته (ﷺ) للخروج من مكة بمجرد نفره من منى، فلم يطف بالبيت، ولم يدخل المسجد الحرام أصلاً، ولو لإلقاء نظرة الوداع على أحب الأمكنة إليه..

ج: ثم قطع المسافة بين مكة والجحفة، ثم غدير خم في مدة أربعة أيام،

مع أن عائشة بذلت محاولة لإعاقة (ﷺ) عن مقصده هذا، حيث أصرت عليه أن يعمرها عمرة مفردة، فأخبرها بأن طوافها بالبيت، وبالصفا والمروة قد أجزأ عن حجها وعمرتها، فأبت إلا أن تعتمر، فأرسلها مع أخيها إلى التنعيم لتعتمر منه، وواعدها أن تلقاه في مكان كذا وكذا..^(١).

د: إن حبس النبي (ﷺ) المتقدمين في غدير خم، وانتظاره المتأخرين قد عرّف الناس أن ثمة أمراً يريد به النبي (ﷺ) منهم، حيث إنه لم يفعل ذلك إلا هذه المرة.. فهو لم يتركهم يجتمعون في بعض المنازل، ثم يقوم فيهم خطيباً، بصورة مفاجئة، لأنهم قد يتلقون ذلك على أنه أمر عادي من نبي يريد ان يعظ قومه، وأن ينصحهم، فلا يهتمون بالإصغاء إليه، وقد يخطر على بال بعضهم أن يذهب للإستراحة، أو

١- سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٨٤ وراجع: نيل الأوطار ج ٥ ص ٥٩ ومسنند أحمد ج ٦ ص ١٢٢ و ٤٣ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٢ ص ١٥١ و ١٩٦ و ٢٠١ و ٢٠٢ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٣٢ و ٣٣ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٧٨ وعمدة القاري ج ٩ ص ١٩٥ و ج ١٠ ص ٩٨ و ١٢٣ و ١٢٥ ومسنند ابن راهويه ج ٣ ص ٨٦٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٦٦ و ٤٧٤ و شرح معاني الآثار ج ٢ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ وتغليق التعليق ج ٣ ص ١١٤ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٣٣٩ وسبل السلام ج ٢ ص ١٨٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٣١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٤ ص ٢٣١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٨٩.

لأى حاجة أخرى.

كما أن الكثيرين منهم قد لا يبلغهم أن النبي (ﷺ) يريد أن يخطبهم، أو لا يبلغه خبر ذلك إلا بعد أن ينتهي الأمر، ولعل أحداً لا يعرف بما جرى أصلاً.

وخلاصة الأمر: إن هذا التصرف منه (ﷺ) لا بد أن يثير فيهم الرغبة للتدقيق فيما يجري، وسيجعلهم ذلك أشد انتباهاً وتيقظاً، وسعيّاً لتحليل الحدث وفهم معانيه ومراميهِ.. وستفقد سائر الصوارف قدرتها على التأثير في درجة اهتمامهم به..

هـ: ومما يضاعف شعورهم بخطورة وأهمية الحدث الذي ينتظرونه: أن هذا الإجراء قد جاء في حر الهاجرة، التي يصفها زيد بن أرقم بقوله: (ما أتى علينا يوم كان أشد حرّاً منه)^(١) مع أنه (ﷺ) أرف الناس بالناس، وأشدّهم عطفاً عليهم، وقد وصفه الله بقوله: عَزِيزٌ عَلَيَّهِ مَا عَنَّتُمْ^(٢)، أي يعز عليه أدنى تعب ينالكم مهما كان قليلاً وضيعيلاً..

و: ويتأكد ما ذكرناه: أنه (ﷺ) منعهم من النزول تحت

١ - المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٥٣٣ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢٤٨ و ج ٩ ص ٨٣ والغدير ج ١ ص ٣٢ والمعجم الكبير ج ٥ ص ١٧١ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٤٣٨ و ج ١٨ ص ٢٧١ و مناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ٢ ص ٤٤٠ وراجع: شرح الأخبار ج ١ ص ٩٩ .

٢ - الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

دوحات خمس كانت هناك، وهي دوحات عظام متقاربات، وقد أمر بإزالة الشوك، وتمهيد المكان هناك.. وهذا يدل على أن عليهم أن ينتظروا حدثاً من نوعٍ ما عند تلك الشجرات، ولا بد أن تبقى تلك الشجرات وما حدث عندها ماثلة في عمق وجدان وذاكرة الناس كل الناس..

حيث إنه في ذلك المكان بالذات نودي بالصلاة، فعمد (ﷺ) إليهن، فصلى بالناس تحتهن، ثم نصب لهم علياً (عليه السلام) ولياً وإماماً^(١).

علي (عليه السلام) في السحاب:

وعن علي (عليه السلام) أنه قال: عممني رسول الله (ﷺ) يوم غدير خم بعمامة، فسدلها خلفي (أو فسدل طرفها على منكبي)، ثم قال: (إن الله أمدني (أيديني) يوم بدر وحنين بملائكة يعمّون هذه العمة).

١- الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٤١ والغدير ج ١ ص ١٠ و ٢٦ و ٢٧ عن مصادر كثيرة أخرى، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٩ وج ٧ ص ٣٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ٢٢٦ والصواعق المحرقة ص ٤٣. وراجع: كتاب الأربعين للماحوزي ص ١٣٩ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٥٥ و ١٥٦ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٤٢ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص ٥٣ وغاية المرام ج ١ ص ٢٩٩ وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص ١٤٧.

وقال: (إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان)^(١).
وعن ابن شاذان في مشيخته عن علي (عليه السلام): أن النبي (صلى الله عليه وآله) عممه بيده، فذنب العمامة من ورائه،
ومن بين يديه، ثم قال له النبي (صلى الله عليه وآله): أدبر.
فأدبر.
ثم قال له: أقبل.
فأقبل.
وأقبل على أصحابه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): هكذا تكون تيجان الملائكة^(٢).

١- مسند أبي داود ص ٢٣ وكنز العمال ج ١٥ ص ٣٠٦ و ٤٨٢ و ٤٨٣ والسمط المجيد ص ٩٩ ومناقب الإمام أمير المؤمنين
"عليه السلام" للكوفي ج ٢ ص ٤٢ وفرائد السمطين ج ١ ص ٧٥ و ٧٦ وعن ابن أبي شيبه، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج ١ ص ٣٠١
والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٤ والرياض النضرة ج ٣ ص ١٧٠ والغدير ج ١ ص ٢٩١ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٩
ص ٢٣٤ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ٣٢١ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٤١ وعن
الصراط السوي.
٢- الغدير ج ١ ص ٢٩١ وفرائد السمطين ج ١ ص ٧٦ ونظم درر السمطين ص ١١٢ وكنز العمال ج ١٥ ص ٤٨٤ وراجع: وسائل
الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٥ ص ٥٦ و (ط دار الإسلامية) ج ٣ ص ٣٧٧.
= وراجع: كشف اللثام (ط.ج) ج ٣ ص ٢٦٣ والحدائق الناضرة ج ٧ ص ١٢٧ والكافي ج ٦ ص ٤٦١ وجواهر الكلام ج ٨
ص ٢٤٧ وغنائم الأيام ج ٢ ص ٣٥٣ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ٦٩ و ج ٨٠ ص ١٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ٧٤٧
ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ١٢٠ ورياض المسائل ج ٣ ص ٢١٣.

والعمامة التي عممه بها تسمى السحاب^(١).

وقال ابن الأثير: (كان اسم عمامة النبي ﷺ السحاب)^(٢).

قال الملطي: (قولهم - يعني الروافض -: علي في السحاب. وإنما ذلك قول النبي ﷺ) لعلي: أقبل، وهو معتم بعمامة للنبي ﷺ) كانت تدعى (السحاب).

فقال (ﷺ): (قد أقبل علي في السحاب، يعني في تلك العمامة التي تسمى (السحاب)، فتأولوه هؤلاء علي غير تأويله)^(٣).

وقال الغزالي والحلي والشعراني: (وكانت له عمامة تسمى السحاب،

-
- ١- الفردوس ج ٣ ص ٨٧ وفرائد السمطين ج ١ ص ٧٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٢٣٦ والغدير ج ١ ص ٢٩٠ و ٢٩١.
 - ٢- النهاية في اللغة ج ٢ ص ٣٤٥ وراجع: بحار الأنوار ج ١٠ ص ٥ وج ١٦ ص ٩٧ و ١٢١ و ١٢٦ وج ٣٠ ص ٩٤ وشرح السير الكبير للسخسي ج ١ ص ٧١ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٤٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٢٧١ ولسان العرب ج ١ ص ٤٦١ وتاج العروس ج ٢ ص ٦٨.
 - ٣- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٩ والغدير ج ١ ص ٢٩٢.

فوهبها من علي، فرمما طلع علي فيها، فيقول (ﷺ): (طلع علي في السحاب)^(١).
قال الزبيدي: (ومن المجاز: عُيِمَ - بالضم - أي سُودَ، لأن تيجان العرب العمائم، فكلما قيل في العجم:
توج، من التاج قيل في العرب: عمم.. وكانوا إذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء، وكانت الفُرْسُ تتوج
ملوكها، فيقال له: المتوج..)^(٢).

وقال: (والعرب تسمي العمائم التاج، وفي الحديث: (العمائم تيجان العرب) جمع تاج، وهو ما يصاغ
للملوك من الذهب والجوهر، أراد أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك؛ لأنهم أكثر ما يكونون في
البوادي مكشوفين الرؤوس أو بالقلانس، والعمائم فيهم قليلة.. والأكاليل: تيجان

١- إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٣٤٥ والبحر الزخار ج ١ ص ٢١٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤١ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٥٢
والغدير ج ١ ص ٢٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٥٦٣ و ٥٦٤ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص
٢٨٣ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٥٩ وبحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٥٠ و ج ٣٨ ص ٢٩٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٤
ص ٤٩٩ و ج ٧ ص ٣٨٠ و سنن النبي للطباطبائي ص ١٧٤ وتفسير الميزان ج ٦ ص ٣١٩.

٢- تاج العروس ج ٨ ص ٤١٠ و (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٥٠٦ والغدير ج ١ ص ٢٩٠ وراجع: لسان العرب ج ١٧ ص ٥٠٦.

ملوك العجم. وتوجه: أي سؤده، وعممه^(١).

وعن رسول الله (ﷺ): (العمائم تيجان العرب)^(٢).
ونقول:

١. إنه (ﷺ) مازح بين حركة الواقع، وبين رمزه المشير إليه، الأمر الذي يجعل الإنسان يعيش الشعور التمثلي الرابط بين الواقع وبين الرمز بصورة واقعية..
٢. من أجل ذلك نلاحظ: أنه (ﷺ) اسبغ على علي (عليه السلام) مقام الرئاسة والسيادة بإعلانه إمامته من بعده، ثم عممه بيده، ولم يطلب منه أن يلبس العمامة، وذلك لتتوافق هذه الحركة العملية الواقعية مع مضمون الموقف النبوي القاضي بنصبه (عليه السلام) من قبل الله تعالى..
وكأنه (ﷺ) يريد للناس أن يربطوا بأنفسهم بين هذه الحركة

١- تاج العروس ج ٢ ص ١٢ و (ط دار الفكر) ج ٣ ص ٣٠٥ والغدير ج ١ ص ٢٩٠ ولسان العرب ج ٢ ص ٢١٩.
٢- راجع بالإضافة إلى تاج العروس ج ٢ ص ١٢: الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٣ والنهية في غريب الحديث ج ١ ص ١٩٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٥ ص ٥٦ و ٥٧ و (ط دار الإسلامية) ج ٣ ص ٣٧٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ١١٩ وأدب الإملاء والإستملاء للسمعاني ص ٣٩ ومسنند الشهاب لابن سلامة ج ١ ص ٧٥ والغدير ج ١ ص ٢٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ٧٤٦ ونور الأبصار ص ٥٨ والفردوس للدليمي ج ٣ ص ٨٧ حديث رقم ٤٢٤٦.

الرمز . وهي أنه عممه بيده . وبين إنشاء الحاكمية له، لتصبح هذه الحركة بمثابة إنشاء عملي آخر منه (ﷺ) .. والعمائم تيجان العرب ..

٣ . إنه (ﷺ) لم يتوجه (عليه السلام) بأية عمامة كانت، بل توجه بعمامة تميزت عما سواها، ولها إسم خاص بها، فعرف الناس أن العمامة لرسول الله (ﷺ)، وذلك ليشير بذلك: أنه إنما يعطيه موقع خلافته، بما له من خصوصية امتاز بها عن كل ما سواه . وليفهمهم أنه يريد امتداداً له فيما يمثله وفيما يوكل إليه من مهام، وبما هو مبلغ لرسالات الله تبارك، وتعالى .

كما أن اسم هذه العمامة (السحاب) ربما يشير إلى رفعة المقام، وصعوبة الوصول إليه من سائر الناس .
٤ . ثم هو يتجاوز هذا الفعل التعبيري إلى التصريح القولي، بأنه يقصد بهذا التتويج معنى السيادة والحاكمية، فإن العمائم تيجان ..

٥ . ثم انتقل إلى ما هو أوضح وأدل، حين أعطى تصرفه هذا مضموناً دينياً عميقاً ومثيراً بإعلانه أن ما فعله بعلي من تتويجه بعمامته لا يشبه لبس غيره من الحكام والأسياذ لعمائم السادة، بل هي سيادة خاصة ومقدسة، تمتد قداستها بعمقها الروحي، وبمضمونها الإيماني لترتبط بالسماء .. من حيث أن الملائكة فقط هم الذين يعتمون بهذه العمامة ..

٦ . ولم يكن فعل الملائكة هذا مجرد ممارسة لأمر يخصهم، ولا كان يريد لعلي أن يتشبه بهم في ذلك، أو أن يكون له شبه بهم، بل هو فعل له امتداداته الواقعية التي ترتبط بفعل جهادي وإيماني تجعل الملائكة يستمدون هذه

الخصوصية من علي نفسه، وذلك حين ذكر أن الملائكة تعتم بهذه العمامة في خصوص بدر وحنين، المتشابهتين في كثير من خصوصياتهما.

وهاتان الواقعتان هما لخصوص علي (عليه السلام)، لأنه هو الذي جاء بالنصر فيهما.. أما غير علي (عليه السلام)، فقد فر في إحداهما، ولم يظهر له أثر إيجابي جهادي في الأخرى..

٧. ثم جاء التصريح بعد التلميح، بأن هذه العمامة هي الحد الفاصل بين تلوينات الشرك، وبين الإيمان الخالص من دنس الشرك، مهما كان خفيفاً وضيعلاً، ولو كان أخفى من ديب النمل، فإنه مرفوض بمختلف مظاهره وحالاته، ولو بمستوى أن يراود الخاطر، أو يلوث الوجدان أية استجابة لأي نوع من أنواع إيثار شيء من متاع الدنيا.

٨. أما ما نسبته الملطي للروافض، من أنهم قد تأولوا قول النبي (ﷺ): (طلع علي في السحاب)، فلعله لا يقصد بالروافض الإمامية الاثني عشرية أعزهم الله تعالى.. فإننا لا نشعر أن لديهم أي تأويل يعاني من أية شائبة تذكر..

أما غيرهم، فإن كان الملطي صادقاً فيما ينسبه لهم، فلسنا مسؤولين عن أفعال وأقوال أهل الزيغ، بل سنكون مع من يناوئهم، ويدفع كيدهم، ويسقط أباطيلهم.
أكثر من خطبة:

ويبدو: أنه (ﷺ) قد خطب الناس في أيام إقامته في غدير خم أكثر من مرة، فإن النصوص تارة تذكر أنه (ﷺ)

خطبهم في حر الهاجرة، بعد صلاة الظهر.. كما تقدم عن قريب، وتارة تقول: إنه (ﷺ) خطبهم عشية بعد الصلاة^(١).

ويؤيد ذلك أمران:

أحدهما: أن النبي (ﷺ) بقي في ذلك المكان ثلاثة أيام، واختلاف أوقات الخطب.. في حر الهاجرة بعد صلاة الظهر تارة، وبعد صلاة العشاء أخرى يصبح أمراً طبيعياً..

والثاني: اختلاف نصوص الخطب المنقولة..

وتصرح بعض النصوص: بأنه (ﷺ) كان ينادي بأعلى صوته^(٢).

١- المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٤٣٧ وج ٩ ص ٣٢١ وج ١٨ ص ٢٧٢ وج ٢١ ص ٤١ وج ٢٤ ص ١٨٩ و خلاصة عقبات الأنوار ج ١ ص ١٥٣ وج ٧ ص ١٠٥ و ٢٦١ و ٣٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ٢٤ والغدير ج ١ ص ٣١ والإكمال في أسماء الرجال ص ١١٩.

٢- راجع: المناقب للخوارزمي ص ٩٤ والغدير ج ١ ص ٢٧٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٣٥ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٩٨ وغاية المرام ج ٢ ص ١٠٨ و ٢٤٤ و ٢٥٦ وج ٣ ص ٣٣٦ وكتاب الغيبة للنعمان ص ٧٥ وجمار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٧ وراجع ج ٢٨ ص ٩٨ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٧ وراجع: الكافي ج ٨ ص ٢٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ١ ص ١٨٥ وج ٢ ص ٤٢ والدرجات الرفيعة ص ٢٩٧ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٨٨.

هذا وقد تضمنت خطبته (ﷺ) في ذلك المقام أموراً كثيرة، نود أن نشير إلى بعضها، ضمن ما يلي من عناوين..

الضلال والهدى:

استهل (ﷺ) خطبته يوم الغدير بالحديث عن الهدى والضلال، وكل الناس يحبون . ويعتزون بالهدى، وبانتسابهم إليه، حتى لو لم تكن النسبة واقعية، ويربأون بأنفسهم عن الوصف بالضلال حتى لو كانوا من أهل الضلال بالفعل..

فإذا كان المتحدث نبياً، فالكل يحب أن يجد نفسه في عداد الفريق الذي يحبه ذلك النبي.. ولعل الكثيرين منهم قد أشعرتهم هذه البداية بأنه (ﷺ) يريد أن يبين لهم أمراً له مساس بموضوع الهدى والضلال.. وذلك يعني أن كل شخص منهم سيكون معنياً بما سيقوله.. يوشك أن ادعى فأجيب:

وأكد لهم على لزوم التنبه الشديد لما سيقوله لهم، حين ساق كلامه باتجاه مثير لمشاعر الخوف من المستقبل، الذي لا سبيل إلى معرفته، والرغبة من فقدان ما يرونه ضمناً لهم من كل شر وسوء، وما يشعرون معه بالسكينة والأمان في كل حركة وموقف، حيث قال لهم: (يوشك أن ادعى فأجيب..). وهذا معناه: أن عليهم أن يهتموا بما سيقوله لهم، لأنه سيكون مفيداً في هدايتهم، وفي حفظهم في خصوص تلك المرحلة المخيفة، وأعني بها مرحلة

ما بعد موته (ﷺ) ..

كما أن ذلك يثير لديهم مشاعر الحب والحنان متمازجة مع الشعور بالحزن لموت الحبيب والطبيب ..
ألا وهو رسول الله (ﷺ) ..

إني مسؤول، وأنتم مسؤولون:

ثم أكد لهم (ﷺ) شدة حساسية هذا الأمر، الذي يريد أن يثيره أمامهم حين قال: إني مسؤول، وأنتم مسؤولون ..، فما أنتم قائلون؟! ..

فساوى نفسه بهم في المسؤولية عن هذا الأمر، مما دل على أنه أمر بالغ الخطورة، وأن المسؤولية عنه تلاحقهم، والمطالبة به تنتظرهم، ولا سيما في الآخرة ..

ثم أفهمهم (ﷺ) أنه لا يريد أن يفرض عليهم أمراً بعينه، بل ترك الخيار لهم، في أن يقبلوا وأن يرفضوا، ولذلك قال: فما أنتم قائلون؟! ..

أي أن المطلوب هنا هو إعطاء العهد والالتزام، والإستجابة إلى الحق .. فمن نكث بعد ذلك، فإنما ينكث على نفسه ..

التذكير بالمنطلقات العقائدية:

ثم إنه (ﷺ) ذكرهم بالركائز العقائدية، والإيمانية، ووضعهم أمام العقل والضمير لكي يكونا هما الحافز لهم لتقبل القرار الرباني، الذي سيتقل عليهم، بسبب هيمنة الأهواء والعصبيات عليهم، لكي تحميهم

تلك الركائز الإعتقادية، وحياة الضمير من طغيان الهوى، وجذبات الغرائز.. وارتكاس الجاهلية.. وحدد لهم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيته مرجعاً لهم في ظلمات الجهالة، وعند حيرة الضلالة..
بماذا.. ولماذا قرهم؟!:

ثم واجههم (ﷺ) بأسئلة تقريرية تفرض عليه التنبيه التام، والوعي لكل كلمة ينطق بها، فالسؤال يتطلب الإجابة، والإجابة مسؤولية وقرار، والتزام يحتاج منهم إلى استنطاق كل حرف ينطق به الرسول (ﷺ)، والتعامل معه بجدية تامة وبمسؤولية بالغة.

وستأتي النتيجة بعد ذلك كله في غاية الوضوح، وذات نتائج دقيقة وصادقة بالنسبة لبراءة ذمة رسول الله (ﷺ) مما هو مسؤول عنه، وهو البلاغ التام لما أنزل عليه من ربه..

وبأسلوب التقرير الذي انتهجه معهم، منع أي تأويل، أو ادعاء لوجوه اجتهادية في المعنى، أو اللجوء إلى التنصل بحجة عدم السماع، أو عدم الفهم، أو عدم الإلتفات أو غير ذلك مما يمكن ذوي الأغراض من تميم القضية، أو الإلتقاص من حيويتها، أو من الشعور بأهميتها وخطورتها..

أما مضمون أسئلته التقريرية، فكان هو الأهم، من حيث أنه يدفع بوضوح القضية، وسلامة وصحة الإلتزام منهم أمام الله، وأمام ضمائرهم إلى أقصى مداه، فقد سأهم أولاً . بما هم جماعة . ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم سأهم عن أولويته بكل فردٍ منهم من نفسه.. ليدلهم بذلك على أن الأمر يعينهم بما هم جماعة لها شؤونها العامة.. ويعينهم أيضاً بما هم أفراد

فرداً فرداً، بلحمه ودمه، وبكل وجوده..

ثم سأهم ثالثاً: عن حدود سلطتهم على أنفسهم، ويريد أن يسمع إقرارهم له بأن سلطته وولايته عليهم، وموقعه منهم فوق سلطة وموقعية وولاية حتى أمهاتهم وآبائهم، وحتى أنفسهم على أنفسهم. وهذا يؤكد لهم: أن القرار الذي يريد أن يتخذه يعينهم في صميم وجودهم، وينالهم في أخص شؤونهم وحالاتهم.

ولا بد أن يزيد ذلك من اهتمامهم بمعرفة هذا الأمر الخطير، والتعامل معه بإيجابية متناهية. ثم إنه (ﷺ) لم يكتف بسؤالهم عن ذلك لمرة واحدة، بل كرر السؤال عن هذه الأمور الأساسية والحساسة عليهم ثلاث مرات، على سبيل التعميم أولاً، ثم على سبيل التحديد والتشخيص بفرد بعينه أخرى، فقد روي أنه (ﷺ) قال: أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين. قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: أولى الناس بالمؤمنين أهل بيتي. يقول ذلك ثلاث مرات.

ثم قال في الرابعة، وأخذ بيد علي: اللهم من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. يقولها ثلاث مرات. ألا فليبلغ الشاهد الغائب^(١).

١- الفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٤١ وكشف الغمة ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ عن الزهري، وينايع المودة ج ١ ص ١١٨ - ١١٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢٢٩ وج ٩ ص ١٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٣٤ و ٣٠١ وج ٢١ ص ٩٣ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص ١١٨ وسعد السعود لابن طاووس ص ٧١ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٥٦ والغدير ج ١ ص ١١ و ٣٣ و ١٧٦ وحياة الإمام الحسين "عليه السلام" للقرشي ج ١ ص ١٩٩ وغاية المرام ج ١ ص ٢٩٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١١ ص ٢١٥ وتنبية الغافلين لابن كرامة ص ٦٦ وراجع: الإصابة لابن حجر (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٣٤.

وفي نص آخر: كرر ذلك أربع مرات^(١).

وعن البراء بن عازب: أن النبي (ﷺ) نزل بعد حجته في بعض الطريق، وأمر بالصلاة جامعة، فأخذ بيد علي، فقال: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟! قالوا: بلى.

قال: أأست أولى بكل مؤمن من نفسه؟! قالوا: بلى.

١- مشكاة المصابيح ج ٣ ص ٣٦٠ وتذكرة الخواص ص ٢٩ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٥٨٦ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ٤٩٤ وكفاية الطالب ص ٢٨٥ وعن ابن عقدة، والغدير ج ١ ص ١١ و ٣٣ و خلاصة عبقات الأنوار ج ١ ص ٢٥٨ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص ٥٤ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥.

قال: فهذا ولي من أنا مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه^(١).
وفي نص آخر عن البراء: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) حتى نزلنا غدِير خُم، بعث منادياً ينادي.
فلما اجتمعنا قال: أَلست أولى بكم من أنفسكم؟!
قلنا: بلى يا رسول الله.
قال: أَلست أولى بكم من أمهاتكم؟!
قلنا: بلى يا رسول الله.

١- الطرائف ص ١٤٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١١٦ والعمدة لابن البطريق ص ٩٦ و ١٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٣٦ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٥٩ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٨١ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٣ ومناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ١ ص ٤٤٢ وج ٢ ص ٣٧٠ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٨٠ و ٨٦ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٤٧ و ٢٩٤ و ٣٠١ و ٣٣٥ و ج ٨ ص ١١٧ و ٢١٨ و ٢٤٧ و ج ٩ ص ٢٦١ والغدير ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٧٢ و ٢٧٤ و ٢٧٧ و ٢٧٩ ونظم درر السمطين ص ١٠٩ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ٨٩ وتفسير الثعلبي ج ٤ ص ٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٣٢ وبشارة المصطفى ص ٢٨٤ والمناقب للخوارزمي ص ١٥٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص ١٢٠ ونبايع المودة ج ١ ص ١٠٢ وج ٢ ص ٢٨٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٣٥ و ٢٣٨ وج ١٤ ص ٣٤ وج ٢٠ ص ١٧٣ و ٣٥٧ وج ٢١ ص ٣٤ و ٣٨ و ٣٩ وج ٢٣ ص ٣٢٥ و ٥٥٤ وج ٣٠ ص ٤١٨ و ٤١٩.

قال: أأست أألى بكم من آباءكم؟!!

قلنا: بلى يا رسول الله .

قال: أأست؟! أأست؟! أأست؟!!

قلنا: بلى يا رسول الله .

قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه).

فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت اليوم ولي كل مؤمن^(١).

التزيين الشيطاني:

وقد بدأ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خطبته بالإستعاذة بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.. باعتبار أن الإنسان قد

لا يبادر إلى بعض المعاصي إلا إذا زينها له الشيطان، وأظهرها له على غير واقعها، وقلب له الحقائق،

فجعل له

١- تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص ٢٢٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوبي ج٢ ص ٣٦٨ و ٤٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص ٢٩ و ١٤٦ و ج٩ ص ٩٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص ٣٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص ٣٦١ و ٣٧٦ والغدير (ط مركز الغدير) ج١ ص ٥٠- ٥٣ و (ط دار الكتاب العربي) ج١ ص ١٩ و ٢٠ متناً وهامشاً عن مصادر كثيرة جداً.

القيبح حسناً، والعكس، ولو بإيهامه أن هذا من مصاديق ذلك العمل الحسن مثلاً قال تعالى: **(وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ)**..^(١).
وقال تعالى: **(زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ)** ^(٢).

وهناك أمور تكون زينتها ظاهرة فيها، من حيث أنها تلاءم نوازع النفس الأمارة، فيتلهي بزینتها عن التدبر في واقعها السيء، ومثال هذا جميع ما يندفع إليه الإنسان بغرائزه وشهواته، ومنها الإمارة والحكم..
فإن الإندفاع إلى الإمارة لا يحتاج إلى تزيين، بل النفس تشتتها وتميل إليها، وربما يرتكب الإنسان من أجلها العظائم، والجرائم.

ولأجل ذلك استعاذ **(ﷺ)** من شرور النفس وسيئات الأعمال..
ولعله يريد بذلك الإلماح إلى ما سيكون بعده من منازعة الأمر أهله، والتحذير منه، لا سيما وأن بوادر ذلك قد ظهرت في عرفة، كما أوضحناه..

الله يعيذهم:
وقد أفهمهم **(ﷺ)**: أن الله تعالى هو الذي يعيذهم من شرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، من حيث إنه المالك الحقيقي للتصرف،

١ - الآية ١٣٧ من سورة الأنعام.

٢ - الآية ٣٧ من سورة التوبة.

فإذا كانوا صادقين في لجوئهم إليه تعالى، بقطعهم أية علاقة أو أمل بغيره، فسيجدون أنفسهم في حصن حصين، وسيعني هذا اللجوء الصادق استحقاقهم أن يعود تعالى عليهم بالفضل، ويفتح لهم أبواب الرحمة.. لتكون استقامتهم على طريق الحق ضماناً للكون في أمانه الدائم..

كما أنه حين يكون الإنسان نفسه هو السبب في أن توصل أبواب الرحمة في وجهه، فلن يستطيع أحد أن يفتحها له، إلا أن يصلح الإنسان نفسه ما أفسده، فإن الله وحده المالك الحقيقي لذلك، ولأجل ذلك قال (ﷺ): لا هادي لمن أضل إلخ..

وقد قال تعالى: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١).

الإعلان بالشهادتين:

وقد شهد (ﷺ) لله بالوحدانية، ولنفسه بالعبودية لله وبالرسولية، لينال ثواب الجهر بالشهادة، ولتلتذ بهذه العبارة، وتكون موطئة لإقرار ذلك الحشد العظيم بمثل ذلك، وتسهيلاً لذلك عليهم، ورفعاً لاستهجانهم، وإبعاداً لأي احتمال قد يراود ذهن بعضهم حول مستوى ثقته (ﷺ) بصدق إيمانهم، وحقبة إسلامهم..

كل ذلك لأنه يريد أن يأخذ منهم عهداً، ويريد أن يغلظ عليهم فيه، ليكون ذلك أدعى لإلزامهم بما ألزموا به أنفسهم، وأقوى وأشد في تعظيم

١ - الآية ٢ من سورة فاطر.

أمر النكث وتهجينه، واستقباح صدوره منهم، إن لم يكن تديناً، وخوفاً من العقوبة الأخروية، فالتراماً
بالإعتبارات التي يلزمون أنفسهم بها في الحياة الدنيا.

ولصاحب الحق أن يضيق الخناق على الباطل، وأن يؤكد وضوح الحق بكل وسيلة مشروعة، (أي لا
تتضمن تمرداً على أمر الله تعالى)، فهو نظير ما فعله من إثارة معاني الغيرة، والحياء في الناس، لأجل ضبط
حركة النساء في محيط الرجال، الذي استفاد منه أمير المؤمنين في قوله: أما تستحيون، ولا تغارون؟! نساؤكم
يخرجن إلى الأسواق ويزاحمن العلوج^(١).

وهكذا فعل رسول الله (ﷺ)، فإنه ذكرهم بأصل التوحيد، فشهدوا لله تعالى بالوحدانية، وبأصل
النبوة، فشهدوا له (ﷺ) بأنه رسول من الله إليهم، مما يعني أن ما يأتيهم به هو من عند الله؟!
وذكّرهم بالنار التي يعاقب بها المتمردون على الله، المخالفون لرسوله، وبالجنة التي يثاب بها المطيعون
لهما، وبأن الموت حق، والبعث والحساب

١- الكافي ج ٥ ص ٥٣٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٠ ص ٢٣٦ و (ط دار الإسلامية) ج ١٤ ص ١٧٤ ومشكاة
الأنوار ص ٤١٧ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٢٧١ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج ٨ ص ٢٤٣ ومسنند أحمد ج
ص ١٣٣ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٨ ص ١٤٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٣ ص ٧٨٠.

حق، فلماذا يتعلقون بالدنيا، ويفسدون آخرتهم من أجلها؟!
ثم ذكّرهم بالإمامة، وبما يحفظ من الهداية والضلال، وبميزان الأعمال من خلال التأكيد على حديث الثقلين.

كل ذلك توطئة لنصب أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ولياً وهادياً، ومرجعاً وإماماً.
فليبلغ الشاهد الغائب:

ثم إنه (ﷺ) لم يتكل على ما يعرفه من رغبة الناس بنقل ما يصادفونه في أسفارهم، إلى زوارهم بعد عودتهم، فلعل أحداً يكتفي بذكر ذلك مرة واحدة فور عودته، ثم لا يعود لديه دافع إلى ذكره في الفترات اللاحقة، فجاء أمر رسول الله (ﷺ) لهم ليلزمهم بإبلاغ كل من غاب عن هذا المشهد، مهما تطاول الزمن، وجعل ذلك مسؤولية شرعية في أعناقهم، فقال: (فليبلغ الشاهد الغائب)^(١).

١ - الفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٢٣٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٤٤ وكشف الغمة ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ عن الزهري، وخلاصة عبقات الأنوار ج ١ ص ٢٥٨ وج ٧ ص ٢٢٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٣٤ و ٣٠١ وج ٢١ ص ٩٣ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص ١١٨ وسعد السعود لابن طاووس ص ٧١ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٥٦ والغدير ج ١ ص ١١ و ٣٣ و ١٧٦ ونظرة إلى الغدير للمروج الخراساني ص ٥٥ وحياة الإمام الحسين "عليه السلام" للقريشي ج ١ ص ١٩٩ وغاية المرام ج ١ ص ٢٩٩ وكشف المهم في = طريق خبر غدير خم ص ١٤٧ وراجع: الإصابة لابن حجر (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٣٤.

وبذلك يكون قد سد باب التعلل من أي كان من الناس بادعاء أن أحداً لم يبلغه هذا الأمر، وأنه إنما كان قضية في واقعة، وقد لا ينشط الكثيرون لذكرها، إن لم يكن ثمة ما يلزمهم بذلك.. ولعلمهم قد كانت لديهم اهتمامات أخرى شغلتهم عنها..

الحب والبغض إختياريان:

وإثبات العقوبة الإلهية على الحب والبغض، والعداء والموالة، يدل على أنهما من الأمور الاختيارية المقدورة للإنسان، ولو بواسطة قدرته على أسبابهما، فإن القدرة على السبب قدرة على المسبب.. وأكثر الأمور لا يقدر الإنسان عليها إلا بعد الإتيان بمقدماتها، فإن من يريد زيارة كربلاء مثلاً، يحتاج إلى قطع المسافة أولاً..

ولأجل ذلك دعا (ﷺ) في غدير خم، فقال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه..

وأدر الحق معه حيث دار:

وقوله (ﷺ): (وأدر الحق معه حيث دار) يدل على أن المولوية المزعومة لعلي (عليه السلام) تختزن معنى الحق، والمسؤولية عنه، علماً، أو عملاً، أو كليهما.. ولولا ذلك لم يحتج إلى هذا الدعاء.

أي مولى الخلق لا بد أن يعرف الحق، وأن يلتزم به، وأن يفرضه في كل الواقع الذي يتحمل مسؤوليته..
ولذلك جاء هذا الدعاء: (وأدر الحق معه حيث دار).

حديث الثقلين:

وهذه المسؤولية عن الحق هي التي فرضت أن يقرن (ﷺ) بين القرآن والعترة لحفظ الأمة من الضلال،
وأن يجعل استمرار هذا الاقتران بينهما من مسؤولية الأمة أيضاً.
ولا بد أن يكون اقتراً متناسباً مع شمولية القرآن، ومع ما تضمنه من حقائق، وما يتوخى من موقف
للأمة تجاهه.. ومتناسباً مع مسؤولية العترة تجاه القرآن في مجال العلم والعمل، والترية، وما يترتب على ذلك
من لزوم الطاعة والنصرة، وما إلى ذلك.. ولا يكون ذلك إلا بالتمسك به، وبالعترة، في العلم، وفي العمل
والممارسة.. سواء في الأحكام أو في القضاء بين الناس، أو في السياسات، أو الإعتقادات، أو الأخلاق،
و في كل ما عدا ذلك من حقائق، لهج وصرح بها القرآن الكريم. وهذا يختزن معنى الإمامة بكل أبعادها
وشؤونها..

وانصر من نصره:

ويؤكد هذا المعنى، ويزيده رسوخاً قوله (ﷺ): (وانصر من نصره، واخذل من خذله..)، فإن إيجاب
النصر له على الناس، وتحريم الخذلان إنما هو في صورة التعرض للتحدي، والمواجهة بالمكروه، من أي

نوع كان، ومن أي جهة صدر.

وذلك يشير إلى: أنه (عليه السلام) هو المحق في كل نزاع يحاول الآخرون أن يفرضوه عليه، وأن على الأمة نصره، بردع المعتدي، فإن لم تستطع، فلا أقل من أن لا تنصر أعداءه عليه، وأن تعتقد بأن غيره ظالم له، معتد عليه، مبطل في ما يدعيه.

وقد جاءت هذه الإشارات اللائحة، والدلالات الواضحة قبل وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ببسير، وقد واجه علي (عليه السلام) المحنة التي فرضها عليه نفس هؤلاء الذين خاطبهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الخطاب!! واستنطقهم، وقرروهم، وردوا عليه الجواب. وهم الذين هنا وأعلى (عليه السلام)، وبخبخوا له، وبايعوه، حتى قال ابن عباس: وجبت - والله - في أعناق القوم.

معنى الولاية في حديث الغدير:

قال السيد المرتضى (رحمته الله): أولى بمعنى مولى، كما قاله أئمة اللغة في تفسير الآية^(٩).

١- راجع: رسائل المرتضى ج ٣ ص ٢٥٣ وج ٤ ص ١٣١ والشافي في الإمامة للشريف المرتضى ج ٢ ص ٢٦١ وراجع: العمدة لابن البطريق ص ١١٦ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٣٨ وج ٣٧ ص ٢٤٠ وتفسير مجمع البيان ج ٨ ص ١٢٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص ١٢٤ والصراط المستقيم ج ١ ص ٣٠٨ والرسائل العشر للشيخ الطوسي ص ١٣٥ وراجع: كنز الفوائد ص ٢٢٩ وقد ذكر العلامة الأميني = طائفة كبيرة من أقوال العرب وأهل اللغة، فراجع كتاب الغدير ج ١ ص ٣٤٥ - ٣٤٨.

أما سائر معاني كلمة مولى فهي إما بديهية الثبوت لعلي، فيكون ذكرها في يوم الغدير عبثاً.. مثل: (ابن العم، والناصر) التي ذكر أنها من معاني (المولى).

وإما هي واضحة الإنتفاء، ولا يصح إرادتها. مثل: (معنى المعتق والمعتق، فلا يصح إرادتهما في مناسبة الغدير، لأن ذلك يستلزم الكذب فيهما.. وهو لا يصدر من رسول الله ﷺ).

فأجاب الرازي بما ملخصه: لو كان مولى وأولى بمعنى واحد لصح استعمال كل منهما مكان الآخر، فيصح أن يقال: هذا مولى من فلان.. كما صح أن يقال: هذا أولى من فلان^(١).

وأجاب علماؤنا على كلام الرازي هذا بما يلي:

أولاً: إن الترادف إنما يكون في حاصل المعنى، دون الخصوصيات التي تنشأ من اختلاف الصيغ، والإشتقاقات، أو أنحاء الإستعمال.. فكلمة (أفضل) تضاف إلى صيغة التشبيه بدون كلمة (من)، فيقال: زيد أفضل الرجلين، لكن حين تضاف إلى المفرد، فلا بد من كلمة من، فلا يقال: زيد

١- راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٢٧ والغدير ج ١ ص ٣٥٠ و ٣٥١ عنه، وعن نهاية العقول، وتفسير الألويسي ج ٢٧ ص ١٧٨ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ١٨١.

أفضل عمرو، بل يقال: زيد أفضل من عمرو.
ثانياً: لنأخذ معنى الناصر في كلمة (مولى).. فإنه يصح أن يقال: فلان ناصر دين الله، ولكن لا يصح أن يقال: فلان مولى دين الله.
وقال عيسى: (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) ^(١). ولا يقال: من موالِي إلى الله..
ويقال: الله ولي المؤمنين ومولاهم.. ويقال: فلان ولي الله، ولا يقال: مولى الله، كما ذكره الراغب ^(٢).
ويقال: إنك عالم. ولا يقال: إن أنت عالم.
فالمولى اسم للمتولي، والمالك للأمر، والأولى بالتصرف. وليس صفة ولا هو من صيغ أفعال التفضيل بمنزلة الأولى، لكي يقال: إنه لا يأخذ أحكام كلمة (أولى) التي هي صفة..
ثالثاً: إذا لاحظنا المعاني المذكورة، فنقول:
ألف: إن كان المراد بالمولى المحب والناصر، فقلوه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (من كنت مولاه فعلي مولاه).
إن كان المراد به: الإخبار بوجوب حبه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على المؤمنين، أو إنشاء وجوب حبه عليهم، فذلك يكون من باب تحصيل الحاصل، لأن كل مؤمن يجب حبه على أخيه المؤمن، فما معنى أن يجمع عشرات الألوف في ذلك المكان؟! ليقول لهم: يجب أن تحبوا أخاكم علياً؟!

١ - الآية ٥٢ من سورة آل عمران.

٢ - مفردات الراغب ص ٥٣٣.

ولماذا يكون ذلك موازياً لتبليغ الرسالة وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ؟^(٦).

ولماذا يكمل به الدين، وتتم به النعمة؟!.

ولماذا يهنئه عمر وأبو بكر بهذا الأمر، ويقولان له: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟! وكأنه لم

يكن كذلك. قبل هذا الوقت باعتقادهما!!

ألم يكن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يحب بعضهم بعضاً؟!.

ألم يكن الله قد اعتبر المؤمنين بمثابة الإخوة؟!.

يضاف إلى ما تقدم: أن وجوب النصره والمحبة لا يختص بعلي (عليه السلام)، بل يشمل جميع المؤمنين.

وإن كان المقصود هو إيجاب نصره مخصوصة تزيد على ما أوجبه الله على المؤمنين تجاه بعضهم، فهو

المطلوب، لأن هذا هو معنى الإمامة، ولا سيما مع الإستدلال على هذه النصره الخاصة بمولوية النبي

(ﷺ) لهم..

وإن كان المراد الإخبار بأنه يجب على علي (عليه السلام) أن يحب المؤمنين وأن ينصرهم.. فلا يحتاج هذا إلى

جمع الناس يوم الغدير، ولا إلى نزول الآيات، وما إلى ذلك.. إذ كان يكفي أن يخبر علياً بأنه يجب عليه

ذلك..

على أن ذلك يطرح سؤالاً عن السبب في تخصيص هذا الأمر بعلي؟!.

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وعلى كل حال، فإن قوله (ﷺ): (ألست أولى بكم من أنفسكم) يفيد أنها ولاية نصره ومجبة ناشئة عن هذه الأولوية منهم بأنفسهم.. كما أن جعل وجوب نصرته علي (عليه السلام) كوجوب نصرته النبي (ﷺ) لهم يؤكد ذلك..

فإن نصرته النبي (ﷺ) لهم إنما هي من حيث نبوته، وملكه لأموالهم، وزعامته عليهم.. وليست كوجوب نصرتهم أو محبتهم لبعضهم بعضاً.

ب: أما القول بأن المراد بالمولى المالك والمعتق، فيرد عليه: أنه لم يكن هناك مالكية حقيقية، ولا عتق، ولا اعتناق.

ج: إن كان المراد بكلمة مولى: السيد، فهو يقترب من معنى الأولى، لأن السيد هو المتقدم على غيره. وهذا التقدم ليس بالقهر والظلم، لأن النبي (ﷺ) قرن سيادة علي (عليه السلام) بسيادة نفسه، فلا بد أن يكون التقدم بالإستحقاق، من خلال ما يملك من مزايا ترجحه عليهم، وبديهي: أن أية مزية شخصية لا توجب تقدماً، ولا تجعل له حقاً عليهم، يجعله أولى بهم من أنفسهم، إلا إذا كانت هذه المزية قد أوجبت أن يجعل من بيده منح الحق ومنعه لصاحب هذه المزية مقام الأولوية بهذا المستوى الذي هو من شؤون النبوة والإمامة. وليس لأحد الحق في منح هذا المقام إلا لله تبارك وتعالى..

د: ولو كان المراد بكلمة المولى، المتصرف، والمتولي للأمر، فالأمر كذلك أيضاً، فإن حق التصرف إنما يثبت له بجعل من له الحق في الجعل، وهو الله

سبحانه وفق ما ذكرنا آنفاً..

الجمع بين المعاني:

وقد ذكر العلامة الأميني وغيره: أن الذي يجمع تلك المعاني كلها هو أن يراد: الأولى بالشيء، فإنه مأخوذ من جميع تلك المعاني بنوع من العناية، ف (المعتق) أولى. لأن له حقاً على (المعتق)، وهو أولى به لتفضله عليه.

والمالك أولى بالمملوك، والسيد أولى بمن هم تحت سيادته، والابن أولى بالأب، والأخ أولى بأخيه، والتابع أولى بمتبوعه، والصاحب أولى بصاحبه الخ..

فالمعاني التي تذكر لكلمة مولى ليست معاني لها على سبيل الإشتراك اللفظي، بل هي خصوصيات في موارد استعمال كلمة مولى، ولا دخل لها في معناها وهو (الأولى). وقد اشتبه عندهم المفهوم بخصوصية المصداق.

وقوله (ﷺ): (أست أولى بكم من أنفسكم) يدل على ما نقول..

ويدل عليه أيضاً: ما ورد في بعض نصوص الحديث، من أنه (ﷺ) سأل الناس، فقال: فمن وليكم؟! قالوا: الله ورسوله مولانا.

وقوله (ﷺ) في نص آخر: (تمام نبوتي، وتمام دين الله في ولاية علي بعدي..). فإن ما يتم به الدين هو الولاية بمعنى الإمامة.

وفي بعض النصوص أنه (ﷺ) قال في تلك المناسبة: هتوني، هتوني، إن الله تعالى خصني بالنبوة، وخص أهل بيتي بالإمامة..

يضاف إلى ذلك قوله (ﷺ): الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالي، والولاية لعلي من بعدي.

ويؤيد ذلك أيضاً، بل يدل عليه: بيعتهم لعلي (عليه السلام) في تلك المناسبة، وقد استمرت ثلاثة أيام. وكذلك قوله (ﷺ): (إني راجعت ربي خشية طعن أهل النفاق ومكذبيهم، فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني) أو ما هو قريب من هذه المعاني، فإن طعن أهل النفاق، وخوف النبي (ﷺ) من الإبلاغ إنما هو لأمر جليل كأمر الإمامة، ولا ينسجم ذلك مع إرادة المحب أو الناصر من كلمة المولى. يضاف إلى ذلك، التعبير بكلمة: (نصب علياً)، أو (أمر الله تعالى نبيه أن ينصبني)، أو (نصبني) أو نحو ذلك.

وعبارة ابن عباس: وجبت والله في رقاب (أو في أعناق) القوم. ونزول قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) ^(١).

وثمة مؤيدات وقرائن أخرى ذكرها كلها العلامة الأميني في كتابه الغدير، فراجع الجزء الأول منه، فصل (القرائن المعينة لمعنى الحديث). وراجع الأحاديث الأخرى المفسرة لمعناه أيضاً في كتاب الغدير ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٩٠.

أمهات المؤمنين يهنئن علياً (عليه السلام):

وقد تقدم: أنه (ﷺ) أمر أمهات المؤمنين بأن يسرن إلى

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

علي (عليه السلام) وبهتنته، ففعلن، وما ذلك إلا لأنه يريد أن يقطع العذر لمن تريد منهن أن تشن عليه حرباً
ضروساً، يقتل فيها المئات والألوف، فليس لها أنها تدّعي أنها بسبب عزلتها في خدرها، وكونها رهينة
الحجاب، لم تعرف شيئاً مما جرى في يوم الغدير.

أو أن تدّعي: أن ما عرفته من أفواه الناس من أقاربها كان لا يقيم حجة، ولا يقطع عذراً، أما النساء
فإنهن وإن أبلغنها بشيء مما كان يجري، لكن حالهن حالها، وربما يبلغها ما لا يبلغهن، أو أن ما يبلغها قد
يكون أكثر دقة مما يتناهى إلى مسامعهن، بعد أن تعبت به الأهواء، ويختلط بالتفسيرات والتأويلات،
والإجتهدات وما إلى ذلك..

وإن نفس الطلب إلى نساء النبي (صلى الله عليه وآله) بأن يقمن بهذا الأمر، يقتضي فسح المجال لهن لكي يسألن
عن سبب هذه التهنئة، وعن حقيقة ما جرى. لا سيما إذا كانت هذه أول مرة يطلب فيها من أمهات
المؤمنين أن يشاركن في تهنئة أحد، في أمر له ارتباط بالرجال غير رسول الله (صلى الله عليه وآله)..

وقد جاء الأمر بذلك عاماً وشاملاً لهن من دون استثناء، فلا مجال للتأويل والتحليل، أو لاحتمال أن
ذلك كان لخصوصية اقتضت طلب ذلك من امرأة بعينها.. بل هو امتداد لبيعتهن لرسول الله (صلى الله عليه وآله)،
والتزامهن بطاعة الله ورسوله من ناحية، وتأسيس لمرحلة ما بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ناحية أخرى.

الفصل السابع: آيات الغدير.

متى نزلت سورة المائدة؟!:

في سورة المائدة آيتان ترتبطان بموضوع الغدير، هما آية كمال الدين، وآية الأمر بإبلاغ ما أنزل إليه من ربه، وقد تقدمت الأولى على الثانية، فلماذا كان ذلك؟!:

وقبل البدء في بيان ما نرمي إليه نشير إلى تاريخ نزول سورة المائدة، فنقول:

إن سورة المائدة نزلت كما يقول مُجَدِّدُ بن كعب القرظي في حجة الوداع بين مكة والمدينة^(١).

وروي عن النبي (ﷺ) قوله في حجة الوداع: (إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً)^(٢).

١- الإتيان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٠ والدر الثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أبي عبيد، والغدير ج ٦ ص ٢٥٦ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٩٦ وفتح القدير ج ٢ ص ٣ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ٤٧.

٢- الغدير ج ١ ص ٢٢٧ وتفسير الثعلبي ج ٤ ص ٥ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ٦٩ و ١٧٢ وتفسير أبي السعود ج ٣ ص ٤ و ١٠ وتفسير الخازن ج ١ ص ٤٢٩ والجامع = لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٥٠ ودقائق التفسير لابن تيمية ج ٢ ص ١٥ والبرهان للزركشي ج ١ ص ١٩٤ و ٢٦٢ وتفسير البيضاوي ج ٢ ص ٢٩٨ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٦١٥ وإمتاع الأسماع ج ٤ ص ٣٣٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أبي عبيد، عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس. وتخريج الأحاديث والآثار ج ١ ص ٣٧٧ والفتح السماوي للمناوي ج ٢ ص ٥٥٢ وبحار الأنوار ج ٧٧ ص ٢٥٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٥٠٤ وراجع: الصراط المستقيم ج ٣ ص ٢٨٤ وعوالي اللآلي ج ٢ ص ٦ و ٩٥ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ٣٢٦ والتفسير الصافي ج ٢ ص ١٣.

وصرحت عدة روايات بنزولها في حجة الوداع. فراجع ما روي عن مُجَّد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس^(١).

وعن عائشة: إن المائة آخر سورة نزلت^(٢).

١- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أبي عبيد وابن جرير، وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٩٥ و ١٩٦ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ٤٧ والغدير ج ٦ ص ٢٥٦ وجامع البيان للطبري ج ٦ ص ١١٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ج ٢ ص ١٥٥ وراجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة.

٢- الغدير ج ١ ص ٤٢٩ عن تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣ عن أحمد، والحاكم، والنسائي، والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أحمد، وأبي عبيد في فضائله، والنحاس في ناسخه، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم وصحح، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، والمجلي لابن حزم ج ٧ ص ٣٩٠ وج ٩ ص ٤٠٧ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي = ج ١ ص ٨٤ ونيل الأوطار ج ٩ ص ٢٠٤ ومسند أحمد ج ٦ ص ١٨٨ ومسند الشاميين ج ٣ ص ١٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣١ وتفسير السمرقندي ج ١ ص ٣٨٨ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٦١٥ والفتح السماوي ج ٢ ص ٥٥٢ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ٤٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج ١ ص ٣٧٧ وفتح القدير ج ٢ ص ٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٥ ص ٣٠٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣٣٣ ومسند ابن راهويه ج ٣ ص ٩٥٦ وعون المعبود ج ١٠ ص ١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ١٧٢ والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ٣١١.

وعن عبد الله بن عمر: إن آخر سورة أنزلت، سورة المائدة، والفتح^(١)، يعني سورة النصر، قاله السيوطي في الإتقان^(٢).

وعن أبي ميسرة: آخر سورة أنزلت سورة المائدة، وإن فيها لسبع عشرة

١- الغدير ج ٢ ص ٢٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٥٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج ١ ص ٣٧٧ وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣٢٦ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ٣٤٦ والإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٨٤ والفتح السماوي ج ٢ ص ٥٥٣ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ٤٧ وفتح القدير ج ٢ ص ٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣ عن الترمذي، والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أحمد، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

٢- الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٨٤ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ٣٤٦ وراجع: الفتح السماوي ج ٢ ص ٥٥٣ والغدير ج ٢ ص ٢٢٨.

فريضة^(١).

وسياتي المزيد مما يرتبط بتاريخ نزول السورة حين الحديث عن نزولها إن شاء الله تعالى..
موقع آية الإكمال:

وقد أنزل الله تعالى في مناسبة الغدير قوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)^(٢).

وهي في وسط آية ذكرت بعض المحرمات، كما يلي: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدًا وَالْحُنْزِيرُ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ الْيَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٣)

فقد يقال: إن وقوع هذه الفقرة في ضمن بعض المحرمات، يدل على أن

١ - الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن سعيد بن منصور، وابن المنذر، وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٠.

٢ - الآية ٣ من سورة المائدة.

٣ - الآية ٣ من سورة المائدة.

إكمال الدين: معناه: أن الله قد أكمل الدين بتشريع هذه الأحكام.. فلا ربط لها بالإمامة والولاية..
والجواب:

إن قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..) ^(١) جملة إعتراضية وقعت بين هذه الأحكام، التي كان قد سبق بيانها في آيات أخرى نزلت قبل ذلك بسنوات، إما صراحة، أو ببيان عناوين عامة تشملها..

وهنا ثلاثة أسئلة وأجوبتها:

السؤال الأول: لماذا جملة إعتراضية؟!

والجواب: أن الإتيان بجملة إعتراضية بين أمرين ظاهري التلازم يشير إلى الأهمية البالغة للأمر الذي يراد بيانه بها، وأنه لا مجال لتأجيله، إذ لا يقطع أحد كلامه لأجل بيان أمر تافه، أو عادي.

السؤال الثاني: لماذا جاء الإعتراض بين أحكام سبق بيانها، وليس من بينها أي حكم يبين للمرة

الأولى؟!

والجواب: أن المطلوب هو أن لا يتوهم أحد أن الدين قد كمل ببيان هذا الحكم، الذي يبين لأول مرة، كما أن ذلك يشير إلى تناغم بين مضمون الإعتراض وبين مساق الآية، حيث إن الآية تريد التأكيد على مضمون أحكام سبق بيانها بهدف حفظها..

والإمامة التي كمل بها الدين تريد حفظ الشريعة أيضاً، وإلزام الناس

١- الآية ٣ من سورة المائدة.

بها، وإشاعة الالتزام بها، بالإضافة إلى أن من وظائف الإمام حفظ الشريعة من التحريف، والإهمال، وضمنان صحة تطبيقها في حياة الأمة.

السؤال الثالث: لماذا وردت الجملة الاعتراضية في سياق أحكام إلزامية تحريمية لا وجوبية ولا استحبابية؟!.

والجواب: أنها بين أحكام إلزامية، للإيجاء بأن أدنى درجة من التفريط في هذا المورد معناها الوقوع في الهلكة.. وهي تحريمية، لأنها لو وقعت بين أحكام وجوبية لتوهم متوهم: أن المطلوب هو جلب المصلحة، والمصلحة قد يتخلى الإنسان عنها لسبب أو لآخر..
وبذلك يتضح:

أنه لا مجال لإيرادها في سياق بعض الأحكام المستحبة، أو المكروهة، أو بعض التوجيهات الأخلاقية، أو في سياق بيان بعض السياسات التدبيرية أو غير ذلك، لكي يمكن لأحد التأويل فيها، والتهرب من مضمونها الإلزامي.

متى يؤس الذين كفروا؟!:

وقد يقال: قد دلت آية إكمال الدين على أن يؤس الذين كفروا من ديننا هو في نفس يوم إكمال الدين..

فقليل: هو يوم فتح مكة^(١).

١- تفسير السمرقندي ج ١ ص ٣٩٣ والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٦٠ وفتح القدير ج ٢ ص ١٠ وتفسير السمعاني ج ٢ ص ١٠ وتفسير الميزان ج ٥ ص ١٦٩ وراجع: تفسير الجلالين ص ١٣٥.

وقيل: ما بعد تبوك، حيث نزلت سورة براءة، وانبسط الإسلام على جزيرة العرب كلها، وعفيت آثار الشرك، وذهبت سنن الجاهلية^(١).

وقيل: يوم عرفة^(٢).

ونجيب:

بأن هذا غير صحيح، لما يلي:

ألف: إذا كان كمال الدين بإتمام إبلاغ أحكام الشريعة، فقد قلنا: إن الأحكام الواردة في الآية كانت قد بينت قبل ذلك بسنوات. في آيات أخرى، إما بالتنصيص على بعض مفرداتها، وإما ببيان أحكام باقي المفردات في عمومات تشملها^(٣).

١- تفسير الميزان ج ٥ ص ١٦٩.

٢- تفسير مقاتل بن سليمان ج ١ ص ٢٨٠ وجامع البيان للطبري ج ٦ ص ١٠٥ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٣٩٢ و ٤٠٥ وتفسير الثعلبي ج ٤ ص ١٦ وتفسير ابن زمنين ج ٢ ص ٨ وتفسير السمعاني ج ٢ ص ١٠ وتفسير البغوي ج ٢ ص ١٠ وتفسير الواحدي ج ١ ص ٣٠٨ وتفسير الثعالبي ج ٢ ص ٣٤٢ وزاد المسير لابن الجوزي ج ٢ ص ٢٣٨ عن مجاهد وابن زيد، والتفسير الكبير للرازي ج ٥ ص ١٩١ وج ١١ ص ١٣٧ والمحزر الوجيز ج ٢ ص ١٥٤ وتفسير العز بن عبد السلام ج ١ ص ٣٧٠ والتسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ١٦٨ وتيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ص ٢٢٠ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص ٥٨.

٣- راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ " ج ٣١ ص ٣٠٠ و ٣٠١.

ب: إن نفس تحريم هذه الأمور الواردة في الآية لا يوجب بأس الذين كفروا، فإنها لا تختلف عن غيرها من الأحكام..

ج: قد استمر تشريع الأحكام إلى ما بعد يوم الفتح.. وبعد نزول سورة براءة، وقد تضمنت سورة المائدة بعضاً من ذلك كما بيناه في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ).

د: إنه لا مبرر ليأس الذين كفروا في يوم عرفة، إذ لم يحصل فيه شيء يوجب ذلك. إلا إن كان المراد: أنهم قد يئسوا يوم عرفة بسبب ما جرى في فتح مكة، أو بنزول سورة براءة، أو لما جرى في غزوة تبوك، أو غير ذلك..

ويجاب:

بأن هذا اليأس في تلك الأحداث قد حصل حين وقوعها، ولا مبرر لتأخر حصوله إلى يوم عرفة.

فإن قلت: لعل سبب اليأس في يوم عرفة هو إبلاغ جميع الأحكام فيه.

قلت: هذا لا يصح، فإن آية الكلاله التي في آخر سورة النساء، وآيات الربا قد نزلت بعد يوم عرفة،

كما قاله عمر بن الخطاب في خطبة له^(١).

١- صحيح مسلم ج ٢ ص ٨١ وج ٥ ص ٨ والغدير ج ٦ ص ١٢٧ ونهج السعادة ج ٨ ص ٤٢٢ ومسنند أحمد ج ١ ص ٢٦ و ٢٨ و ٤٨ والسنة الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٥٠ وشرح مسلم للنووي ج ٥ ص ٥٣ وج ١١ ص ٥٧ ومسنند أبي يعلى ج ١ ص ١٦٦ وج ٥ ص ٧٥ وجامع البيان للطبري ج ٦ ص ٥٩ وتفسير البغوي ج ١ ص ٤٠٤ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٦٠٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٦٩ و ١٦٨ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٤٩ وفتح القدير ج ١ ص ٥٤٤ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ٤٤ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٤ ص ١٩٥ وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٤٥٠ والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٩.

وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً^(١).

وقد يقال: إن نفس حضور النبي (ﷺ) في يوم عرفة بعد أن كان قد أخرج من مكة أوجب يأس الذين كفروا من هذا الدين.

ويجاب:

بأنه لا خصوصية لحضور النبي (ﷺ) في يوم عرفة، في موسم الحج، في هذا اليأس، وقد حضر (ﷺ) إلى مكة فاتحاً

١ - راجع: أسباب نزول الآيات ص ٩ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٥٦٣ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٩٥ و ٢٩٥ وج ١١ ص ٢٠٢ وج ٢٣ ص ٢٤٦ والبرهان للزركشي ج ١ ص ٢٠٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢٤ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٣٠٧ وجامع البيان ج ٣ ص ١٥٦ و ١٥٧ وتفسير السمرقندي ج ١ ص ٢٠٩ ومعاني القرآن للنحاس ج ١ ص ٣١٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٢٩٣ وج ١٢ ص ١٩ وتخريج الأحاديث للزيلعي ج ١ ص ٣٧١ والفتح السماوي ج ٢ ص ٥٤٥ والتبيان للطوسي ج ٢ ص ٣٦٩ وتفسير مجمع البيان ج ٢ ص ٢١٣ وتفسير الثوري ص ٧٣ وتفسير النعالي ج ٢ ص ٢٨٩ وتفسير البغوي ج ١ ص ٥٠٤ وزاد المسير ج ١ ص ٣ و ١٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٠ وج ٣ ص ٣٧٥ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٤٠ .

يوم الفتح، وقبلها في عمرة القضاء.

السبب الحقيقي ليأس الذين كفروا:

والذي نراه: أن سبب يأس الذين كفروا من هذا الدين هو بإيجاد العلة المبقية لهذا الدين، وتكريس معنى الإمامة فيه بنصب الحافظ له، والمبين لحقائقه، والأمين على شرائعه، والعالم بمعاني قرآنه، والعارف بناسخه وبمنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، والمسدد والمؤيد، والمعصوم الذي لا يخطئ في شيء من ذلك وسواه. وبذلك يغس الذين كفروا من التمكن بعد وفاة رسول الله (ﷺ) من تحريف هذا الدين، والتلاعب بأحكامه، وإلقاء الشبهات حول حقائقه..

وكما أن الكافرين ييأسون، فإن المؤمنين سوف يشعرون بكمال دينهم، وبتمام النعمة عليهم، بعد أن وضعت الضمانات لحفظه، وبذلك رضي الله لهم الإسلام ديناً عالمياً باقياً، وأبدياً للبشرية كلها. فلا تخشوهم واخشوني:

وبذلك تكون قد زالت موجبات خشية المؤمنين من كيد الذين كفروا، وأصبح الأمر مرهوناً بالمسلمين أنفسهم، وبمدى التزامهم بما أخذ عليهم من عهد وميثاق منه تعالى، وخضوعهم للتدبير الرباني، وباستجابتهم لما يحييهم، وطاعتهم لمن نصبه الله ورسوله ولياً وحافظاً لهم، ولدينهم.

ولذلك قال تعالى: (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) ^(١).

فالآية تريد أن تحدد المسؤوليات، وتسد أبواب التملصات المقيتة، من قبل من يظهرون الطاعة والإنقياد، ويطنون الصدود والعناد، ويدبرون في الخفاء للإستئثار بالأمر، وإقصاء صاحبه الشرعي عنه، ولا شيء يدفعهم إلى ذلك سوى حب الدنيا وزينتها، وعدم الإعتماد بشيء آخر سواها..
فعلى الناس أن يحفظوا نعمة الله عليهم، وأن لا يفرطوا فيما حباهم الله به، ولا يخضعوا لأهواء أهل الكفر، ولا يخشوا كيدهم ومؤامراتهم، وإلا فإنهم سيدوقون وبال أمرهم، وستكون أعمالهم هي السبب في سلب هذه النعمة منهم وعنهم.
أكملت .. أتممت:

ويلاحظ: أن الآية قد عبرت بالإكمال بالنسبة للدين، وبالإتمام بالنسبة للنعمة، وربما يكون الفرق بينهما: أن الإكمال هو تتميم خاص، فإنه يستعمل حيث يكون للشيء أجزاء لها أغراض وآثار مستقلة، فكلما حصل جزء، تحقق معه أثره وغرضه.
فهو من قبيل العموم الأفرادي، ويمكن أن يمثل له بصيام شهر رمضان، فإن صيام أي يوم منه يوجب تحقيق أثره، ويسقط وجوبه، وتبقى سائر الأيام على حالها..

١ - الآية ١٥٠ من سورة البقرة.

أما الإتمام، فيستعمل فيما يكون له أجزاء لا يتحقق لها أثر حتى تكتمل، فيكون الأثر لمجموعها، فلو فقد واحد منها لانتفى الأثر المترتب على المجموع.

فهو نظير ساعات اليوم الذي يصام فيه، فإنها لا يترتب الأثر على صيامها إلا بعد انضمام أجزائها إلى بعضها، بحيث لا يتخلف جزء منها، فإنه يوصف بالتمام في هذه الحال، ولذلك قال تعالى: **(أَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)**^(١)، وكذلك الحال في الصلاة بالنسبة لأجزائها الأساسية الواجبة، فإن بطلان أو إسقاط أي جزء منها يوجب سقوط الصلاة نفسها، وبطلانها.

والدين هو مجموعة قضايا، ومفاهيم وأحكام، لها آثارها الخاصة بها، ولكل واحد منها طاعته ومعصيته على حدة.. فيصح التعبير عنه بالإكمال.

أما النعمة التي أتمها الله فهي هنا تشريع ما يكون موجباً لحفظ الدين، وهو ولاية أولياء الله تبارك وتعالى، لتقام بهم أركان الإسلام، وتنشر بهم أعلامه. وبذلك يأمن المؤمنون من أي فتنة أو افتتان. ويتحقق بذلك شرط قبول أعمال العباد، فإذا نقض المسلمون عهدهم، ولم يلتزموا بطاعة الإمام، حرموا من بركات وجوده، وعاشوا في المصائب والبلايا في حياتهم الدنيا، ويكونون عرضة للفتن والمحن بما كسبت أيديهم.

١ - الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

الإسلام مرضي لله تعالى دائماً:

وليس معنى قوله تعالى: .. (وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) ^(١). أن الإسلام لم يكن مرضياً قبل ذلك اليوم.. فإن الإسلام مرضي دائماً لله تعالى، والآية لا مفهوم لها..

لأنها تريد أن تقول: إن يأس الكفار، وإتمام النعمة وإكمال الدين، الذي رضيه الله تعالى لكم أيها البشر قد كان في هذا اليوم، فالله سبحانه راض لكم هذا في كل حين، وقد بلغه لكم على لسان أنبيائه، ووضع الضمانات لحفظ حدوده وشرائعه، وهياً الظروف لبقائه واستمراره، من خلال تشريع الولاية، وتعريف الناس بأئمة دينهم، وبما يحفظهم من الضلال، ويدفع عن دينه تحريف المبطلين، وشبهات المضلين..

أو يكون المراد: أن الله كما لا يرضى الإسلام الناقص، لا يرضى الإسلام بدون حافظ لحدوده وشرائعه..

فإذا لم يبلغ النبي (ﷺ) ما أنزل إليه من ربه كان الإسلام ناقصاً، وبلا حافظ معاً. ولا سيما مع ملاحظة: أن قبول الأعمال مرهون بولايته (ﷺ).

آية الإكمال نزلت مرتين:

ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)

١ - الآية ٣ من سورة المائدة.

أموراً كثيرة حول آية الأمر بالبلاغ.. وآية إكمال الدين.. فلا غنى عن مراجعته.
وقلنا في ذلك الكتاب ما يلي: إن سورة المائدة قد نزلت يوم عرفة دفعة واحدة، فقرأها النبي
(ﷺ) على الناس، وسمعوا آية الإكمال، وحاول أن يبلغ أمر الإمامة في عرفة، فمنعته قريش وأعوانها.
ثم بدأت الأحداث تتوالى، وتنزل تلك الآيات المرتبطة بكل حدث على حدة. فنزلت بعد ذلك آية:
(بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ^(١). وجاءته بالعصمة من ربه، فبادر إلى إعلان إمامة علي (عليه السلام) يوم
الغدِير، ثم تلا عليهم، أو نزلت عليه آية الإكمال بعد نصبه (ﷺ) علياً (عليه السلام) في ذلك اليوم الأغر،
وقبل أن يشرع الناس بالتفرق.

فيكون الحديثان في نزول هذه الآية يوم عرفة، ويوم الغدير صحيحين معاً، لكن نزولها يوم عرفة كان في
ضمن السورة، التي نزلت دفعة واحدة، ونزولها يوم الغدير كان بصورة منفردة عن بقية آيات السورة، بل
ومنفردة عن سائر فقرات الآية التي هي في ضمنها كجملة اعتراضية، حسبما بيناه..
وقد نقل الرواية بذلك الطبرسي في الإحتجاج ونقلها غيره أيضاً ^(٢)،

١- الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢- راجع: الإحتجاج (ط دار النعمان . النجف الأشرف) ج ١ ص ٦٦ فما بعدها، وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠١ واليقين لابن
طاووس ص ٣٤٣ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٥٣ وروضة الواعظين ص ٨٩ وغاية المرام ج ١ ص ٣٢٧ وج ٢ ص ١٤٢ وج ٣ ص ٣٣٧
وموسوعة أحاديث أهل البيت "ﷺ" للنجفي ج ٨ ص ٤٨ .

وفيها: أنه (ﷺ) قرأ عليهم آية إكمال الدين يوم عرفة، حيث أمره الله تعالى بتبليغ ولاية علي (عليه السلام)، ولم تنزل العصمة.

ويعلم بالمراجعة: أنه (ﷺ) حاول تنفيذ هذا الطلب، فمنع، فنزل قوله تعالى: (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ..)^(١)، ففعل ذلك في يوم الغدير، ولم ينسب أحد منهم ببنت شفة إلا همساً.

ويؤيد هذا المعنى: ما ذكر في بعض الروايات، من أن يوم الغدير كان يوم الخميس كما سيأتي. وهذا لا يتلاءم مع قولهم: إن يوم عرفة كان يوم الخميس، بل يتلاءم مع كون عرفة يوم الثلاثاء. وقد روي عن عمر^(٢)، ومعاوية، وسمرة بن جندب، ونسب إلى علي

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢ - راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٨ عن الحميدي، و عن عبد بن حميد، وأحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبان، والبيهقي في سننه، وراجع: صحيح البخاري ج ٥ ص ١٨٦ وج ٨ ص ١٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ١ ص ١٦ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٣٨ و ٢٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٨١ وج ٥ ص ١١٨ و سنن النسائي ج ٨ ص ١١٤ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٨ و سنن الترمذي ج ٤ ص ٣١٦ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٩٩ وج ٢٥ ص ٢٣ ومسند الحميدي ج ١ ص ١٩ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٤٢٠ = والمعجم الأوسط للطبراني ج ١ ص ٢٥٣ وج ٤ ص ١٧٤ ومسند الشاميين ج ٢ ص ٦٠ وفضائل الأوقات للبيهقي ص ٣٥١ وكنز العمال ج ٢ ص ٣٩٩ وجامع البيان ج ٦ ص ١٠٩ و ١١١ ومعاني القرآن للنحاس ج ٢ ص ٢٦١ وتفسير السمعي ج ٢ ص ١٠ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٢١ وج ١١ ص ٢٧٨ والمخلى لابن حزم ج ٧ ص ٢٧٢.

(عَلَيْهِ) أيضاً أن آية الإكمال نزلت في يوم عرفة^(١).

وهو ما يعني: أن آية الإكمال قد نزلت يوم عرفة في ضمن تمام السورة. ثم نزلت في موردها وحدها يوم الخميس، وهو يوم غدير خم.

ولو قلنا: إن الآية لم تنزل يوم الغدير، بل نزلت يوم عرفة فقط، لم يمكن أن نجد لمضمون الآية مورداً، ومنطبقاً حسبما أوضحناه.

كلام الأميني (رحمته):

توضيح: أما العلامة الأميني (رحمته) فلم يرتض ما ذكره من أن

١- راجع: مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ والمعجم الكبير ج ٧ ص ٢٢٠ وج ١٢ ص ١٩٨ وج ١٩ ص ٣٩٢ ومسند الشاميين ج ٣ ص ٣٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣١٨ وسير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٥٠٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٥ والكامل لابن عدي ج ٥ ص ١١ وكنز العمال ج ٢ ص ٤٠٠ وجامع البيان ج ٦ ص ١٠٦.

آية إكمال الدين قد نزلت في عرفة، وأورد أدلة عديدة على بطلان ذلك..
وكلامه صحيح إن كان يقصد تكذيب قولهم: إن شأن نزولها هو يوم عرفة وحسب، وأنها نزلت فيه
لحضور مناسبة نزولها.. فراجع كلامه^(١)..
ولكننا ذكرنا: أن سورة المائدة كانت قد نزلت قبل يوم الغدير كلها، بما فيها آية الإكمال، ثم صارت
الأحداث تحصل، فتنزل الآيات المرتبطة بها مرة ثانية، فكلام الأميني (عليه السلام) لا ينفي قولنا هذا..
أبو طالب لم يكن حاضراً:
وقد رووا عن ابن عباس: أن أبا طالب (عليه السلام) كان يرسل كل يوم رجالاً من بني هاشم، يجرسون النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى نزلت هذه الآية (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)^(٢)، فأراد أن يرسل معه من يجرسه، فقال:
يا عم: إن الله عصمني من الجن والإنس^(٣).

١- راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم "صلى الله عليه وآله وسلم" ج ٣١ ص ٣١٣ و ٣١٥.

٢- الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٣- الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٥٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٨١ والغدير ج ١ ص ٢٢٨ ولباب النقول للسيوطي (ط)
دار إحياء العلوم) ص ٩٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص ٨٣ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ١٧ وأسباب نزول الآيات ص ١٣٥ والمعجم
الكبير ج ١١ ص ٢٠٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨ وعن ابن مردويه، والطبراني.

ونقول:

أولاً: إن ما ذكرناه آنفاً من الإجماع على نزول سورة المائدة في المدينة، وأنها آخر ما نزل، أو من آخر ما نزل.. ومن الصحابة من يقول: إنها نزلت في حجة الوداع . إن ذلك . يكفي للرد على هذه المزعمة. فإن أبا طالب قد توفي قبل الهجرة إجماعاً..

ثانياً: لقد كانت هناك حراسات للنبي (ﷺ) تجري في المدينة، وفي المسجد أسطوانة يقال لها: أسطوانة المحرس.. وكان علي (عليه السلام) يبيت عندها يحرس رسول الله (ﷺ).. فإذا كانت الآية المشار إليها قد نزلت في مكة، فترك الحرس منذئذٍ، فلا معنى لتجديد الحراسات عليه في المدينة.

ثالثاً: تقدم في هذا الكتاب: أن أبا طالب (عليه السلام) كان في الشعب إذا حلّ الظلام، وهدأت الأصوات يقيم النبي (ﷺ) من موضعه، وينيم علياً (عليه السلام) مكانه. حتى إذا حدث أمر، فإن علياً يكون هو الفداء للنبي (ﷺ).

فلو صح: أن أبا طالب كان يرسل رجالاً لحراسته (ﷺ) كل يوم، فلا تبقى حاجة لهذا الإجراء، فإن الحرس موجودون، وأي أمر يحدث، فإنهم هم الذين يتصدون له.. ويلاحظ هنا: أن أبا طالب لم يختار غير علي (عليه السلام) لهذه المهمة، الأمر الذي لم يكن بلا موجب وسبب، ولعل السبب أمر إلهي كان لا بد من امتثاله.

رابعاً: إن آية الهجرة التي دلت على مبيت النبي (ﷺ) في الغار، وحديث مبيت علي (عليه السلام) في فراش النبي (ﷺ) يكذب هذه الرواية أيضاً.

ويظهر لنا: أن المطلوب بهذه الرواية المكذوبة إلقاء الشبهة حول مبيت علي (عليه السلام) مكان النبي (ﷺ) في الشعب، وحول مبيته (عليه السلام) مكانه (ﷺ) في ليلة الهجرة. بلغ ما أنزل إليك.. في اليهود:

من الأساليب التي يتبعونها لتضيق الحقيقة تكثير الأقوال في المورد، وقد زعموا: أن الأقوال في شأن نزول آية: (وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ) ^(١). بلغت العشرة ^(٢).

وقد رجح الرازي: أنها تريد أن تؤمن النبي (ﷺ) من كيد اليهود والنصارى، فأمره الله بإظهار التبليغ، وعدم المبالاة بهم، ودليله على ذلك: أن ما قبل الآية وما بعدها مرتبط بأهل الكتاب ^(٣). ونقول:

أولاً: إن السياق ليس حجة، ولا سيما بعد ورود الروايات الكثيرة المبينة لشأن النزول..

١- الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢- التفسير الكبير للرازي ج ١٢ ص ٤٩ والغدير ج ١ ص ٢٢٥ و ٢٢٦.

٣- التفسير الكبير ج ١٢ ص ٥٠ والغدير ج ١ ص ٢٢٦.

ثانياً: إن أمر اليهود قد حسم قبل نزول الآية بعدة سنوات، أما النصارى فلم يكن لهم حضور يذكر ولا نفوذ ذو بال في جزيرة العرب..

ثالثاً: لم يكن قد بقي شيء من الشريعة يتوهم أنه (ﷺ) يمتنع عن إبلاغه خشية منهم، فكيف إذا كانت تصرح بأن الذي أمر الله نبيه بإبلاغه يعدل الدين كله، فقد قالت: (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) ^(١). مع أنه (ﷺ) قد بلغ الرسالة كلها.. باستثناء بضعة أحكام قد لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة. فذلك كله يدل: على أن ما أمر (ﷺ) بإبلاغه له مساس بجميع أحكام الدين وشرائعه وحفائقه.. وهو الأمر الذي تخشاه قريش والطامعون والظالمون.. والذين أسلموا في الفتح وبعده.. وهو أخذ البيعة لعلي (عليه السلام) بالخلافة من بعده.

مم يخاف النبي (ﷺ)؟!:

وفي الآية وعد للنبي (ﷺ) بأن الله تعالى سوف يعصمه من الناس، ويحفظه منهم، فيرد سؤال: من أي شيء كان (ﷺ) يخاف، إن بلغ ما أمره الله به؟! مع علمنا: بأنه (صلى الله عليه وآله) لا ييخل بنفسه ولا بأي شيء يعود إليه عن البذل في سبيل الله تعالى.. ونجيب:

بأن الذي أظهرته النصوص التي تقدمت في فصل سابق تحدثنا فيه عما

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

جرى في عرفة: أنه (ﷺ) كان يخاف من قومه الذين كانوا حديثي عهد بجاهلية أن يتهموه فيما يبلغهم إياه بما يبطل أثر تبليغه، ويوجب فساد دعوته، فهو (ﷺ) كان بصدد تحصين دعوته عن أن ينالها أولئك المتربصون بها بسوء.

ولعلك تقول: إذا كان هذا هو ما يخشاه الرسول (ﷺ)، فلا شك في أن الله يعلمه، فلماذا أمره بالتبليغ مع علمه بعدم إجتماع شرائطه؟! ونجيب:

أولاً: إن الله تعالى تارة يأمر نبيه أمراً تنجزياً فعلياً حاضراً بأمر قد اجتمعت شرائطه، وارتفعت موانعه.. وتارة يأمره بإبلاغ أمر بنحو يجعل للنبي (ﷺ) نفسه مهمة توفير بعض الشرائط، وإزالة بعض الموانع، وتوخي الوقت الأنسب، والأسلوب الأصوب في ذلك، والأمر في موضوع الإمامة من هذا القبيل، فإنه كان يحتاج إلى الإعداد الصحيح، وتهيئة النفوس، وتمهيد الوسائل المناسبة له..

ثانياً: إن قوله تعالى لنبيه وإن لم تفعل، لا يعني أنه (ﷺ) هو الذي يختار أن لا يفعل، بل معناه: أن هذا الفعل إن لم يصدر منك بسبب منعهم إياك، كما حصل في عرفات، ثم في منى، فإننا سوف نعتبر أننا قد عدنا معهم إلى نقطة الصفر، وربما تقوم الضرورة بحرهم، كما حوربوا في بدر وأحد، والخندق، والفتح، وحنين..

ومما يدل على أن المشكلة هي في الناس الذين يمنعون النبي (ﷺ)

قوله تعالى: وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. وقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. فإن هذه الفقرات قد جاءت لتؤيد وتؤكد صحة فعله (ﷺ)، وصدق توقعاته، وأن ما فعله كان في محله، وأنه لولا العصمة الإلهية لم يصح التبليغ، لأنه سيكون بمثابة التفريط بالمهمة، وعدم توخي الطرف الملائم. وربما يشير إلى ذلك أيضاً: (أَنَّهُ عَطَفَ بِالْوَاوِ لَا بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ) ^(١)، إذ لو عطف بالفاء لأفاد أن النبي (ﷺ) هو الذي يمتنع عن الإبلاغ بقرار منه، ووجود الداعي إلى هذا الإمتناع لديه، ولكنه حين عطف بالواو أفاد أن عدم الفعل سوف يطرأ عليه بسبب مانع وعارض. فما بلغت رسالته:

إن قوله تعالى: (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) ^(٢). يدل على أن هذا الذي يراد تبليغه يوازي في أهميته وخطورته تبليغ الرسالة كلها، فبدونه تصبح الرسالة كلا شيء، وتذهب كل الجهود والتضحيات التي بذلت سدى أو فقل: لولاه تصبح الرسالة كلها، بمثابة الجسد الذي لا روح فيه، فهو تام التكوين، ولكن جميع أعضائه معطلة، فإذا نفخت فيه الروح، وسرت فيه الحياة، تحركت جميع الأجهزة وعملت بصورة منتظمة، فتصير العين ترى،

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

والأذن تسمع، واللسان يتكلم، واليد تتحرك.. والقلب ينبض.. وتكون له مشاعر وأحاسيس، فيحب ويغض، ويفرح ويحزن و.. و.. إلخ..

وولاية علي (عليه السلام) كذلك، فإنها إن فقدت، فإن جميع أعمال الإنسان تفقد خصوصية التأثير في السعادة الأخروية، ويفتقد معها كثيراً من المنافع في الدنيا..

ولأجل ذلك ورد: أما لو أن رجلاً صام نهاره وقام ليله، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله ثواب، ولا كان من أهل الإيمان^(١).

تبرئة الرسول (صلى الله عليه وسلم):

والتعبير في الآية الكريمة بـ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)^(٢)، ليفيد: أن هذا الأمر ليس أمراً تديبيرياً أتى به الرسول من عند

١- الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢- راجع: وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١١٩ وج ٢٧ ص ٤٢ و ٦٦ و (ط دار الإسلامية) ج ١ ص ٩١ وج ١٨ ص ٢٦ و ٤٤ ومستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٢٦٩ وبحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٩٤ وج ٦٥ ص ٣٣٣ والكافي ج ٢ ص ١٩ والمحاسن للبرقي ج ١ ص ٢٨٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٩٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٥٨٨ وج ١٠ ص ٤٥٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج ٣ ص ٤٤٠ وج ١٢ ص ٢٢٧ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٥٤٤ والوافية للفاضل التوحي ص ١٧٤ وغاية المراد ج ٣ ص ٧٨.

نفسه، بل هو أمر يبلغه لهم من حيث هو رسول يأتيهم بالقرار الرباني، الذي لا خيار له ولهم فيه..
ثم بين لهم بصورة أصرح وأوضح أن هذا الأمر أنزل إليك.
ولكي لا تذهب بهم الأوهام إلى أن الذي جاء به هو الملك أو غيره، صرح لهم: بأنه من ربك.

الفصل الثامن: آيات سورة المعارج.. وسورة العصر..

الغدِير وآيات سورة المعارج:

وتذكر هنا قضية ذلك المستكبر الذي لم يرض بنصب علي (عليه السلام) إماماً يوم الغدير، فطلب من الله تعالى أن ينزل عليه العذاب، فنزل، ونزل قوله تعالى: (سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) (١). وقد ناقش ابن تيمية في صحة هذه القضية.. ورد العلماء كلامه..

وقد ذكرنا ذلك كله في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وقد رأينا أنفسنا أمام أحد ثلاثة خيارات:

أولها: أن نهمّل ذلك كله، فلا نورد منه شيئاً في كتابنا هذا.. ولم يعجبنا هذا الخيار لأسباب كثيرة منها حرمان القارئ الكريم من أمر له ارتباط ظاهر بحياة علي (عليه السلام)، وبأهم قضية تعنيه.

الثاني: أن نعيد كتابة ذلك كله من جديد. وهو خيار غير سديد، لأنه سيكون مجرد إتلاف للوقت، وضرب للجهد، لأجل اعتبارات شخصية ليست ذات أهمية.

الثالث: أن نستعير ما كتبناه هناك ونضعه هنا بين يدي القارئ الكريم

١- الآيتان ١ و ٢ من سورة المعارج.

وقد آثرنا هذا الخيار الأخير، رغم ما فيه من حزازة شخصية بالنسبة إلينا..
فإليك ما أوردناه في الجزء الحادي والثلاثين من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)، حرفياً،
وبدون أدنى تصرف فيه:

سورة المعارج مكية:

زعموا في مناقشاتهم لهذه الواقعة: أن سورة المعارج مكية، وهو ما ذكرته الرواية عن ابن عباس^(١)، وابن
الزبير^(٢)، فتكون قد نزلت قبل بيعة الغدير بسنوات.
ونقول:

الصحيح: أنها نزلت في المدينة، بعد حادثة الغدير، حيث طار خير ما جرى في غدير خم في البلاد،
فأتى الحارث بن النعمان الفهري أو (جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي).

١ - الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٣ عن ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي، وسعد السعود لابن طاووس ص ٢٩١ وفتح
القدر ج ٥ ص ٢٨٧ وتفسير الميزان ج ٦ ص ٥٦ و ج ٢٠ ص ١١ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ٢١٩ و (ط دار الكتب
العلمية) ص ٢٠٢ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٥ ص ١٦٩٠ و ج ١٠ ص ٣٣٧٣ عن السدي.
٢ - الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٣ عن ابن مردويه، وفتح القدير ج ٥ ص ٢٨٧ وتفسير الميزان ج ٦ ص ٥٦.

في هامش الغدير: (لا يبعد صحة ما في هذه الرواية من كونه جابر بن النضر، حيث إن جابراً قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) والده النضر صبراً، بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أسر يوم بدر)^(١).
 فقال: يا مُجَدِّد، أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، وبالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك، ففضلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟!
 فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): والذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله.
 فولى جابر، يريد راحلته، وهو يقول: اللهم، إن كان ما يقول مُجَدِّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اثنتا بعذاب أليم.

فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته، وخرج من دبره، وقتله. وأنزل الله تعالى: سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ الْآيَةَ^(٢).

١- الغدير ج ١ ص ٢٣٩ هامش.

٢- الغدير ج ١ ص ٢٣٩ عن غريب القرآن لأبي عبيد، ونقله أيضاً عن مصادر كثيرة أخرى. وراجع: شفاء الصدور لأبي بكر النفاش، والكشف والبيان للتعلي، وتفسير فرات ص ١٩٠ و (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) ص ٥٠٥ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ٨٨ وكنز الفوائد للكراچكي، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٨٣ و ٣٨١ ودعاة الهداة للحاكم الحسكاني. والجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٧٨ وتذكرة الخواص ص ٣٠ والإكتفاء للوصابي الشافعي، وفرائد = السمطين ج ١ ص ٨٢ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٢٥١ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٤٠ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٣٦ و ١٦٢ و ١٧٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٥٤ و ١٦١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١١٥ ومعارض الوصول للزرندي الحنفي، ونظم درر السمطين ص ٩٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٤١ وجواهر العقدين للسمهودي الشافعي، وتفسير أبي السعود للعمادي ج ٩ ص ٢٩ والسراج المنير (تفسير) للشربيني الشافعي ج ٤ ص ٣٦٤ والأربعين في مناقب أمير المؤمنين لجمال الدين الشيرازي ص ٤٠ وبنابيع المودة ج ٢ ص ٣٧٠ وفيض القدير ج ٦ ص ٢١٨ ومنهاج الكرامة ص ١١٧ والعقد النبوي والسر المصطفوي لابن العيديروس، ووسيلة المآل لأحمد بن باكتير الشافعي ص ١١٩ و ١٢٠ ونزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ٢٠٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٢ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٣٧ والصراط السوي في مناقب النبي للقادري المدني، وشرح الجامع الصغير للحنفي الشافعي ج ٢ ص ٣٨٧ ومعارض العلي في مناقب المرتضى محمد صدر العالم، وتفسير شاهي لمحمد محبوب العالم، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٧ ص ١٣ وذخيرة المال في شرح عقد جواهر الآلي لعبد القادر الحفظي الشافعي، والروضة الندية لمحمد بن إسماعيل اليماني ص ١٥٦ ونور الأبصار للشبلنجي الشافعي ص ١٥٩ والمنار (تفسير) لرشيد رضا ج ٦ ص ٤٦٤ والأربعون حديثاً لابن بابويه ص ٨٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٣٤٢ و ٣٥٧ و ٣٦٢ و ٣٦٨ و ٣٧٠ والمراجعات ص ٢٧٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ٥٢.

وقد رد ابن تيمية هذا الحديث، لعدة أدلة أوردها، وتبعه فيها غيره^(١).

وأدلته هي التالية:

- ١ - إن قصة الغدير إنما كانت بعد حجة الوداع بالإجماع . والروايات تقول: إنه لما شاعت قصة الغدير جاء الحارث وهو بالأبطح، والأبطح بمكة. مع أن اللازم أن يكون مجيئه إلى رسول الله (ﷺ) في المدينة.
- ٢ - إن سورة المعارج مكية باتفاق أهل العلم..
- ٣ - إن قوله: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، نزلت عقيب بدر بالاتفاق. وقصة الغدير كانت بعد ذلك بسنين.
- ٤ - إن هذه الآية - أعني آية: سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ^(٢) - نزلت

١ - راجع: منهاج السنة ج ٤ ص ١٣ وتفسير المنار لرشيد رضا ج ٦ ص ٤٦٤ فما بعدها.

٢ - الغدير ج ١ ص ٢٣٩ عن غريب القرآن لأبي عبيد وعن مصادر أخرى، وراجع: شفاء الصدور لأبي بكر النقاش، والكشف والبيان للثعلبي، وتفسير فرات ص ١٩٠ وكنز الفوائد للكراچكي، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٨٣ و ٣٨١ ودعاة الهداة للحاكم الحسكاني. والجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٧٨ وتذكرة الخواص ص ٣٠ والإكتفاء للوصابي الشافعي، وفرائد السمطين ج ١ ص ٨٢ ومعارج الوصول للزرندي الحنفي، ونظم درر السمطين ص ٩٣ والفصول = المهمة لابن الصباغ ص ٤١ وجواهر العقدين للسمهودي الشافعي، وتفسير أبي السعود للعمادي ج ٩ ص ٢٩ والسراج المنير (تفسير) للشربيني الشافعي ج ٤ ص ٣٦٤ والأربعين في مناقب أمير المؤمنين لجمال الدين الشيرازي ص ٤٠ وفيض القدير ج ٦ ص ٢١٨ والعقد النبوي والسر المصطفوي لابن العيدروس، ووسيلة المال لأحمد بن باكثير الشافعي ص ١١٩ و ١٢٠ ونزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ٢٠٩ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٢ والصراط السوي في مناقب النبي للقادري المدني، وشرح الجامع الصغير للحفني الشافعي ج ٢ ص ٣٨٧ ومعارج العلي في مناقب المرتضى محمد صدر العالم، وتفسير شاهي محمد محبوب العالم، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٧ ص ١٣ وذخيرة المال في شرح عقد جواهر الآلي لعبد القادر الحفطي الشافعي، والروضة الندية لمحمد بن إسماعيل اليماني ص ١٥٦ ونور الأبصار للشبلنجي الشافعي ص ١٥٩ والمنار (تفسير) لرشيد رضا ج ٦ ص ٤٦٤.

بسبب ما قاله المشركون بمكة، ولم ينزل عليهم العذاب هناك لوجود النبي (ﷺ) لقوله تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ).

٥ . لو صح ذلك لكانت آية كآية أصحاب الفيل، ومثلها تتوفر الدعوي على نقله، مع أن أكثر المصنفين في العلم وأرباب المسانيد والصحاح، والفضائل والتفسير والسير قد أهملوا هذه القضية، فلا تروى إلا بهذا الإسناد المنكر.

٦ . إن الحارث المذكور في الرواية كان مسلماً حسبما ظهر في خطابه

المذكور مع النبي (ﷺ)، ومن المعلوم بالضرورة أن أحداً لم يصبه عذاب على عهد النبي (ﷺ).
٧- إن الحارث بن النعمان غير معروف في الصحابة، ولم يذكر في الإستيعاب، ولا ذكره ابن منده، وأبو نعيم وأبو موسى في تأليفهم في أسماء الصحابة.

ونقول:

إن جميع ذلك لا يمكن قبوله.. وسوف نكتفي هنا بتلخيص ما ذكره العلامة الأميني (رحمته الله)، فنقول:
بالنسبة للدليل الأول يرد عليه:

ألف: إن كلمة الأبطح إنما وردت في بعض الروايات دون بعض، فإطلاق الكلام بحيث يظهر منه أن الإشكال يرد على جميعها في غير محله..

وورد في بعض نصوص الرواية: أن مجيء السائل كان إلى المسجد^(١).

وقد نص في السيرة الحلبية: على أن ذلك كان في مسجد المدينة^(٢).

١- تذكرة الخواص ص ٣٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٤ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٣٧ والغدير ج ١ ص ٢٤٨ عنه، وعن معارج العلى للشيخ محمد صدر العالم، والعدد القوية للحلي ص ١٨٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٣٦٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٤٤٢.

٢- الغدير ج ١ ص ٢٤٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٤ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٣٧ وشرح إحقاق الحق ج ٤ ص ٤٤٢.

ب: إن كلمة الأبطح لا تختص ببطحاء مكة، بل هي تطلق على كل مسيل فيه دقائق الحصى^(١).
وقد وردت في البخاري في صحيحه^(٢)، أحاديث ترتبط بالبطحاء بذي الحليفة.

-
- ١- راجع: معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٣ و ٢١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١ ص ٧٤ و ٤٤٦ والغدير ج ١ ص ٢٥٠ وراجع: عمدة القاري ج ١٠ ص ١٠١ والخلاف للطوسي ج ٦ ص ١٩٦.
- ٢- صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٥٦ حديث ١٤٥٩ وج ١ ص ١٨٣ حديث ٤٧٠ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ١٤٣ و ١٩٧ وراجع: صحيح مسلم (كتاب الحج) ج ٣ ص ١٥٤ و ١٥٥ و (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٠٦ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٥ ص ٢٤٣ وج ٢٤٩ ص ٤٧٧ وكتاب الموطأ ج ١ ص ٤٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٢ ص ٢٢٦ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٢٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٧٣ وسير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٥٤٢ وسنن أبي داود ج ١ ص ٤٥٣ وعمدة القاري ج ٩ ص ١٤٦ وج ١٠ ص ١٠١ و ١٠٢ وفتح الباري ج ٣ ص ٤٧١ ولسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١١٤ والإستذكار لابن عبد البر ج ٤ ص ٣٣٩ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٣ ص ٥٤٠ ولسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٣٠ و ٤٧٧ وكتاب الموطأ لمالك ج ١ ص ٤٠٥ والغدير ج ١ ص ٢٤٨ ومسنند أحمد ج ٢ ص ٢٨ و ٨٧ و ١١٢ و ١١٩ و ١٣٨ وعون المعبود ج ٦ ص ٢٧ والمعجم الأوسط ج ٤ ص ٣٠٧ وج ٥ ص ٢٣٦.

وكان (ﷺ) إذا رجع إلى المدينة دخل من معرس الأبطح، فكان في معرسه ببطن الوادي، فقيل له: إنك ببطحاء مباركة^(١).

وورد التعبير بذلك أيضاً في كلام عائشة عن موضع قبر النبي (ﷺ)^(٢).

١- إمتاع الأسماع للمقريزي ج ٢ ص ١٢٢ والغدير ج ١ ص ٢٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٨٥ وراجع: مسند أحمد ج ٢ ص ٩٠ و ١٣٦ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٢ ص ١٤٤ وج ٣ ص ٧١ وج ٨ ص ١٥٥ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٠٦ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٢٧ وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١١٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢٤٥ وفتح الباري ج ٥ ص ١٦ وعمدة القاري ج ٩ ص ١٤٦ و ١٤٨ وج ١٢ ص ١٧٧ وج ٢٥ ص ٦٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣٣٠ ومسند أبي يعلى ج ٩ ص ٣٥٠ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ١٦٩ والمعجم الأوسط ج ٨ ص ٥٢ والمعجم الكبير ج ١٢ ص ٢٣١ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٥ ص ٢٤٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ١٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٢٢.

٢- كما في مصابيح السنة للبغوي ج ١ ص ٨٣ وإعانة الطالبين للدمياطي ج ٢ ص ١٣٥ والمحلى لابن حزم ج ٥ ص ١٣٤ والجواهر النقي ج ٤ ص ٣ ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ٥٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦١٤ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ٩٤٥ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٩٣ والتنبيه والإشراف ص ٢٥١ وتهذيب الكمال ج ٢٢ ص ١٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٠٩ = والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ٢٤٢ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٤١ وتحفة الأحوذى ج ٤ ص ١٣٠ وعمدة القاري ج ٨ ص ٢٢٤ وفتح الباري ج ٣ ص ٢٠٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣ والمستدرک للحاكم ج ١ ص ٣٦٩ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٨٤ ونيل الأوطار ج ٤ ص ١٢٩ وسبل السلام ج ٢ ص ١١٠ وتلخيص الحبير ج ٥ ص ٢٢٥ وفيض القدير ج ٤ ص ١٥٣.

وثمة أحاديث عن حذيفة بن أسيد، وعامر بن ليلي، تذكر في أحاديث الغدير: أنه حين رجوع النبي (ﷺ) من حجة الوداع، لما كان بالجحفة نهي عن سمرة متقاربات بالبطحاء أن لا ينزل تحتها أحد^(١).
وثمة حديث عن بطحاء واسط، وبطحاء ذي الخليفة، وبطحاء ابن أزر، وبطحاء المدينة، وهو أجل من بطحاء مكة^(٢)، وقد نسب البطحاوي العلوي إلى جده قوله:

١- راجع: الغدير ج ١ ص ١٠ و ٢٦ و ٢٤٩ ومعجم البلدان ص ٢١٣ - ٢٢٢ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ٢٣٢ وغاية المرام ج ١ ص ٢٩٩ والبلدان لليعقوبي ص ٨٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٢٤١ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٥٥ و ٢٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٤٢ و ج ٢٤ ص ٢٠٠ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ٣٣.

٢- معجم البلدان ج ١ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ والغدير ج ١ ص ٢٤٩ .

وبطحا المدينة لي منزل فيا حبذا ذاك من منزل..

وفي قول حيص بيص المتوفى سنة ٥٧٤ هـ.

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح^(١)

ويوم البطحاء (منسوب إلى بطحاء ذي قار) من أيام العرب المعروفة.

ومن الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):

أنا ابن المبجل بالأبطحين وبالبيت من سلفي غالب

قال الميمني في شرحه: يريد أبطح مكة والمدينة^(٢).

وأما الجواب عن الدليل الثاني، وهو أن سورة المعارج مكية بالإجماع لا مدنية، فنقول:

أولاً: إن الإجماع إنما هو على أن مجموع السورة كان مكيًا، لا جميع

١- راجع: ديوان حيص بيص ج ٣ ص ٤٠٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٣٩١ والغدير ج ١ ص ٢٥٥ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٣٠٣ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للهمداني ص ٦٤٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ١٠١ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٥ والوفيات بالوفيات ج ١٥ ص ١٠٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٨٤٢ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٣١٤ والكنى والألقاب ج ١ ص ٣٣٨ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ٢٥٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٧ ص ٤٨٨ و ٥٠٦.

٢- راجع: شرح ديوان أمير المؤمنين "عليه السلام" ص ١٩٧ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣٩٧ والغدير ج ١ ص ٢٥٢.

آياتها. فلعل هذه الآية بالخصوص كانت مدنية..

وقد يعترض على ذلك: بأن المتيقن في اعتبار السورة مكية أو مدنية هو تلك التي تكون بداياتها كذلك، أو تكون تلك الآيات التي انتزع اسم السورة منها كذلك..

والجواب عن ذلك..

ألف: إن هناك سوراً كثيرة يقال عنها: إنها مكية مثلاً مع أن أوائلها تكون مدنية، وكذلك العكس، وذلك مثل:

سورة العنكبوت.. فإنها مكية إلا عشر آيات من أولها^(١).

سورة الكهف.. مكية إلا سبع آيات من أولها^(٢).

١- راجع: جامع البيان ج ٢٠ ص ٨٦ والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٢٣ والسراج المنير للشربيني ج ٣ ص ١٢٣ وسعد السعود لابن طاووس ص ٢٨٩ والغدير ج ١ ص ٢٥٥ والبيان في عد آي القرآن للداني ص ٢٠٣ وزاد المسير ج ٦ ص ١١٩ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للأندلسي ج ٤ ص ٣٠٥ وتفسير السمعاني ج ٤ ص ١٦٥ وتفسير ابن زمنين ج ٣ ص ٣٣٩ والتفسير الكبير للرازي ج ٢٥ ص ٢٥ وفتح القدير ج ٤ ص ١٩١ وتفسير الثعالبي ج ٤ ص ٢٨٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٢٣ وتفسير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٥٠٤ والتفسير الصافي ج ٤ ص ١١٠ والتبيان ج ٨ ص ١٨٥ وعمدة القاري ج ١٩ ص ١٠٨ ومجمع البيان ج ٨ ص ٥.

٢- راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٤٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي = ج ١ ص ١٦ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ١٨٥ والغدير ج ١ ص ٢٥٦ وتفسير الثعالبي ج ٣ ص ٥٠٥ وراجع: عمدة القاري ج ١٩ ص ٣٦ والتبيان ج ٧ ص ٣ وتفسير شبر ص ٢٨٩ وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٢٧٨ وتفسير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٢٣٧ وتفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٠٢ وفتح القدير ج ٣ ص ٢٦٨ وج ٩ ص ٣٧ وتفسير الألوسي ج ١٥ ص ١٩٩.

سورة المطففين، مكية إلا الآية الأولى، (وفيها اسم السورة)^(١).

سورة الليل، مكية إلا أولها، (وفيها اسم السورة أيضاً)^(٢).

وهناك سور أخرى كثيرة مكية، وفيها آيات مدنية.. مثل سورة هود، ومريم، والرعد، وإبراهيم، والإسراء، والحج، والفرقان، والنمل، والقصاص، والمدثر، والقمر، والواقعة، والليل، ويونس^(٣).

١- راجع: جامع البيان ج ٣٠ ص ٥٨ والغدير ج ١ ص ٢٥٧ وراجع: التفسير الصافي ج ٥ ص ٢٩٨ وج ٧ ص ٤٢١ وتفسير العز بن عبد السلام ج ٣ ص ٤٢٩ والإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٧ و (ط دار الفكر) ص ٥٥ وفتح القدير ج ٥ ص ٣٩٧ وتفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٨٩ وبحار الأنوار ج ٦٦ ص ١١٦.

٢- راجع: الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٧ و (ط دار الفكر) ص ٥٤ والغدير ج ١ ص ٢٥٧.

٣- راجع ذلك كله في: الغدير ج ١ ص ٢٥٦. ٢٥٧. وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ١ و ٢٧٨ و ٣٣٨ وج ١٠ ص ٢٠٣ وج ١٢ ص ١ وج ١٣ ص ١ و ٢٤٧ وج ١٥ ص ٦٥ والسراج المنير ج ٢ ص ٤٠ و ٥١١ و ٦١٧ وج ٤ ص ١٣٦ و ١٧١ و = = والتفسير الكبير للرازي ج ٤ ص ٧٧٤ وج ٥ ص ٥٤٠ وج ٦ ص ٢٠٦ و ٢٥٨ و ٥٨٥ والإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٥ و ١٦ و تفسير الشريبي ج ٢ ص ٢ و ١٣٧ و ١٥٩ و ٢٦١ و ٢٠٥ وتفسير الخازن ج ٤ ص ٣٤٣.

ب: وهناك سور مدنية، وفيها آيات مكية، مثل:
سورة المجادلة، فإنها مدنية إلا العشر الأول، (وفيها تسمية السورة)^(١).
سورة البلد، وهي مدنية إلا الآية الأولى، (وفيها اسم السورة) وحتى الرابعة^(٢)، وغير ذلك.
ثانياً: لو سلمنا أن هذه السورة مكية، فإن ذلك لا يبطل الرواية التي تنص على نزولها في مناسبة
الغدِير، لإمكان أن تكون قد نزلت مرتين، فهناك آيات كثيرة نص العلماء على نزولها مرة بعد أخرى،
عظة وتذكيراً، أو اهتماماً بشأنها، أو اقتضاء موردين لنزولها، نظير: البسمة، وأول سورة

١- راجع: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج ٨ ص ٢١٥ والسراج المنير ج ٤ ص ٢١٩ والغدير ج ١ ص ٢٥٧ وراجع: تفسير
مجمع البيان ج ٩ ص ٤٠٧ والتفسير الصافي ج ٥ ص ١٤٢ والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٥ ص ٢٧٢ وفتح القدير ج ٥
ص ١٨١ وتفسير الألوسي ج ٢٨ ص ٢ وتفسير البيضاوي ج ٥ ص ٣٠٧ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٢٦٩ وتفسير العز بن
عبد السلام ج ٣ ص ٢٩١ وزاد المسير ج ٧ ص ٣١٤.

٢- راجع: الإتيان ج ١ ص ١٧ و (ط دار الفكر) ص ٥٥ وتفسير الألوسي ج ٣٠ ص ١٣٣ والغدير ج ١ ص ٢٥٧.

الروح، وآية الروح.

وقوله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) ...

وقوله: (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ).

وقوله: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ).

وسورة الفاتحة، فإنها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة، ولتثنية

نزولها سميت بالمثاني^(١).

وعن الدليل الثالث أجاب:

أن نزول آية سورة الأنفال قبل سنوات وهي قوله تعالى: (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ

عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)^(٢). لا يمنع من أن يتفوه بها هذا المعترض

على الله ورسوله، ويظهر كفره بها. ولعله قد سمعها من قبل، فأثر أن يستخدمها في دعائه، لإظهار شدة

عناده وجحوده أخزاه الله.

وعن الدليل الرابع أجاب:

١ - راجع: الغدير ج ١ ص ٢٥٧ وتفسير مجمع البيان ج ١ ص ٤٧ والتفسير الصافي ج ١ ص ٨٠ وبحار الأنوار ج ٨٤ ص ٧٩

والتفسير الكبير للرازي ج ١٩ ص ٢٠٧ والبرهان للزركشي ج ١ ص ٢٩ وتفسير الألوسي ج ١٤ ص ٧٩ وتفسير الميزان ج ١٢

ص ١٩١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٩٦ والإتقان ج ١ ص ٦٠ و (ط دار الفكر) ص ١٠٥ وفيه موارد أخرى أيضاً.

٢ - الآية ٣٢ من سورة الأنفال.

ألف: قد لا ينزل العذاب على المشركين لبعض الأسباب المانعة من نزوله، مثل إسلام جماعة منهم، أو ممن هم في أصلابهم، ولكنه ينزل على هذا الرجل الواحد المعاند في المدينة لارتفاع المانع من نزوله.. ولا سيما مع طلبه من الله أن ينزل عليه العذاب.

ب: قد يقال: إن المنفي في آية مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ هو عذاب الاستئصال للجميع، ولا يريد أن ينفي نزول العذاب على بعض الأفراد خصوصاً مع طلبه ذلك..

ج: دلت الروايات على نزول العذاب على قريش، وذلك حين دعا رسول الله (ﷺ) عليهم بأن يجعل سنيهم كسني يوسف (عليه السلام) فارتفع المطر، وأجدبت الأرض، وأصابتهم المجاعة حتى أكلوا العظام، والكلاب، والجيف^(١)..

١ - راجع: صحيح مسلم ج ٥ ص ٣٤٢ ح ٣٩ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ١٣١ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٥٦ وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٢٥ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ١٥ و ج ٥ ص ٢١٧ و ج ٦ ص ١٩ و ٣٢ و ٤٠ و ٤١ ومسنند أحمد ج ١ ص ٤٣١ و ٤٤١ والتفسير الكبير للرازي ج ٢٧ ص ٢٤٢ والنهية في اللغة ج ٣ ص ٢٩٣ و ج ٥ ص ٢٠٠ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص ٢٤٦ وعمدة القاري ج ٧ ص ٢٧ و ٢٨ و ج ١٩ ص ١٤٠ ودلائل النبوة ج ٢ ص ٣٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٥٣ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٥٧٥ ح ٣٦٩ والغدير ج ١ ص ٢٥٩ وبحار الأنوار ج ١٦ = ص ٤١١ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٩ والبداية والنهاية ج ٦ ص ١٠١ وراجع: تفسير السمعاني ج ٢ ص ٣٥٩.

د: قد نزل العذاب أيضاً على بعض الأفراد بدعاء رسول الله (ﷺ)، كما جرى لأبي زمعة، الأسود بن المطلب، حيث كان هو وأصحابه يتغامزون بالني (ﷺ)، فدعا عليه النبي (ﷺ) أن يعمى، ويشكل ولده، فأصابه ذلك^(١).

ودعا على مالك بن الطلائعة، فأشار جبريل إلى رأسه، فامتلاً قيحاً فمات^(٢).
ثم ما جرى للحكم بن أبي العاص حيث كان يحكي مشية النبي (ﷺ)

-
- ١- راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ٧٤ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٣٣٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٢٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٤٦١ والغدير ج ١ ص ٢٥٩ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ١ ص ٥١٣ والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٦٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٨٠.
- ٢- راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ٧٥ والغدير ج ١ ص ٢٥٩ وراجع: بحار الأنوار ج ١٨ ص ٤٩ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٢٢٠ وتفسير مجمع البيان ج ٦ ص ١٣٣ وجامع البيان ج ١٤ ص ٩٥ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٨٠ وسيرة ابن إسحاق ج ٥ ص ٢٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٧٨.

، فرآه (ﷺ)، فقال: كن كذلك، فكان الحكم مختلجاً يرتعش منذئذٍ^(١).
وما جرى لجمرة بنت الحارث، فقد خطبها النبي (ﷺ)، فقال أبوها: إن بها سوءاً، ولم تكن كذلك،
فرجع إليها، فوجدتها قد برصت^(٢).

ولعلها كانت تستحق هذا العذاب، بسبب بعض ما كانت تبطنه أو تظهره من سيئات الأعمال، أو
يقال: هناك آثار وضعية قد يتلى بها الأبناء، بسبب فعل الآباء، ويكون الأبناء ضحية عدوان آبائهم
فيثابون إن عاشوا وصبروا، ويعوضهم الله عن ذلك، وليكن هذا من آثار التعامل مع الرسول (ﷺ) بهذه
الطريقة. فلا يرد: أنه إذا كان أبوها قد أذنب فما

١- راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٢١٨ و (ط دار الجليل) ج ١ ص ٣٥٩ والنهائية في اللغة ج ٢ ص ٦٠ وإمتاع
الأسماع ج ١٢ ص ١٠١ وشرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ١٥٠ والإصابة ج ١ ص ٣٤٥ و ٣٤٦ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ١٧٣
والخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ٢١٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٦ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ والغدير ج ١
ص ٢٦٠ و ج ٨ ص ٢٤٤.

٢- راجع الإصابة ج ١ ص ٢٧٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٦٦٣ والخصائص الكبرى ج ١ ص ١٣٣ و عيون الأثر لابن
سيد الناس ج ٢ ص ٣٩٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤١٨ والغدير ج ١ ص ٢٦٠ الجامع
لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٦٩.

ذنبها هي؟!!

وما جرى لذلك الرجل الذي كذب على رسول الله (ﷺ) (١).

وما جرى لابن أبي لهب، فإنه سب النبي (ﷺ)، فدعا الله أن يسلب عليه كلبه، فافترسه الأسد (٢).
ه: قد هدد الله تعالى قريشاً بقوله: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (٣). .. فإن كان مناط الحكم في هذه الآية هو إعراض الجميع، فإن الصاعقة لم تأتهم، لأن بعضهم قد آمن. ولو أنهم استمروا جميعاً على الضلال لأتاهم ما هددهم به.
ولو كان وجود النبي (ﷺ) مانعاً من جميع أقسام العذاب، لم يصح هذا التهديد.. ولم يصح أن يصيب الحكم بن أبي العاص، وغيره ممن تقدمت أسماءهم شيء من الأذى..

١- راجع: الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٤٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٦ ص ٢٤٥ والغدير ج ١ ص ٢٦٠ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٨٤.

٢- الغدير ج ١ ص ٢٦١ وجامع البيان للطبري ج ٢٧ ص ٥٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج ٣ ص ٢٥٠ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٩٤ والدر المنثور ج ٦ ص ١٢١ والخصائص الكبرى ج ١ ص ١٤٧ و ٢٤٤ والنهاية في اللغة ج ٣ ص ٩١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٣٨ و ٣٣٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٥٨٨ و ٥٨٥ و ٥٨٦ حديث رقم ٣٨٣ و ٣٨١ و ٣٨٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٦٥.
٣- الآية ١٣ من سورة فصلت.

وعن الدليل الخامس أجاب (عليه السلام):

إن حادثة الفيل استهدفت تدمير أعظم رمز مقدس للبشرية بأسرها، فالدواعي متوفرة على نقلها..
وليست مرتبطة بعلي (عليه السلام) بحسب الظاهر.

أما قصة هذا الرجل الذي واجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قضية الغدير، المرتبطة بعلي (عليه السلام) في أهم قضية تعنيهم وهي الإمامة، فالدواعي لنقلها أقل بكثير، وهي ككثير من معجزات الرسول (صلى الله عليه وآله) التي نقلت عن طريق الأحاد، وبعضها قبله المسلمون من دون نظر في سنده..

بل الدواعي متوفرة على طمس هذه القضية، وذلك إمعاناً في إضعاف واقعة الغدير، وإبعادها عن أذهان الناس، وحمل الناس على نسيانها، لأنها تمثل إدانة خطيرة لفريق تقديسه طائفة كبيرة من الناس..
وتمثل معنى هاماً في فضل علي (عليه السلام).

وأما دعواهم: أن المصنفين قد أهملوا هذه القضية، فهي مجازفة ظاهرة، إذ قد تقدم أن كثيرين منهم قد روهها..

وعن الدليل السادس أجاب (عليه السلام):

بأن الحديث كما أثبت إسلام الحارث، فإنه قد أثبت رده.. والعذاب نزل عليه بعد رده، لا حين إسلامه، فلا يصح قوله: إنه لم يصب العذاب أحداً من المسلمين في عهد النبي (صلى الله عليه وآله).

ثم ذكر شواهد عن عذاب لحق بعض المسلمين في عهد رسول الله

(ﷺ) كقصة جمرة بنت الحارث، وغيرها.

وقصة ذلك الذي أكل عند النبي (ﷺ) بشماله، فقال له النبي (ﷺ): كل بيمينك.
فقال: لا أستطيع.

قال: لا استطعت. فما رفعها إلى فيه بعد^(١). وقد رواها مسلم في صحيحه.

وقصة الأعرابي الذي عاد رسول الله (ﷺ).. فقال له رسول الله (ﷺ): لا بأس، طهور إن شاء الله.

قال: قلت: طهور؟! كلا بل حمى تفور (أو تنور)، على شيخ كبير، تزيره القبور.

قال له النبي (ﷺ): فنعم إذا.

فما أمسى من الغد إلا ميتاً^(٢).

١- صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٥٩ ح ١٠٧ والغدير ج ١ ص ٢٦٤ وفتح الباري ج ٩ ص ٤٥٦ وعمدة القاري ج ٢١ ص ٢٩ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ٤٢٢ وعون المعبود ج ١٠ ص ١٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢١٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٣٦٧.

٢- راجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ١٣٢٤ ح ٣٤٢٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٨٣ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ١٩٧ وكنز العمال ج ٩ ص ٢١١ وصحيح ابن حبان ج ٧ ص ٢٢٥ والجواهر النقي ج ٣ ص ٣٨٢.

وكذا بالنسبة لمن نقى شعره في الصلاة، فقال له (ﷺ): قبح الله شعرك، فصلع مكانه^(١).
وأجاب عن الوجه السابع:
بأن معاجم الصحابة لم تستوف ذكر جميعهم، وقد استدرك المؤلفون على من سبقهم أسماء لم يذكروها.
وقد أوضح العسقلاني ذلك في مستهل كتابه (الإصابة) فراجع..
وقد ذكروا: أن النبي (ﷺ) توفي وكان عدد من رآه وسمع منه زيادة على مئة ألف إنسان..
أضف إلى ذلك: أنه قد يكون إهمال ذكر هذا الرجل في معاجم الصحابة لأجل رده..
كما أن ما جرى له فيه فضيلة لعلي (عليه السلام) في أكثر الأمور حساسية، فلماذا لا يتجاهل اسمه المتجاهلون؟!
سورة والعصر نزلت في علي (عليه السلام):

وقد يتساءل البعض عن المقصود بقوله (ﷺ) في خطبة يوم الغدير: (بي علي نزلت سورة وَالْعَصْرُ إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.

ويمكن أن يجاب: بأن الأحاديث الشريفة صرحت: بأن المراد بالإنسان

١ - راجع: أعلام النبوة للماوردي ص ٨١ و (ط أخرى) ١٣٤ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٧٢ والغدير ج ١ ص ٢٦٤.

الذي في خسر، هم أعداؤهم (عَلِيًّا)، ثم استثنى أهل صفوته من خلقه، حيث قال: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول: آمنوا بولاية أمير المؤمنين وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ذرياتهم ومن خلقوا بالولاية، وتواصوا بها، وصبروا عليها^(١).

وفي نص: (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) يعني الإمامة و (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) يعني بالعترة^(٢).

-
- ١- البرهان (تفسير) ج ٤ ص ٥٠٤ و ٥٠٥ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٦٦ و ٦٦٧ وبحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢١٥ و ج ٣٦ ص ١٨٣ وج ٦٤ ص ٥٩ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٤١ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٧٢.
- ٢- البرهان (تفسير) ج ٤ ص ٥٠٤ و ٥٠٥ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٦٦ و ٦٦٧ إكمال الدين ص ٦٥٦ وبحار الأنوار ج ٦٤ ص ٥٩ وج ٦٦ ص ٢٧٠ والتفسير الأصفى ج ٢ ص ١٤٧٤.

الفصل التاسع: قرائن ودلالات..

لماذا آية الإكمال أولاً؟!

هنا سؤال يقول: لماذا أوردت آية: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ^(١)، قبل آية: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ^(٢). وهما في سورة واحدة؟! فإن السير الطبيعي للأحداث يفرض تقدم هذه على تلك.. لا سيما وأن القرآن كان ينزل نجوماً..
ونجيب:

أولاً: إن سورة المائدة قد نزلت أولاً دفعة واحدة، إما في حجة الوداع في الطريق، أو يوم عرفة، ثم صارت الأحداث تمر، والآيات المناسبة تنزل مرة ثانية ^(٣).

١ - الآية ٣ من سورة المائدة.

٢ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٣ - الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٦١ وراجع ص ٣٠ وراجع: تفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٤٢٧ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٢ ص ١٤٣ والغدير ج ١ ص ٢٢٧ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٢١ وج ١١ ص ٢٧٨ .

ويدل على نزولها دفعة واحدة ما يلي:

١ - عبد الله بن عمرو، قال: أنزلت على رسول الله (ﷺ) سورة المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها^(١).

٢ - عن أسماء بنت يزيد، قالت: إني لأخذة بزمام العضباء، ناقة رسول الله (ﷺ)، إذ نزلت المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة^(٢).

١ - مسند أحمد ج ٢ ص ١٧٦ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عنه، ومجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣ وفتح القدير ج ٢ ص ٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٢٤ وإمتاع الأسماع ج ٣ ص ٤٩ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٢٥٨.

٢ - مسند أحمد ج ٦ ص ٤٥٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عنه، وعن عبد بن حميد، وابن جرير، ومُجَدِّد بن نصر في الصلاة، والطبراني، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي في شعب الإيمان، ومجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ وجامع البيان ج ٦ ص ١١٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣ و ١٢٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٢٤ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤٢٤ ومسند ابن راهويه ج ٥ ص ١٧٤ وإمتاع الأسماع ج ٣ ص ٤٨ وذم الكلام وأهله للأنصاري الهروي ج ١ ص ١٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٢٥٧.

٣ . عن أم عمرو بنت عيس، عن عمها: أنه كان في مسير مع رسول الله (ﷺ)، فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق كتف راحلته العضباء، من ثقل السورة^(١).

٤ . عن مُجَّد بن كعب القرظي، قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع، فيما بين مكة والمدينة، وهو على ناقته، فانصدعت كتفها، فنزل عنها رسول الله (ﷺ)^(٢).

٥ . عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله (ﷺ) في المسير من حجة الوداع، وهو راكب راحلته، فبركت به راحلته من ثقلها^(٣).

أما القول بأنها نزلت منصرف رسول الله (ﷺ) في الحديبية^(٤)، فيرده: ما دل على أن سورة المائدة كانت آخر ما نزل.

ثانياً: قالوا: (الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي،

١ - الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن ابن أبي شيبة في مسنده، والبغوي في معجمه، وابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤١٥.

٢ - الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أبي عبيد، وتفسير الألوسي ج ٦ ص ٤٧.

٣ - الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن ابن جرير، وجامع البيان ج ٦ ص ١١٢.

٤ - الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٦١ وراجع ص ٣٠ وراجع تفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٤٢٧ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٢ ص ١٤٣ والغدير ج ١ ص ٢٢٧.

لا شبهة في ذلك^(١) ..

وقد روى: أن رسول الله (ﷺ)، كان يقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا..

وقد روي ذلك عن ابن عباس^(٢) ..

وعن عثمان بن عفان أيضاً^(٣) ..

١- الإتيان ج ١ ص ٢٤ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٦٧ والغدير ج ١ ص ٢٢٧ وراجع: تحفة الأحوذى ج ٨ ص ٣٨٠ وإعجاز القرآن الباقلائي (مقدمة المحقق) ص ٦٠ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص ٦١.

٢- راجع: الدر المنثور ج ١ ص ٧ عن الحاكم وصححه، وعن أبي داود، والبخاري، والطبراني، والبيهقي في المعرفة وفي شعب الإيمان، والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٢٧٢ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٤٣ والإتيان ج ١ ص ٦٢ والبرهان للزركشي (ط دار إحياء الكتب العربية) ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٤١ عن الترمذي والحاكم، والتمهيد ج ١ ص ٢١٣ وتاريخ القرآن للصغير ص ٨١ عن: مدخل إلى القرآن الكريم لدراز ص ٣٤، لكن في غرائب القرآن للنيسابوري، بامش جامع البيان للطبري ج ١ ص ٢٤ ومناهل العرفان ج ١ ص ٢٤٠ هكذا: "ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا".

٣- مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٣٠ و ٢٢١ وتلخيصه للذهبي بامشه وغريب الحديث ج ٤ ص ١٠٤، والبرهان للزركشي ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣٣٦ وراجع ص ٦١ وغرائب القرآن بامش جامع البيان ج ١ ص ٢٤ وفتح = = البارى ج ٩ ص ١٩ و ٢٠ و ٣٩ و ٣٨، وكنز العمال ج ٢ ص ٣٦٧ عن أبي عبيد في فضائله، وابن أبي شيبه، وأحمد، وأبي داود، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي داود، وابن الأنباري معاً في المصاحف، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي نعيم في المعرفة، والحاكم وسعيد بن منصور، والنسائي، والبيهقي، وفواتح الرحموت بامش المستصفي ج ٢ ص ١٢ عن بعض من ذكر، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ عن بعض من ذكر، وعن أبي الشيخ، وابن مردويه ومشكل الآثار ج ٢ ص ١٥٢ والبيان ص ٢٦٨ عن بعض من تقدم، وإمتاع الأسماع ج ٤ ص ٢٤١ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ١٠١٥ وفتح القدير ج ٢ ص ٣٣١ وعن الضياء في المختارة، ومنتخب كنز العمال بامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٨.

وراجع: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص ١٠٣ ومناهل العرفان ج ١ ص ٣٤٧ ومباحث في علوم القرآن ص ١٤٢ عن بعض من تقدم، وتاريخ القرآن للصغير ص ٩٢ عن أبي شامة في المرشد الوجيز.. وجواهر الأخبار والآثار بامش البحر الزخار ج ٢ ص ٢٤٥ عن أبي داود، والترمذي، وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٤ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤٢ والإتيان في علوم القرآن ج ١ ص ١٦٧ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٠ ومسند أحمد ج ١ ص ٥٧ و ٦٩ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٠ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٢ ص ١١٢ وجامع البيان ج ١ ص ٦٩ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٦٢ وتهذيب الكمال ج ٣٢ ص ٢٨٨ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص ٦٣.

وفي نص آخر: أنه (ﷺ) شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة^(١).

وهذا معناه: أن النبي (ﷺ) هو الذي قدم آية الإكمال على الآية الأخرى بأمر من الله.. مما يعني: أن ثمة مصلحة اقتضت هذا التقديم، فلا بد من البحث في ذلك، فلاحظ ما يلي:
لماذا قدم آية الإكمال؟!

قد يقال: إن المصلحة في هذا التقديم هي حفظ الإمامة، وحفظ إيمان الناس، وتيسير سبيل الهداية لهم، ثم حفظ القرآن عن أن تمتد إليه يد التحريف.

وتوضيح ذلك باختصار شديد: أن الدعوة لا بد أن تواجه بالشدة والعنف من قبل الطغاة والجبارين، ولا بد من قتالهم لمنع بغيهم، ودفع شرهم، وهذا يضع الرسول أمام عدة خيارات هي:
الخيار الأول: أن يباشر النبي القتال بنفسه، فيقتل المعتدين، ومن يعاونهم في عدوانهم..

١- مسند أحمد ج ٤ ص ٢١٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٠٥ وكنز العمال ج ٢ ص ١٦ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٤٨ وتفسير الألوسي ج ١٤ ص ٢٢٠ وفتح القدير ج ٣ ص ١٨٩ والدر المنثور ج ٤ ص ١٢٨ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ١٦٨ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص ٦٢ و ٦٨.

وهذا يعني: أن لا تصفو نفوس ذويهم له، وأن لا يتمكن حبه (ﷺ) من قلوبهم، فضلاً عن أن يكون أحب إليهم من كل شيء حتى من أنفسهم!!.. كما يفرضه الإلتزام بالإسلام، والدخول في دائرة الإيمان.. وسوف تنتهياً الفرصة أمام شياطين الإنس والجن لدعوة هؤلاء الموتورين إلى خيانتهم، والكيد له، والتآمر عليه، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

كما أنهم إذا ما اتخذوا ذلك ذريعة للعزوف عن إعلان إسلامهم واستسلامهم.. فإنهم سوف يمنعون الكثيرين ممن له اتصال بهم، من أبناء وأرحام، وأقوام، وحلفاء وأصدقاء، من التعاطي بحرية وبغفوية مع أهل الإيمان، ثم حرمانهم وحرمان من يلوذ بهم من الدخول الجدي في المجتمع الإسلامي، والتفاعل معه، والذوبان فيه.

وإذا لم تصف نفوس بعض الناس، ولم يتمكن حب النبي (ﷺ) من قلوبهم بل اتسع النفاق، وارتد بعضهم واضطهدوا آل رسول الله (ﷺ) بسبب ذلك. فإن ذلك لا ينقض ما قلناه لأن ذلك إنما نشأ عن العناد والاستكبار عن قبول الحق، ولأجل مطامع دنيوية وأمراض قلبية. ويدل على ذلك: أن كثيرين غير هؤلاء قد استجابوا للحق، ولم يحملوا غلاً في صدورهم، وأصبحوا من خيرة الناس، قد أحبوا الله ورسوله حسب ما تيسر لكل منهم.

الخيار الثاني: أن يتولى ذلك الآخرون من رجال القبائل المختلفة، مع احتفاظه (ﷺ) بأهل بيته وذوي قرابته.

وهذا سوف يثير لدى الناس أكثر من سؤال، ويضعف عامل الثقة، وقد يؤثر سلباً على اعتقاد الناس بالنبوة، وعلى درجة الإتيان لها.. ولا أقل من عروض الكدورة على صفاء النوايا، وانحسار الرغبة في التضحية حين يقتضي الأمر ذلك..

مع ملاحظة: أن الناس لا يزالون قريبي عهد بجاهليتهم، ولم يتم اقتلاع مفاهيمها بعد بصورة كاملة، ولم يقطع الناس أشواطاً كبيرة في مسيرة السمو الروحي، والإخلاص لله فيما يحجمون عنه، أو يقدمون عليه.. بل قد يؤسس ذلك لأحقاد بين الفئات والقبائل المختلفة، تنتهي إلى عمليات تأرية متبادلة.. وسينتهي الأمر بالتمزق والتشردم، والسقوط في مستنقع الجريمة، ثم في أحضان الرذيلة بأبشع الصور، وأخبثها.. ولذلك نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) يعمل على أن يقابل كل قبيلة بأختها من نفس القبيلة، فيقابل تميم الشام بتميم العراق، وربيعة الشام بربيعة العراق^(١)، وهكذا سائر القبائل، لا لأجل أنه يتعامل بمنطق العشيرة والقبيلة.. فإن سيرته خير شاهد على خلاف ذلك، بل لأنه يريد:

أولاً: أن لا يمعن الناس في قتل بعضهم بعضاً، لأن المهم عنده هو وأد

١- وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٢٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ١٨٦ وراجع: أنساب الأشراف ج ٢ ص ٣٠٥ والفتوح لابن أعمش ج ٣ ص ١٤١ وراجع ج ٢ ص ٢٩٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٩ وفيه: أن علياً > علياً > سأل أولاً عن قبائل الشام، فلما أخبروه اتخذ قراره ذاك.

الفتنة بأقل قدر من الحسائر..

الثاني: يريد أن لا تكون هناك ثارات يطلبها أهل القبائل من بعضهم البعض، فإن حصر الأمور بين أفراد القبيلة الواحدة يصعب الأخذ بالتأر، ويهيء لصرف النظر عن ذلك بالكلية.

الخيار الثالث: أن يدفع (ﷺ) بأهل بيته الأطهار ليكونوا هم حماة هذا الدين، من دون حرمان غيرهم من العمل بتكليفهم الشرعي، فكان علي (عليه السلام) هو القائد والرائد، والمضحى، والناصر والمحامي عن نبيه، والقاتل لأعداء هذا الدين وأهله، وكان أهل البيت (عليهم السلام) هم شهداء هذه الأمة، وقوام وحدتها، وحفظة عزتها وكرامتها.

وإذا ما سعى الموتورون للإنتقام من علي (عليه السلام) وذريته، وتآمروا عليهم، ومكروا بهم، فلن يجدوا عندهم سوى الرفق والصبر، وقد جرت الأمور على هذا المنوال بالفعل، ولذلك لم يجد الناس أي رغبة بالجحود، والعناد الظاهر للدين، وإعلان الخروج منه، أو إبطان الحقد على رسول الله (ﷺ)، أو السعي لتحريف كتاب الله.

فالأخذ بهذا الخيار يجسد رحمة الله للناس، والرفق بهم، وتيسير الإيمان لهم، ولذرياتهم، ومن يلوذ بهم.. ولعل هذا هو السبب في أن إسم علي (عليه السلام) لم يذكر في القرآن، مع كثرة ذكره للأمور التي تؤكد فضله (عليه السلام)، وتبين عظيم منزلته، كآية النجوى، والتصديق بالخاتم وهو راع، وآية إكمال الدين، وغير ذلك

من آيات ترتبط بالإمامة..

وقد قيل للإمام الصادق (عليه السلام): إن الناس يقولون: فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته (عليهم السلام) في كتاب الله عز وجل؟!

فقال: قولوا لهم: إن رسول الله (ﷺ) نزلت عليه الصلاة، ولم يسم الله لهم ثلاثاً، ولا أربعاً، حتى كان رسول الله (ﷺ) هو الذي فسر ذلك لهم. ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً درهماً، حتى كان رسول الله (ﷺ) هو الذي فسر ذلك لهم..

ونزلت: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١).. ونزلت في علي والحسن والحسين (عليهم السلام). فقال رسول الله (ﷺ) في علي (عليه السلام): من كنت مولاه فعلي مولاه..

وقال (ﷺ): أوصيكم بكتاب الله، وأهل بيتي، فإني سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما، حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك..

وقال: لا تعلموهم فهم أعلم منكم.

وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة..

فلو سكت رسول الله (ﷺ) فلم يبين من أهل بيته (عليهم السلام)، لادّعاها آل فلان، وآل فلان. لكن الله

عز وجل، أنزله في

١ - الآية ٥٩ من سورة النساء.

كتابه تصديقاً لنبيه (ﷺ): (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١) .. فكان علي والحسن والحسين، وفاطمة (عليها السلام)، فأدخلهم رسول الله (ﷺ) تحت الكساء في بيت أم سلمة الخ (٢) ..

تناقضات تحتاج إلى حلول:

أجمع أهل السنة، وروى البخاري ومسلم، عن عمر وغيره: أن يوم عرفة في حجة الوداع كان يوم الجمعة (٣) .

١ - الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

٢ - راجع: الكافي ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ والتفسير الصافي ج ١ ص ٤٦٢ و ج ٤ ص ١٨٨ و ج ٦ ص ٤٣ عنه، وعن العياشي، وراجع: نور الثقلين ج ١ ص ٥٠٢ و ج ٤ ص ٢٧٤ وتفسير فرات ص ١١١ وكنز الدقائق ج ٣ ص ٤٤١ و ٤٤٢ و (مؤسسة النشر الإسلامي) ج ٢ ص ٤٩٧ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٠٩ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢١١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٨٧ وتفسير الميزان ج ٤ ص ٤١١ وغاية المرام ج ٢ ص ٣٥٢ و ج ٣ ص ١١٠ و ١٩٣ .

٣ - راجع: صحيح البخاري ج ٥ ص ١٨٦ وفضائل الأوقات للبيهقي ص ٣٥١ و سنن الترمذي ج ٤ ص ٣١٦ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٨ وتحفة الأحمدي ج ٨ ص ٣٢٣ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٩٩ وجامع البيان ج ٦ ص ١٠٩ و ١١١ والتفسير الكبير ج ٥ ص ١٩١ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٨ وسفينة النجاة للتكايني ص ٨٤ والغدير ج ١ ص ٢٣٦ .

وذكر المؤرخون: أن يوم الغدير كان يوم الخميس^(١) في الثامن عشر من ذي الحجة.
فإذا كان يوم عرفة هو يوم الجمعة، فيجب أن يكون الثامن عشر من ذي الحجة هو يوم الأحد لا يوم
الخميس.

ويؤكد هذا الإشكال قولهم: إن أول ذي الحجة هو يوم الخميس^(٢).

١- راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢٧ والطرائف لابن طاووس ص ١٤٦ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٥٦ و ١٧٨ وج ٥٥
ص ٣٦٨ وج ٥٦ ص ٢٧ وتأويل الآيات ج ١ ص ١٥٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١١٩ وكتاب الأربعين للماحوزي
ص ١٤٧ والمناقب للخوارزمي ص ١٣٥ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ج ١ ص ٣٥٥ وشرح أصول الكافي ج ٥
ص ١٩٥ وج ٦ ص ١٢٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" للكوفي ج ١ ص ١١٨ و ١٣٧ و ٣٦٢ و ٤٣٤ والمسترشد للطبري
ص ٤٦٨ وخلاصة عقبات الأنوار ج ٧ ص ١٨١ و ٣٠٣ وج ٨ ص ٢٧٨ و ٢٨٠ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٤ و ٣١٥ والغدير
ج ١ ص ٤٢ و ٤٣ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ ونهج الإيمان لابن جبر ص ١١٥ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ٩٣
وبشارة المصطفى للطبري ص ٣٢٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٥٥ وج ٢٠ ص ١٩٨ ومناقب علي بن أبي طالب
"عليه السلام" لابن مردويه ص ٢٣١.

٢- راجع: بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٣٤ عن كتاب التنوير ذو النسبين بين دحية والحسين، وفتح الباري ج ٣ ص ٣٢٣ وج ٤
ص ١٠٧ وج ٦ ص ٨١ وج ٨ ص ٨٠ = ٩٨ و ٩٩ وعمدة القاري ج ٧ ص ١٢٤ وج ٩ ص ١٦٨ وج ١٤ ص ٢١٨ وج ١٦
ص ٩٩ وج ١٨ ص ٦٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ١٢٩ و ١٨٤ و ٢٧٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢١٧ و ٣٣٣ و ٥٠٩ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٥٤٣ وسيل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٨٨
وج ١٢ ص ٣٠٦ وراجع: الغدير ج ١ هامش ص ٤٢.

كما أنه إذا كان يوم الغدير هو يوم الخميس فلا بد أن يكون يوم عرفة هو يوم الثلاثاء.
والقول بأن يوم عرفة كان يوم الخميس كما في بعض الروايات، فلا بد أن يكون الغدير يوم السبت.
بل صرحت بعض الروايات: بأن يوم عرفة، الذي هو يوم نزول سورة المائدة بما فيها آية الإكمال، وهو
يوم الإثنين^(١). وهذا لا يتلاءم مع أي من الروايات الأخرى كقولهم لهم إن يوم الغدير كان يوم الخميس.

١- جامع البيان ج ٦ ص ٥٤ و ١١٢ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ عنه. وراجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٦ والمعجم الكبير ج ١٢ ص ١٨٣ وكنز العمال ج ١٢ ص ٤٤٥ والتبيين للطوسي ج ٣ ص ٤٣٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٦٧ و ٦٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٢٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢ ص ٣١٩ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٥٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٩٨ و ٢٠٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٣٣٣ و السيرة الخلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٨.

وقولهم: إن أول ذي الحجة كان يوم الخميس أيضاً. ولا يتلاءم أيضاً مع ترديدهم ذلك بين يوم الخميس أو الجمعة.

فلعل الأمر قد اشتبه على الراوي، ويكون الصحيح هو يوم الثلاثاء ليكون يوم الغدير هو الخميس.. ويكون التبديل في أسماء الأيام وادعاء أن عرفة يوم الجمعة، أو يوم الإثنين. وكذلك ادعاء أن أول ذي الحجة في تلك السنة هو الخميس قد جاء لأثارة الشبهة حول يوم الغدير.. والله هو العالم بالحقائق. الإحتجاج بحديث الغدير:

وأما فيما يتعلق بإحتجاجات علي والزهاء، والأئمة الطاهرين من ذريتهما (عليهما السلام)، بحديث الغدير، فحدث عنه ولا حرج.

ويمكن أن يجد القارئ طائفة من هذه الإحتجاجات، والمناشدات، والإستشهادات بهذا الحديث الشريف في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ج ٣٢ ص ٦٦-٨٨ فراجع..

زيد بن حارثة في حديث الغدير:

وجاء في حديث احتجاج المأمون على الفقهاء، قول المأمون لإسحاق بن إبراهيم: يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية؟!

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: إروه.

ففعلت.

قال: يا إسحاق، أرايت هذا الحديث، هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟! قلت: إن الناس ذكروا: أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة، لشيء جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله (ﷺ): من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال: في أي موضع قال هذا؟! أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟! قلت: أجل.

قال: فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير!

كيف رضيت لنفسك بهذا؟!!

أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي أيها الناس؟! فاعلموا ذلك. أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟! فقلت: اللهم نعم.

قال: يا إسحاق، أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله (ﷺ)؟!!

ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم، إن الله جل ذكره قال في كتابه: (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) ^(١). ولم يصلوا لهم، ولا

١ - الآية ٣١ من سورة التوبة.

صاموا، ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمرهم فأطاعوا أمرهم^(١).

والظاهر: أن إشكال المأمون هذا قد أتى ثماره، حيث جاء المصلحون بعد ذلك ليقولوا: إن هذه الحادثة قد جرت بين أسامة بن زيد بن حارثة وبين علي.. وقد كان أسامة حياً آنئذٍ، وأن الذي قتل في مؤتة هو أبوه.. فذكروا: أن أسامة قال لعلي (عليه السلام): لست مولاي، إنما مولاي رسول الله.

فقال (صلى الله عليه وآله): (من كنت مولاه فعلي مولاه)^(٢).

ومن الواضح: أن إشكال المأمون باستشهاد زيد في مؤتة يدل على أن

١- قاموس الرجال ج ١٢ ص ١٥٥ والغدير ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ والإمام علي "عليه السلام" في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص ١٨٢ - ١٩٧ وفي هامشه عن: العقد الفريد ج ٥ ص ٩٢ - ١٠١ و (ط أخرى) ج ٥ ص ٥٦ - ٦١ و (ط أخرى) ج ٣ ص ٤٢ و عيون أخبار الرضا للصدوق ج ٢ ص ١٨٥ - ٢٠٠ باختلاف يسير.

٢- تحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٤٨ والنهاية في غريب الحديث ج ٥ ص ٢٢٨ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٧ وفيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٦ ص ٢٨٢ ومعاني القرآن للنحاس ج ٦ ص ٤١١ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٦٤ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٤٢ والغدير ج ١ ص ٣٨٣ ودليل النص بجزر الغدير ص ٥٤ ولسان العرب ج ١٥ ص ٤١٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٤٤ و ٢٩١ وكنز الفوائد ص ٢٣٢.

إقحام اسم أسامة قد جاء متأخراً بهدف حل هذا الإشكال .
لكن لو سلمنا باستبدال زيد بأسامة، فإن إشكال المأمون بعدم معقولية أن يقول الرجل: مولاي مولى
ابن عمي .. يبقى على حاله ..
يضاف إلى ذلك: أنه لو صحت رواياتهم، فلا معنى لأن يوقف النبي (ﷺ) عشرات الآلاف من
البشر في حر الرمضاء .
ولا معنى لأخذ البيعة له من سائر من في الصحراء على مفترق الطرق .. فإن الأمر لا يعنيه من
جهة .. والولاء بهذا المعنى لا تطلب فيه البيعة، بل لا معنى لها فيه ..
ولا معنى لقول عمر: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ..
ولا معنى لأن يحتاج إلى العصمة من الناس ..
ولا معنى لإكمال الدين وإتمام النعمة، ولا معنى .. ولا معنى .. لو كان الأمر ينحصر بهذا الخلاف
البسيط بين أسامة وبين علي (عليه السلام) !!
علي (عليه السلام) كان باليمن:
وذكر ياقوت الحموي: أن محمد بن جرير الطبري (له كتاب فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام))، تكلم في
أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خم، ثم تلاه بالفضائل، ولم يتم^(١) .
وقال: (وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعده وأطرحه . وكان قد قال

١- معجم الأدباء ج ١٨ ص ٨٠ وقاموس الرجال ج ٩ ص ١٥٢ والغدير ج ١ ص ١٥٢ .

بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدیر خم، وقال: إن علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله (ﷺ) بغدير خم.

وقال هذا الانسان في قصيدة مزدوجة، يصف فيها بلداً بلداً، ومنزلاً منزلاً، أبياتاً يُلوّح فيها إلى معنى حديث غدیر خم، فقال:

ثم مررنا بغدير خم كم قائل فيه بزور جم

على علي والنبي الأمي

وبلغ أبا جعفر ذلك، فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب، وذكر طرق حديث غدیر خم، فكثر الناس لاستماع ذلك الخ..^(١).

وقال الطحاوي: (فدفع دافع هذا الحديث، وزعم أنه مستحيل، وذكر أن علياً لم يكن مع النبي (ﷺ) في خروجه إلى الحج من المدينة، الذي مرّ في طريقه بغدير خم بالجحفة..)^(٢).

ونقول:

أولاً: تقدم: أن علياً (عليه السلام) عاد من اليمن، ولقي النبي (ﷺ) في مكة، وساق أربعاً وستين بدنة، وأحرم بما أحرم به رسول الله (ﷺ) وحج معه، واشركه النبي (ﷺ) معه في الهدى.

١- معجم الأدباء ج ١٨ ص ٨٤ والغدير ج ١ ص ١٥٢.

٢- تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧١٣ رقم ٧٢٨ والغدير ج ١ ص ٣١٤ و ٢٩٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٩٨.

ثانياً: إن تنصيب علي (عليه السلام) لم يكن حين ذهاب النبي (صلى الله عليه وآله) من المدينة إلى مكة، بل كان حين رجوعه (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة، بعد أدائه مناسك الحج^(١).

ويظهر من كلام الذهبي: أن صاحب هذا الزعم الباطل هو ابن داود، فعمل ابن جرير كتاب الفضائل ردّ فيه عليه، والظاهر: أنه سماه (كتاب الرد على الحرقوصية)^(٢) نسبة إلى حرقوص بن زهير زعيم الخوارج، معرضاً: بأن صاحب هذا الزعم كان خارجياً.

وقال الذهبي: إنه رأى مجلداً من كتاب ابن جرير، فاندھش له ولكثرة

١ - إقبال الأعمال ص ٤٥٣ و (ط مكتب الإعلام الإسلامي) ج ٢ ص ٢٧٩ وأشار إلى كتاب ابن جرير في: البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٦ وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٩ وقاموس الرجال ج ١١ ص ٢٦٤ وكشف المهم في طريق خير غددير خم ص ٨٢ والفهرست للطوسي ص ١٥٠ وبحار الأنوار ج ٩٥ ص ٣٠١ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢٢٨ والغدير ج ١ ص ٢٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٠٨ وتبنيه الغافلين ص ٦٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٧٤.

٢ - راجع: مشكل الآثار ج ٢ ص ٣٠٨ والصواعق المحرقة ص ٤٢ و ٤٣ والمعاصر من المختصر ج ٢ ص ٣٠١ والمرقاة في شرح المشكاة ج ١٠ ص ٤٧٦ وشرح الأخبار ج ١ ص ٨١ والمسترشد للطبري ص ٣٥ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٢٣٩ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٢٦ والغدير ج ١ ص ١٥٣ ورجال النجاشي ص ٣٢٢ وقاموس الرجال ج ٩ ص ١٥١ و ١٥٤ و ١٩٣.

تلك الطرق^(١).

علي (عليه السلام) بعد العبدین الصالحین:

ورد في رواية جرير بن عبد الله البجلي لواقعة الغدير: أنه (عليه السلام) أخذ بذراع علي (عليه السلام) وقال: (من يكن الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً. اللهم إني لا أجد أحداً استودعه في الأرض بعد العبدین الصالحین^(٢) غيرك^(٣))، فاقض له بالحسنى.

١- تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧١٣ ومشكل الآثار ج ٢ ص ٣٠٨ والصواعق المحرقة ص ٤٢ و ٤٣ والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" للرحماني ص ٨٠٧ والمعتصر من المختصر ج ٢ ص ٣٠١ وفتح الملك العلي ص ١٥ والمرقاة في شرح المشكاة ج ١٠ ص ٤٧٦ والمسترشد للطبري ص ٤٣ والكنى والألقاب ج ١ ص ٢٤١ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢١٨ والغدير ج ١ ص ١٥٢ و ٣٠٧. ٢- الغدير ج ١ ص ٢٣ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ١١٣ و ١١٤ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٣٨. ٣- راجع: الغدير (تحقيق مركز الغدير للدراسات) ج ١ ص ٦٢١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٣٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٣٧ والإكمال في أسماء الرجال ص ٣٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٦ ص ٥٦٤ وج ٣٠ ص ٤٢٢ عن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٥٨ وهداية العقول ص ٣١ وقال في الغدير: في تعليق هداية العقول (ص ٣١): لعله أراد بالعبدین الصالحین أبا بكر وعمر، وقيل: الخضر وإلياس.

وقيل: حمزة وجعفر رضي الله عنهما، لأن علياً "عليه السلام" كان يقول عند اشتداد الحرب: وا حمزاه ولا حمزة لي؟! وا جعفره ولا جعفر لي؟!!

أقول: هذا رجم بالغيّب، إذ لا مجال للنظر في تفسير العبدین الصالحین بمن ذكر إلا أن يعثر على نص، والظاهر: عدم ذلك لما ذكره سيدي العلامة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل "رحمته الله" لما سأله بعضهم عن تفسير الحديث، فأجاب بما لفظه: لم أعر عليه في شيء من كتب الحديث، إلا أن في رواية مجمع الزوائد ما يدل على عدم معرفة الراوي أيضاً بالمراد بالرجلين، لأن فيه قال بشر، أي الراوي عن جرير: قلت: من هذان العبدان الصالحان؟!!

قال: لا أدري.

قال "رحمته الله": ومثل هذا إن لم يرد به نقل فلا طريق إلى تفسيره بالنظر هـ. راجع: الغدير ج ١ هامش ص ٦٢.

وقال في كتاب على ضفاف الغدير: وأخرجه عنه أحمد بن عيسى المقدسي في الجزء الثاني من فضائل جرير بن عبد الله البجلي الموجود في المجموع ٩٣ في المكتبة الظاهرية. أخرجه في الورقة ٢٤٠.

وأخرجه ابن عساکر في تاريخه: رقم ٥٨٧، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ص ١٧ ص ٣٥٨، والقراي في نفعات العبیر الساري: ق ٧٦/ب، والسيوطي في جمع الجوامع ص ١ ص ٨٣١، وفي كطف الأزهار المنتثرة في الأحاديث المتواترة = ص ٢٧٧ ح ١٠٢، والزبيدي في لقط اللآلئ المنتثرة في الأحاديث المتواترة ص ٢٠٦، والشوكاني في در السحابة ص ٢١٠، والكتاني في نظم المنتثر في الحديث المتواتر ص ١٩٤ وإسحاق بن يوسف الصنعاني في تفریح الكرب في حرف الميم.

قال بشر (الراوي عن جرير) قلت: من هذان العبدان الصالحان؟! قال: لا أدري^(١).

ونقول:

إنه (ﷺ) أشار إلى أن العبدین الصالحین الذین سيكون علي (عليه السلام) ثالثهما بعده، كانا على قيد الحياة، وأن لهما دوراً في وديعته (ﷺ).. ولعلهما: الخضر وإلياس. لكن لا مجال للتأكيد على أنهما هما اللذان قصدهما (ﷺ) بكلامه هذا.. وإن كان ذلك محتملاً في حد نفسه. بل قد يقال: أن أحداً لا يصلح للاستيداع، مع وجود الحسنين (عليهما السلام) فهو من قبيل: رب لا تدرني فرداً، أو من قبيل: إن تهلك هذه العصاة لا تعبد، فهو بمثابة طلب حفظ الحسنين (عليهما السلام) على لسان رسول (ﷺ).

١ - الغدير ج ١ ص ٢٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦ والمعجم الكبير ج ٢ ص ٣٥٧ و ٣٥٨ والإكمال في أسماء الرجال ص ٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٣٦ وشرح إحقاق الحق ج ١٦ ص ٥٦٤ وج ٣٠ ص ٤٢٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٠٨ وقال: أخرجه الثلاثة. يريد: ابن عبد البر، وابن مندة، وأبا نعيم.

الزهري.. وحديث الغدير:

وقد حدث الزهري بحديث الغدير، فقبل له: لا تحدث بهذا بالشَّام وأنت تسمع ملء أذنيك سب علي.

فقال: والله، إن عندي من فضائل علي (عليه السلام) ما لو تحدّثت بها لقتلت^(١).
فكلام الزهري هذا صريح في: أن لديه فضائل أكثر صراحة في حقيقة فضله (عليه السلام)، وأشدّ إيلاماً
لمناوئيه، وأكثر إثارة لغضبهم إلى حد أنها تدفعهم إلى قتله..
إلا إذا كان مراده: أن كثرتها هي الموجبة لغضب أعداء علي (عليه السلام).
فإذا كان الزهري يكتّم من فضائله ما يؤدي به إلى القتل، فما بالك بما كان يكتّمه العشرات والمئات
غير الزهري من فضائله (عليه السلام)؟!!

عمر في خدمة جبرئيل:

عن عمر بن الخطاب، قال: نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً علماً، فقال: (من كنت مولاه، فعلي
مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيدني
عليهم).

١- أسد الغابة ج ١ ص ٣٠٨ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٣٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٢٢٨ والغدير ج ١ ص ٢٤ وشرح
إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٧٤ و ٣٧٦.

قال عمر بن الخطاب: وكان في جنبي شاب حسن الوجه، طيب الريح، قال لي: يا عمر، لقد عقد رسول الله عقداً لا يحله إلا منافق (زاد في مودة القرى، قوله: فاحذر أن لا تحله). (لعل الصحيح: أن تحله، أو فاحذر.. لا تحله).

قال عمر: فقلت: يا رسول الله، إنك حيث قلت في علي كان في جنبي شاب حسن الوجه، طيب الريح قال لي: يا عمر لقد عقد رسول الله (ﷺ) عقداً لا يحله إلا منافق فأخذ رسول الله (ﷺ) بيدي، فقال: يا عمر، إنه ليس من ولد آدم، لكنه جبرائيل، أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في علي^(١).
ونقول:

إننا نلاحظ ما يلي:

١- قول النبي (ﷺ): اللهم أنت شهيدي عليهم.. كأنه إشارة إلى أن هذا الحدث سوف يتعرض للإنكار من قبل جماعة من الناس، أو على الأقل لتحريف دلالاته، والتلاعب بمقاصده ومراميه، المساوق

١- مودة القرى ص ١٨ لشهاب الدين الهمداني، المودة الخامسة، ونبائع المودة ج ٢ ص ٢٨٤ والغدير ج ١ ص ٥٧ وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١٨٧ وج ٩ ص ٢٧٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٢٥٢ وج ٢١ ص ٦٥ والإمام علي "عليه السلام" في آراء الخلفاء ص ٧٣ عن الكوكب الدرّي للكشفي ص ١٣١ المنقبة رقم ١٥٤.

لإنكاره. وسيعرض الأمر يوم القيامة للحساب والمطالبة، فيحتاج (ﷺ) إلى الشهادة له بأنه قد ابغهم مقاصده، واضحة لا لبس فيها.

٢ . إنه (ﷺ) حين أراد أن يخبر عمر بحقيقة ذلك الشاب الحسن الوجه، الطيب الريح أخذ بيد عمر، لكي تتشارك المشاعر في وعي وحفظ ما سيلقيه إليه.. فإن تحريك الحواس الظاهرية باللمس، ونبرات الصوت، وبتعابير الوجه، يجعل المشاعر أكثر تحفزاً لمتابعة ما يجري بانتباه أشد، ويهيء الذاكرة لاختزان ذلك كله بصورة أعمق وأدق.

٣ . إن جمال ذلك الشاب قد لفت نظر عمر، حيث لم يعهد في نظرائه وأقرانه جمالاً أو طيب ريح يستحق الذكر، إلا ما كان من ذلك في بني هاشم.

ثم جاءت كلمة ذلك الشاب متوافقة مع مظهره في التأثير على عمر إلى حد دعاه إلى استيضاح الحال من النبي (ﷺ) مباشرة.

ولعله كان يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو أن يسجل شكواه منه، علّه يسمع من النبي (ﷺ) استنكاراً لكلام ذلك الشاب وإدانة له، لكي يرتاح عمر، وتهدأ خواطره، ويزول بلباله.. ولكن عمر فوجئ بما أخبره به رسول الله، وهو أن ذلك الشاب هو جبرئيل..

ولنا أن نتصور كم كان عمر يحلم في أن يروي للناس أنه قد رأى جبرئيل، مباهياً بذلك ومفاخراً.. ولكن ما يصده عن ذلك كان أعظم وأخطر، فإن حديث جبرئيل قد نص على نفاق من يحل العقدة التي عقدها رسول الله (ﷺ) لعلي (عليه السلام).

وهل يمكن أن يرضى أولئك الذين ساروا في هذا الإتجاه بما قاله

جبرئيل عنهم؟!

وإذا كان جبرئيل قد قال ذلك، فكيف يمكن بعد هذا ادعاء أن هذا التصرف كان من ابتكارات رسول الله (ﷺ) حباً بصهره وابن عمه؟

ماذا بعد الأئمة؟!:

قلنا: إن قريشاً كانت مهتمة بصرف الأمر عن علي (عليه السلام) بأي ثمن كان، ولو بإثارة الشبهات والشكوك حول عدل النبي وإنصافه، بل إلى حد اتهامه في عقله، حين قالوا: إن النبي ليهجر، فضلاً عن الشائعات وحياسة المؤمرات.. التي كانت تدفع بها في كل اتجاه.. وكانت تمنع بالفعل وبالقول، وتتحدى، وتعج، وتضح، ولكنه (ﷺ) لم يزل يهتف باسمه، ويعمل لإحكام أمره، وتثبيت إمامته من بعده. حتى أمام الحشود الغفيرة في يوم عرفة.

وحين غلبت قريش على أمرها، وأعلن النبي للأمة كلها يوم عرفة: أن الأئمة الإثني عشر كلهم من قريش، ومن بني هاشم قصدته قريش إلى منزله، ليستوضحوا منه الأمر عن هؤلاء الأئمة، وماذا يكون من بعدهم، لترى إن كان لها نصيب، ولو بعد انقضاء عهد الأئمة، وإذ بها تفاجأ بقوله: ثم يكون الهرج، وفي نص آخر: (الفرج)، كما رواه الخزاز^(١).

١- راجع: كفاية الأثر ص ٥٢ ويقارن ذلك مع ما في إحقاق الحق (الملحقات) وغيبة النعماني ص ١٠٤ والغيبة للطوسي ص ١٢٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٥٠ = وغيرهم. فإنهم صرحوا بأن قريشاً هي التي أتته. وراجع: الصوارم المهركة للتستري ص ٩٣ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٦٥ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٢٧ ومسند أحمد ج ٥ ص ٩٢ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٩ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٣ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٢٥٣ وتهذيب الكمال ج ٣ ص ٢٢٤ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٧٩ وإمتاع الأسماع ج ١٢ ص ٣٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٣ ص ٣ و ١٦ و ٢٠ و ج ٢٩ ص ٩١ و ٩٤ و ٩٦.

أي يوم أعظم حرمة؟!:

ولكي نربط الأحداث ببعضها نعود فنذكر القارئ بما جرى في عرفة، فنقول:
إنه بالرغم من أن النبي (ﷺ) كان قد ذكروهم بشرف الزمان، وشرف المكان، وشرف المناسبة، فإن ذلك لم يمنعهم من إساءة الأدب مع رسول الله والإسراف في التحدي لله ولرسوله، فقد سأهم: عن أي شهر أعظم حرمة، وأي بلد أعظم حرمة، وأي يوم أعظم حرمة^(١).

١ - راجع هذه الفقرات الواردة في خطبة النبي "ﷺ" في حجة الوداع في المصادر التالية: مسند أحمد ج ٣ ص ٣١٣ و ٣٧١ وكنز العمال ج ٥ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٦٠٠ والكافي ج ٧ ص ٢٧٣ و ٢٧٥ ودعائم الإسلام ج ٢ ص ٤٨٤ والمجموع للنووي ج ٨ ص ٤٦٦ وج ١٤ ص ٢٣١ والمحلى لابن حزم ج ٧ ص ٢٨٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٩ ص ١٠ و (ط دار الإسلامية) ج ١٩ ص ٣ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٦٧ وتفسير نور الثقلين = ج ١ ص ٦٥٥ وتفسير القمي ج ١ ص ١٧١ ومستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٨٧ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ١١٣ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٣٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٩١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢١٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٦ ص ١٠٠ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ١٧٠ إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

فأقروا له بالحقيقة، ولكن ذلك لم يمنعهم من العجيج والضجيج، والتحدي.
ولا ندري ماذا كان سيحصل لو أنه (ﷺ) صرح لهم بإسمه (عائلاً) في ذلك الموقف، فهل كانوا سيكتفون بشتيم النبي (ﷺ) (والعياذ بالله) أم أنهم سيتجاوزون ذلك إلى قذفه بالحصباء أو بالحجارة، أو إلى ما هو أعظم من ذلك؟! وهو مباشرة قتله والعياذ بالله!!

التهديد الإلهي حسم الأمر:

وحين جاء التهديد الإلهي لهم، الذي صرح باعتبارهم في دائرة الكفر الذي يفتح باب الحرب معهم، وتضمن تطمين النبي (ﷺ) إلى أنهم سيكونون عاجزين عن فعل أي شيء يضر في أمر إبلاغ ذلك الأمر الخطير، وإقامة الحجة كما يريد الله في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ^(١).

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وحين أبلغهم أن الله سبحانه يعتبر عدم إبلاغ هذا الأمر بمثابة عدم إبلاغ أصل الدين وأساس الرسالة.. مما يعني: أنه قد يحل بهم عذاب الإستئصال، فهو يندرهم بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، أو على الأقل أنه سيعاملهم على أساس أنهم عادوا إلى نقطة الصفر، التي اقتضت حرب بدر، وأحد، والخندق، وحنين وسوى ذلك.. وهذا ما لا طاقة لهم به..

نعم.. حين بلغ الأمر إلى هذا الحد، قرروا الإنحناء أمام العاصفة، واللجوء إلى سياسة المداراة والمكيدة، وانتظار الفرصة.. حتى لا تحل كارثة فاضحة، تتلاشى معها جميع الآمال..

ولزمتهم الحجة بالبيعة التي أعطوها له (ﷺ) يوم الغدير، وقامت الحجة بذلك على الأمة بأسرها.. ولم يكن المطلوب أكثر من ذلك..

وكان ذلك قبل استشهاده (ﷺ) بسبعين يوماً.

محاولة قتل رسول الله (ﷺ):

ومما يذكر هنا: أن بعض النصوص يقول: إن تنفير الناقة برسول الله (ﷺ) ليلة العقبة ليسقط في ذلك الوادي السحيق قد كان بعد حجة الوداع، وبعد البيعة لعلي (ﷺ) يوم الغدير..

ويمكن ترجيح هذا النص، لكثير من الإعتبارات التي ألمحنا إليها في كتابنا هذا وفي كتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ).

الباب الثاني عشر: من تاريخ علي (عليه السلام) في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)..

الفصل الأول: أحداث ذات مغزى..

أبو هريرة أعلم من أبي بكر وعمر:

وحدث أبو هريرة: أنه كان في المدينة مجاعة، ومر بي يوم وليلة لم أذق شيئاً، وسألت أبا بكر آية كنت أعرف بتأويلها منه، ومضيت معه إلى بابه، وودعني وانصرفت جاعاً يومي .
وأصبحت وسألت عمر آية كنت أعرف منه بها، فصنع كما صنع أبو بكر .
فجئت في اليوم الثالث إلى علي، وسألته ما يعلمه فقط . فلما أردت أن أنصرف دعاني إلى بيته، فأطعمني رغيفين وسمناً، فلما شبعت انصرفت إلى رسول الله .
فلما بصر بي ضحك في وجهي وقال: أنت تحدثني أم أحدثك، ثم قص علي ما جرى، وقال لي:
(جبرئيل عرفني)^(١) .

ونقول:

نلاحظ هنا أموراً تقتصر منها على ما يلي:

١ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٢٢ و(ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٤٧ و (ط أخرى) ج ٢ ص ٧٣ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٧ .

١ . إن أبا هريرة يصف نفسه بأنه أعرف من أبي بكر وعمر بتأويل الآيات التي سألهما عنها، فكيف نوفق بين قوله هذا، وبين قول الناس الذين لم يروا أبا بكر ولا غيره من الصحابة: بأنه أعلم من أبي هريرة وغيره؟!

٢ . إنه ذكر: أنه سأل علياً عما يعلمه فقط، أي سأله عما يعلمه هو دون سواه.. ولا يعلمه غيره.. فدل أيضاً بذلك على أنه يرى أن لدى علي (عليه السلام) علوماً قد تفرد بها عن غيره، وذلك ينقض أيضاً دعواهم لحوق غيره (عليه السلام) به. فضلاً عن دعواهم الغريبة والمضحكة للشكلى: أن غيره (عليه السلام) أعلم منه.

٣ . لا بأس بالمقارنة بين فعل علي (عليه السلام) مع أبي هريرة بعد جوابه له، وبين فعل غيره معه!!

٤ . نلاحظ: أن النبي (صلى الله عليه وآله) ذكر لأبي هريرة أن جبرئيل عرفه بما جرى.. وذلك يدل على أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعرف بتفاصيل ما يجري للناس، وأن ذلك كان بواسطة الوحي الإلهي.. فليس لأبي هريرة ولا لغيره: أن يظن أنه قد اطلع على ما جرى بنفسه، أو بإخبار علي (عليه السلام) إياه، أو بواسطة ناظر ومراقب من الناس، أو بأية وسيلة أخرى قد يتوهمها متوهم.

لو كان علي (عليه السلام) معكم لما ضللتكم:

وعن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن (عليه السلام): أن ماعز بن مالك أقر عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالزنا،

فأمر به أن يرجم،

فهرب من الحفرة، فرماه الزبير . بن العوام . بساق بعير، فعقله به فسقط، فلحقه الناس، فقتلوه.
فأخبر النبي (ﷺ) بذلك، فقال: هلا تركتموه يذهب إذا هرب، فإنما هو الذي أقر على نفسه. وقال:
أما لو كان علي حاضراً معكم لما ضللتكم.

قال: ووداه رسول الله (ﷺ) من مال المسلمين^(١).

ونقول:

١ . إن من يثبت عليه الزنا بإقراره يرحم، ولكنه إذا هرب من الحفيرة، لا يعاد إليها، بل يكف عنه،
وكأنه لأجل أن هربه بمثابة رجوع عن إقراره ذاك.

٢ . إن كلمة النبي (ﷺ): (أما لو كان علي حاضراً معكم لما ضللتكم) يفيد ما يلي:

ألف: إن هذا الحكم كان قد بلغهم، ولكنهم ضلوا، بعد هدايتهم.

ب: إن التعبير بالضللال دون التعبير بالنسيان، أو الغفلة يشعر بدمهم على ذلك، وأنهم غير معذورين

في فعلهم..

ج: إن وجود علي (عليه السلام) معهم يفرض عليهم الإلتزام بأحكام الله، ويمنع من انسياقهم وراء عصبياتهم،

وميوهم وأهوائهم، حين يريدون

١ - الكافي ج ٧ ص ١٨٥ والمحاسن للبرقي ج ٢ ص ٣٠٦ ووسائل الشيعة ج ١٨ ص ٣٧٦ وبحار الأنوار ج ٧٦ ص ٤٤.

إجراء الأحكام.

٣ . يلاحظ: أنه (ﷺ) وصفهم بالضلال حين فقدهم علياً (عليه السلام) من دون تقييد، فلم يقل: ضللتهم عن ذلك الحكم..

ليفيد: أن ضلالهم حين يفقدون النبي (ﷺ) وعلياً (عليه السلام) يكون عاماً وشاملاً..

٤ . إنه (ﷺ) لم يؤاخذهم بفعلهم هذا، ولم يغرمهم ديتة، لأنهم يدعون الغفلة عن الحكم ونسيانه، أو عدم سماعه من الرسول (ﷺ).. فلا محيص من معاملتهم وفقاً لما يظهره . ولو أمكن تحصيل العلم بالوسائل العادية بوجود متعمد بينهم على سبيل الإجمال، فيصعب تحديد المتعمد للقتل منهم، ويصعب أيضاً تحديد القاتل بصورة أو بأخرى.

٥ . وربما كان غير علي (عليه السلام) يعرف الحكم، ولو كان حاضراً معهم لعرفهم به كسلمان مثلاً. ولكن بما أنهم قد لا يتقادون له، لأنهم يستضعفونه، ويتعصبون عليه. أو قد يلجأون إلى تكذيبه .. إلى غير ذلك من حالات وتصرفات. إلا أنهم لا يمكنهم ممارسة ذلك مع علي (عليه السلام) ، فإنه (ﷺ) حصر أمر إعادتهم إلى جادة الصواب به ..

يضاف إلى ذلك: أنه (عليه السلام) هو الهادي لهم، والمبين ما يختلفون فيه بعد وفاته كما قاله (ﷺ)، وكما أثبتته الوقائع والأحوال.

أعتق علي (عليه السلام) ألف مملوك:

١ - روى عنبسة العابد عن عبد الله بن الحسين بن الحسن، قال: أعتق علي (عليه السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف مملوك مما مجلت يده، وعرق جبينه، ولقد ولي الخلافة، وأتته الأموال، فما كان حلواه إلا التمر، ولا ثيابه إلا الكرايس^(١).

٢ - عن الصادق (عليه السلام): أنه أعتق ألف نسمة من كد يده، جماعة لا يحصون كثرة^(٢).

ونقول:

إن اهتمام علي (عليه السلام) بعتق المماليك يدل على عمق شعوره الإنساني معهم، حتى إنه (عليه السلام) ليعمل حتى تمجل يده من أجل أن يدخل السرور على قلوبهم في أعز شيء لديهم، ألا وهو أنفسهم، حيث ينيلهم نعمة الحرية والخلاص من العبودية.

وهذا يدل على أنه كان يفكر في الآخرين بطريقة تختلف عن تفكير

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٠٢ والغارات (هامش) ج ١ ص ٩٢ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٣٨ و ١٣٩ ونهج السعادة ج ٨ ص ٤٤٧ وشرح إحقاق الحق ج ٣٢ ص ٢٤٥.

٢ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص.. و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٨٨ و (ط أخرى) ج ٢ ص ١٢٢ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٣٢ وراجع: الناقب في المناقب ص ٤٠٥ ونهج السعادة ج ٨ ص ٤٥٢.

غيره. فهو يفكر في إسعادهم، وغيره يزيد في إسعاد نفسه بتعب غيره..
وقد ذكرنا في بعض فصول هذا الكتاب: اعتراض عمر على علي (عليه السلام) حين تسبب في عتق سبي
الفرس بإعتاقه نصيبه منهم.

هني سيفك:

روي: أن علياً (عليه السلام) كان يحارب رجلاً من المشركين، فقال المشرك: يا بن أبي طالب هني سيفك!!
فرماه إليه.

فقال المشرك: عجباً يا بن أبي طالب، في مثل هذا الوقت تدفع إلي سيفك!
فقال: يا هذا، إنك مددت يد المسألة إليّ، وليس من الكرم أن يرد السائل.
فرمى الكافر نفسه إلى الأرض، وقال: هذه سيرة أهل الدين، فقبل قدمه، وأسلم^(١).
ونقول:

١ - قد يتخيل البعض: أن إقدام علي (عليه السلام) على إعطاء سيفه لذلك المشرك ليس تصرفاً محموداً، بل
هو خلاف الحكمة.. لأن فيه إلقاء للنفس في التهلكة. وهو أمر يمنع منه العقل والشرع، فلا ينبغي عدُّ
ذلك

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٦٩ عن أبي السعادات في فضائل العترة، ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص .. و (ط
المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٨ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٦٠٢ ونهج السعادة ج ٨ ص ٢٧٩.

من فضائله (عليه السلام). بل هو إما مكذوب عليه، أو أن على الشيعة أن يتخلوا عن معنى العصمة فيه (صلوات الله وسلامه عليه)..

وهو خيال باطل، لأن هذا التصرف إنما يكون خلاف الحكمة، وممنوعاً منه عقلاً وشرعاً لو كان علي (عليه السلام) قد فقد السبيل به للنصر على عدوه والوسيلة للتحرز منه. أما إذا كان واثقاً من قدرته عليه، فإن ذلك لا يوجب خللاً في الحكمة، ولا في العصمة..

ولا نقول ذلك على سبيل التخيل والتنظير، والإحتمال العقلي، فقد قرأنا: أنه (عليه السلام) قد انتصر على أعدائه بسيف أعدائه رغم كثرتهم، مثل ما جرى له يوم بات على الفراش ليلة الهجرة. حيث أخذ سيف خالد بن الوليد وصال علي مهاجميه، وكانوا عشرة حتى أخرجهم من البيت، وثمة نظائر أخرى لذلك أيضاً تجدها في ثنايا هذا الكتاب..

٢. إنه (عليه السلام) أراد أن يقدم لذلك المشرك الأمثلة العملية في الخلق الإسلامي الرفيع، وفي الشجاعة، وفي الثقة بالنفس..

٣. وقد تلقفها ذلك المشرك بتدبر، وحكمة، وبفطرة صافية، فوجدت السبيل إلى قلبه، فانفتح قلبه وعقله على مُثُلِ الإسلام العليا. وكان ذلك سبب هدايته وسلامته.. لأنه كان يعرف أن الشرك لا يهدي إلى مكارم الأخلاق، بل إلى ضدها، حيث يكرس حب الدنيا والتعلق بها في قلب الإنسان، ويجعله قاسياً وأنانياً، يضحى بكل شيء في سبيل حفظ نفسه، وفي سبيل الحصول على الملذات. وإن الدين والأمل بما عند الله سبحانه هو الذي ينتج هذا الخلق، ويدعو الإنسان إلى الإلتزام به، حتى في مثل هذه الحالات..

علي (عليه السلام) في حديث المعراج:

النعمان: بسنده عن محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله أوحى إلي ليلة أسري بي: يا محمد، من خلفت في الأرض على أمتك؟! وهو أعلم بذلك.

قلت: يا رب أخي.

قال: يا محمد، إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة، فاخترتك منها، فلا أذكر حتى تُذكر معي، فأنا المحمود وأنت محمد.

ثم إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة أخرى، فاخترت منها علي بن أبي طالب وصيك، فأنت سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء، ثم شققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي.

يا محمد، إني خلقت علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة من نور واحد، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان من المقربين، ومن جحدها كان من الكافرين.

يا محمد، لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى يقطع، ثم لقبني جاحداً لولايتهم أدخلته النار.

ثم قال: يا محمد، أتحب أن تراهم؟!!

فقلت: نعم.

فقال: تقدم أمامك.

فتقدمت أمامي، فإذا علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومُجَدِّد بن علي، وجعفر بن مُجَدِّد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومُجَدِّد بن علي، وعلي بن مُجَدِّد، والحسن بن علي، والحجة القائم كأنه الكوكب الدرّي في وسطهم.

فقلت: يا رب من هؤلاء؟!!

قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم، محلل حلالي ومحرم حرامي، وينتقم من أعدائي.

يا مُجَدِّد، أحبيه، فإني أحبه وأحب من يحبه^(١).

ونقول:

يحسن ملاحظة ما يلي من نقاط:

١ - إن الوحي الإلهي المتضمن للسؤال عن الذي خلفه النبي (ﷺ) في الأرض يشير إلى أن أصل الإستخلاف أمر مفروغ عنه، ولذلك لم يقل له: هل استخلفت؟! فإذا كانت الرحلة المختصرة له (ﷺ) تحتاج إلى الإستخلاف على الأمة، فهل يمكن أن يستغني عن الإستخلاف حين يرحل عن هذه الدنيا؟!!

٢ - ودل هذا السؤال أيضاً على أن المطلوب هو الإستخلاف في الأمة

١ - الغيبة للنعماني ص ٩٣ الباب الرابع حديث ٢٥، وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٢٢ و ٢٨٠ ومقتضب الأثر للجوهري ص ٢٣ و

٢٦ وغاية المرام ج ٢ ص ٢٤١ وج ٣ ص ٧٧.

كلها، ولا يكفي الإستخلاف على الأهل والمال والولد، وغير ذلك من الشؤون المرتبطة به كشخص.
٣ . وقد بين الإمام (عليه السلام): أن هذا السؤال الإلهي ليس على ظاهره، بحيث يراد منه حصول المعرفة بالمسؤول عنه، فإن الله تعالى منزّه عن العجز والجهل، وكل نقص.. بل هو سؤال تقريري يراد به التوطئة لتعريف الآخرين بأمر يحتاج إلى هذا النوع من البيان.. فهو على حد قول الله تعالى لعيسى بن مريم: (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) (١).

٤ . والجواب بيا رب أخي، ربما يريد أن يشير إلى بعض صفات خليفته في أمته، وهو أن يكون موضع ثقته، كما يثق الإنسان بأخيه، الذي يكون يكون أعرف الناس به.. وربما يشير به أيضاً إلى منزلته في الفضل والكرامة، حتى استحق أن يتخذه أحداً له، ليدل على قربه فيه، وشبهه به في الحالات والخصوصيات.

٥ . وقد اكتفى (عليه السلام) بهذا التوصيف عن ذكر الإسم، ليأتي تطبيق الوصف على الوصوف، من قبل الله تعالى مباشرة، ليدلنا على أنه يمكن معاينة هذا الوصف في علي (عليه السلام)، فهو موجود فيه بالفعل.. وليس فيه ادعاء ولا مبالغة، ولا مجازية.

٦ . ثم جاء الإخبار الإلهي عن اختيار الله تعالى لنبيه (عليه السلام)

١ - الآية ١١٦ من سورة المائدة.

، وللوصي في شخص علي (عليه السلام)، وجعل النبوة والوصاية لهما، ليؤكد أن النبوة والوصاية شأن إلهي لا يرجع للبشر، ولا يحق لهم أن يتدخلوا فيه.

٧ . إنه تعالى ذكر: أنه هو الذي اشتق لعلي (عليه السلام) اسماً من أسمائه. فدل على أنه تعالى قد أهدى أباه هذا الاسم، ليظهر كمال الإتصال به، والحب له. ولتكن هذه إشارة إلى إيمانه الذي أثبتته الأدلة القاطعة، وإن كان بعض الناس ينكره، بلا مبرر معقول، أو مقبول.

٨ . وقد جعل تعالى: جحد ولاية المعصومين الأربعة عشر سبباً للكفر ودخول النار، ليدل على أن الموجب للكفر هو إنكار الولاية عن علم ومعرفة، أما لو لم يعتقد بالولاية، ولم يصل الأمر إلى حد الجحود لما هو معلوم عنده، فلا يكفر بذلك.

٩ . وقد أكد تعالى مقام الحجة من آل محمد (عليه و آله و سلم)، وأنه في وسط المعصومين كالكوكب الدرري.. مبيناً أنه هو الذي سوف ينتقم من أعداء الله، ليكون هذا داعياً للناس إلى الإحتياط لأنفسهم، لأنهم يخاف من المجهول، ويسعى الإنسان للتحرز مما خفي عنه فيه.. فكيف إذا عرّفه بحقيقة ما خفي عليه عالم الغيب والشهادة. فإن المفروض في هذا الحال هو كمال التحرز، والطاعة والإنقياد.. وفي الروايات إشارات كثيرة أخرى، نسأل الله سبحانه أن يوفق أهل الفكر والفضل، لاستخلاصها، وعرضها للناس للإستفادة منها..

إبليس مؤجل إلى الوقت المعلوم:

١ . عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: بينا نحن بفناء الكعبة ورسول الله (ﷺ) يحدثنا، إذ خرج علينا مما يلي الركن اليماني شيء عظيم، كأعظم ما يكون من الفيلة.
قال: فتنفل رسول الله (ﷺ) وقال: (لعنت).
أو قال: (خزيت) . شك إسحاق .
قال: فقال علي بن أبي طالب: ما هذا يا رسول الله؟!
قال: (أوما تعرفه يا علي)؟!
قال: الله ورسوله أعلم.
قال: (هذا إبليس)، فوثب إليه، فقبض على ناصيته، وجذبه فأزاله عن موضعه. وقال: يا رسول الله، أقتله؟!
قال: (أوما علمت أنه قد أجل إلى الوقت المعلوم)؟!
قال: فتركه من يده. فوقف ناحية ثم قال: ما لي ولك يا ابن أبي طالب؟!
والله ما أبغضك أحد إلا وقد شاركت أباه فيه. اقرأ ما قاله الله تعالى: (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا^(١))^(٢).

١ - الآية ٦٤ من سورة الإسراء.

٢ - تاريخ بغداد ج ٤ ص ٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي ج ٢ ص ٢٢٦ و = (ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٢٨٩ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٨٦ وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٩٧ ولسان الميزان ج ١ ص ٣٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٢٢٥ وج ١٨ ص ٢٢٥ وج ٢١ ص ٥٨٧ وج ٣٠ ص ٣٤٣ عن مختصر تاريخ دمشق (نسخة طوب قبوسراي بإسلابول) ج ١٧ ص ١٤ و (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٧٣.

٢ . عن الكنجي، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال علي بن أبي طالب: رأيت النبي (ﷺ) عند الصفا وهو مقبل على شخص في صورة الفيل وهو يلعنه، فقلت: ومن هذا الذي يلعنه رسول الله؟! قال: هذا الشيطان الرجيم.
فقلت: والله يا عدو الله، لأقتلنك. ولأريحن الأمة منك.
قال: ما هذا جزائي منك!
قلت: وما جزاؤك مني يا عدو الله؟!
قال: والله ما أبغضك أحد قط إلا شاركت أباه في رحم أمه^(١).

١- تاريخ بغداد ج ٤ ص ٥٧ والغدير ج ٤ ص ٣٢٤ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ١٥٩ والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٩١ وتاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي ج ٢ ص ٢٢٧ و (ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٢٩٠ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٣٨٥٦ وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٩٧ والكشف الحثيث ص ٦٥ وكفاية الطالب ص ٦٩ ولسان الميزان ج ١ ص ٣٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٢٢٥.

ونقول:

أولاً: لا مانع من تكرر ظهور إبليس، تارة عند الصفا، وأخرى بفناء الكعبة مما يلي الركن اليماني ..
ثانياً: يلاحظ: أن إبليس قد ظهر هنا وهناك في صورة الفيل، فما هي خصوصية الفيل في ذلك على غيره؟! هل هي أن الفيل من المسوخ أي من الحيوانات التي مسخ الله بعض الجبارين المسرفين على صورتها؟! أم لأنه أراد التهويل على الناس، لكي لا يتجرأ أحد على أن يقصده بسوء؟! أم لسبب آخر لا نعلمه؟!!

ثالثاً: إن تمكن أمير المؤمنين (عليه السلام) منه وإذلاله، يدل على خصوصية له (عليه السلام) .. وهو من المثوبات التي وفقه الله إليها ..

رابعاً: إنه (عليه السلام) لا يقدم على قتله . إلا بعد أن يسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .. لأن التصرف بالأمر إلى هذا الحد لا بد أن يكون بإذن منه (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

خامساً: إن علياً (عليه السلام) قد سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن كان يأذن بقتله . ولكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل: لا آذن لك، بل قال: أوما علمت أنه أُجِّلَ إلى الوقت المعلوم؟!
فدل بذلك: على أن قتله ليس محرماً في ذاته، بل هو مستحق للقتل، ولكن وضع الأجل له هو الذي يمنع من قتله ..

سادساً: إن علياً (عليه السلام) بقبضه على ناصية إبليس قد دل على أن قتله ممكن ومقدور له .. وهذه مزية تثبت لها هذه الرواية، ليمتاز بها عن

سائر الناس..

ولكن هل قتله يزيل الشرور من بين الناس؟! أم أن شياطين الجن والإنس، من ذرية إبليس، سوف يواصلون عملهم في إضلال الناس، ودعوتهم إلى المعاصي، وإن كان رأسهم المدبر قد زال؟!
سابعاً: إن ما قاله إبليس عن مشاركته آباء مبغضي علي (عليه السلام) في أبنائهم لا يعني أن إبليس مصيب في عمله، فإن بغضه (عليه السلام) جريمة عظيمة، وفعل إبليس هذا عدوان ومعصية، وتمرد على أمر الله سبحانه..

غير أن الله سبحانه حين يرفع أظفاره عن مبغضي علي (عليه السلام) يتسلط عليهم إبليس بأنواع من التصرفات.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبر باستشهاد علي (عليه السلام):

عن أنس بن مالك قال: كان علي بن أبي طالب مريضاً، فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر جالسان.

قال: فجلست عنده، فما كان إلا ساعة حتى دخل نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتحولت عن مجلسي، فجاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جلس في مكاني، وجعل ينظر في وجهه.
فقال أبو بكر أو عمر: يا نبي الله، لا نراه إلا لما به.
فقال: لن يموت هذا الآن، ولن يموت إلا مقتولاً^(١).

١- تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٦٧ و (ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٥٣٦ وراجع: = الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٨٧ وشرح إحقاق الحق ج ٨ ص ٧٨٠ و ج ٢٣ ص ٣٨٤ و ج ٢٣ ص ٣٩٢ و ٣٢ ص ٥٩٦ وعن الفخري في الآداب السلطانية (طبع بغداد) ص ٨٢ .

ونقول:

أولاً: لم يحدد (ﷺ) لأبي بكر، ولا لعمر تاريخ استشهاد علي (عليه السلام). بل اكتفى ببيان أنه لا يموت في مرضه ذاك. ثم نفى نفيًا قاطعاً ومؤبداً موته (عليه السلام) بغير القتل.

ثانياً: إن هذا الإخبار، يدهم على إمكانيته قتل علي (عليه السلام) بل على أن القتل واقع لا محالة.. وهذا يسقط أي توهم يريد أن ينحو منحى الغلو وأن يتجاوز الحدود في علي (عليه السلام).

كما أنه يسقط ما يراد إشاعته من أن ما حققه (عليه السلام) من انتصارات، وإنجازات هائلة في ساحات النزال والقتال، ثم خوف الناس منه، ونكولهم عنه لا يجعله مستحقاً للتعظيم والتكريم، والتقديم، لأنه جاء نتيجة التصرف الإلهي، الذي يريد صنع النصر على يد أي كان من الناس.. فليس في ذلك فضل لعلي (عليه السلام)، لأنه لا يستفيد من قدرات نفسه كما أنه لا يوجب الإنتقاص من مقام أحد ممن كان ينكل في الحرب، ويفر في مقامات الطعن والضرب.

فقول النبي (ﷺ) هنا يدل: على أن علياً (عليه السلام) ليس في منأى عن القتل والجرح، وأن ما حققه من انتصارات، إنما كان

بجهده وجهاده، حتى استحق أن يفيض أطفاه عليه، ويشمله بعناياته.. ولم يكن غيره أهلاً ولا محلاً لذلك.
ما أحسب علياً (عليه السلام) فيكم!:

عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم وصلى الفجر، ثم قال: معاشر الناس، أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلوا باللات والعزى ليقتلوني. وقد كذبوا ورب الكعبة.

قال: فأحجم الناس وما تكلم أحد، فقال (صلى الله عليه وآله): ما أحسب علي بن أبي طالب فيكم؟! فقام إليه عامر بن قتادة، فقال: إنه وعك في هذه الليلة، ولم يخرج يصلي معك، أفتأذن لي أن أخبره؟! فقال النبي (صلى الله عليه وآله): شأنك.

فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كأنه أنشط من عقال، وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته، فقال: يا رسول الله، ما هذا الخبر؟! قال: هذا رسول ربي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا إلي لقتلي، وقد كذبوا ورب الكعبة.

فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله، أنا لهم سرية وحدي، هو ذا ألبس علي ثيابي.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بل هذه ثيابي، وهذه درعي،

وهذا سيفي .

فدرّعه، وعممه، وقلده، وأركبه فرسه .

وخرج أمير المؤمنين (عليه السلام)، فمكث (صلى الله عليه وآله) ثلاثة أيام، لا يأتيه جبرئيل بحبره، ولا خبر من الأرض .

فأقبلت فاطمة بالحسن والحسين (عليهما السلام) على وركيها، تقول: أوشك أن يتم هذين الغلامين .

فأسبل النبي (صلى الله عليه وآله) عينه بيكي، ثم قال: معاشر الناس، من يأتيني بخبر علي أبشره بالجنة .

وافترق الناس في الطلب، لعظم ما رأوا بالنبي (صلى الله عليه وآله)، وخرج العواتق، فأقبل عامر بن قتادة يبشر بعلي

(عليه السلام)، وهبط جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله)، فأخبره بما كان فيه .

وأقبل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ومعه أسيران، ورأس، وثلاثة أبعرة، وثلاثة أفراس .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): تحب أن أخبرك بما كنت فيه يا أبا الحسن؟!

فقال المنافقون: هو منذ ساعة قد أخذه المخاض، وهو الساعة يريد أن يحدثه!

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): بل تحدث أنت . يا أبا الحسن . لتكون شهيداً على القوم .

قال: نعم . يا رسول الله . لما صرت في الوادي، رأيت هؤلاء ركبانا على الأباعر، فنادوني: من أنت؟
فقلت: أنا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله .
فقالوا: ما نعرف الله من رسول، سواء علينا وقعنا عليك أو على مُجَدِّ، وشد علي هذا المقتول، ودارت
بيني وبينه ضربات، وهبت ريح حمراء سمعت صوتك فيها يا رسول الله وأنت تقول: قد قطعت لك جربان
درعه، فاضرب جبل عاتقه . فضربته فلم أحفه .
ثم هبت ريح صفراء، سمعت صوتك فيها يا رسول الله، وأنت تقول: قد قلبت لك الدرع عن فخذه،
فاضرب فخذه . فضربته ووكزته، وقطعت رأسه ورميت به .
وقال لي هذان الرجلان: بلغنا أن مُجَدًّا رفيق شفيق رحيم، فاحملنا إليه ولا تعجل علينا، وصاحبنا كان
يعد بألف فارس .
فقال النبي (ﷺ): يا علي، أما الصوت الأول الذي صك مسامعك فصوت جبرئيل (عليه السلام) .
وأما الآخر فصوت ميكائيل (عليه السلام)، قدم إلي أحد الرجلين . فقدمه، فقال: قل لا إله إلا الله، واشهد
أني رسول الله .
فقال: لنقل جبل أبي قبيس أحب إلي من أن أقول هذه الكلمة .
فقال: يا علي، أخره واضرب عنقه .
ثم قال: قدم الآخر .

فقال: قل لا إله إلا الله، واشهد أني رسول الله.

فقال: ألحقني بصاحبي.

قال: يا علي، أخره واضرب عنقه.

فأخره، وقام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليضرب عنقه، فهبط جبرئيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: لا تقتله، فإنه حسن الخلق، سخي في قومه.
فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي، أمسك، فإن هذا رسول ربي عز وجل يخبرني أنه حسن الخلق، سخي في قومه.

فقال المشرك، تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك!

قال: نعم.

قال: والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قط، ولا قطبت وجهي في الحرب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هذا ممن جره حسن خلقه وسخاؤه إلى جنات النعيم^(١).
ونقول:

١- الأمامي للصدوق ص ١٦٦ . ١٦٨ . والخصال للصدوق ص ٩٤ . ٩٦ . وحلية الأبرار ج ٢ ص ٨٨ . ٩٠ . وبحار الأنوار ج ١ ص ٧٣ . ٧٥ . وشجرة طوبى ج ١ ص ١٧٩ . ١٨١ .

١ . دلت هذه الواقعة: على أن النبي (ﷺ) كان على يقين من فشل محاولة قتله على يد هؤلاء الثلاثة، ولا شك في أنه قد علم ذلك بواسطة جبرئيل عن الله تبارك وتعالى، كما ذكره (ﷺ) لعلي (عليه السلام).

٢ . إن معرفته هذه لا تعني أن يقف مكتوف الأيدي تجاه مؤامراتهم، إذ قد يكون فشل مؤامرتهم مرهوناً بتصرف معين من قبل المؤمنين أنفسهم، ولولا ذلك لتبدلت الأمور، ووقع المحذور . أي أنه خبر مشروط بأمر اختياري لا بد من إنجازه، فإذا لم يتحقق الشرط، لم يجب تحقق المشروط، ويدل على هذا الإشتراط: نفس مبادرة النبي (ﷺ) لانتداب المسلمين لمواجهة المتآمرين ..

٣ . ولأن النبي (ﷺ) كان يعلم بأحوال أصحابه، ويعرف من يقدم منهم ومن يحجم . فإنه عرف أن علياً (عليه السلام) غير موجود بينهم بمجرد عدم إجابته طلبه، إذ لو كان حاضراً فلا بد أن يبادر إلى ذلك .. وكان (ﷺ) يعلم أيضاً: أن أحداً غيره لم يكن على استعداد للتضحية في مثل هذه الحالات .. وقد ظهر: أنه على حق فيما قال، حين أخبره عامر بن قتادة بأن علياً (عليه السلام) قد وعك في تلك الليلة ..

٤ . وحين قال عامر بن قتادة لرسول الله (ﷺ): أفتأذن لي أن أخبره؟!!

قال له رسول الله (ﷺ): شأنك.

أي أنه (ﷺ) لم يصدر أمراً باستحضار علي (عليه السلام)، بل أرجع الأمر إلى عامر بن قنادة. ولو أنه أجابه بالإيجاب لتوهم متوهم أن علياً (عليه السلام) قد اضطر للخروج إلى المتأمرين، لأن النبي (ﷺ) أراد منه ذلك. ولو ترك وشأنه، فلعله يؤثر السلامة على الخروج كما أثرها غيره.

٥ . وقد أراد علي (عليه السلام) أن يخرج وحده للمتأمرين، لأن من لم ينتدب لهم حين طلب منهم رسول الله (ﷺ) ذلك لا يستحق أن ينال شرف المشاركة في أمر كان كارهاً له.. لأن مشاركته هذه ستكون لأجل أن ينال المكاسب على يد غيره، ومن دون أن يقدم هو أي شيء يستحقها به..

٦ . وقد أراد (ﷺ) بإلباس علي (عليه السلام) درعه، وإعطائه سيفه، وإركابه فرسه، وتعميمه، وتقليده بيده، أن يدل على كمال خصوصيته عنده، وعلى أنه يمثل أدق تمثيل.

وقد دل مجيء فاطمة بأولادها بعد انقطاع خبر علي (عليه السلام) عنهم ثلاثة أيام، على أن لعلي (عليه السلام) عيالاً هم أحب الخلق إلى الله، وكان لغير علي (عليه السلام) زوجات، ولكن لا كفاطمة. وكان لهم أولاد، ولكنهم ليسوا مثل الحسنين، فإن كان حب العيال منع غيره من المخاطرة بنفسه، فلماذا لم يمنع علياً (عليه السلام) حب هؤلاء الصفوة الذين لا نظير لهم على وجه الأرض من المخاطرة بنفسه؟!

٧. قد يحاول البعض إثارة الشبهة حول صحة هذه الرواية من جهتين:
إحدهما: أن عامر بن قتادة ليس له ذكر في كتب تراجم الصحابة..
ونجيب:

إن الذين ترجموا للصحابة إنما ذكروا من وجدوا له رواية، أو من ورد له ذكر في حادثة، أو نحو ذلك..
ولا شيء يدل على أنهم قد استقصوا جميع الأحاديث، وكل المؤلفات في التاريخ، والعقيدة، والأخلاق
والسياسة، وما إلى ذلك.. ولا يزال أهل التتبع يستدركون على السابقين ما فاتهم في مختلف الموضوعات،
ومنها التراجم.

الثانية: إن هذا الحديث لم يتداوله كتاب السيرة، ولا تناقلته الألسن، بل بقي تداوله محصوراً في نطاق
معين.

ونجيب:

أولاً: ما زال كتاب السيرة يستدرك اللاحق منهم على السابق، وأنت تجد في الكتب المنفرقة أحاديث
وأحداثاً وتفصيل كثيرة، لا تجدها في الكتب التي حظيت باهتمام رواد كتابة السيرة الرسمية، التي يهتم
الحكام بتوجيه الأنظار إليها..

ثانياً: إن هذا الحديث مروى عن علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)

وهو يتضمن فضيلة كبرى لمن لم يزل محارباً بشراسة على جميع الأصدقاء وفي جميع المجالات..
والرواية التي ترد في كتب شيعة أهل البيت، وعن أحد أئمتهم (عليه السلام).. لا يسمح الآخرون لأنفسهم
بأخذها وترويحها. كما لا يسمحون لأتباعهم بالإطلاع على كتب شيعة أهل البيت، ويحاولون محاصرة
ثقافتهم، واستبعاد كل ما له ارتباط بها وبهم من قريب، أو من بعيد.

٨ . ويبقى هنا سؤال: كيف يمكن أن نتصور إعطاء الجنة لشخص مجرد أنه سبق غيره في حمل خبر
علي (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والحال أن الصدفة قد تكون هي التي مكنت هذا من حمل الخبر إليه،
وحرمت ذلك.

ولعل الذي عرف خبر علي (عليه السلام) قبل غيره يكون من الفاسقين، أو من المنافقين؟!.

ونجيب:

أولاً: بأن الرواية نفسها قد أوضحت: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان على علم بما جرى عن طريق جبرئيل
(عليه السلام)، وقد عرض (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) أن يخبره بما كان..

فمن الذي قال: إنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن يعلم بتعليم من الله . بشخص الذي سيأتيه بخبر علي (عليه السلام)،
وبأنه من أهل الجنة؟!.

ثانياً: إن الذي يهتم بأن يدخل السرور على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لا بد أن يسارع إلى إعلامه
بمجيء علي (عليه السلام).

أما من يكره علياً (عليه السلام)، ولا يهتم لسرور رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإنه سوف يتناقل عن ذلك، بل هو
سيسعى لحجب هذا الخبر السار عنه.. وسوف يسبقه غيره إلى إخباره (صلى الله عليه وآله) بمجيئه..

ويؤكد ذلك: أنه (ﷺ) لم يجعل ثواباً دنيوياً لهذا العمل، بل جعل له ثواباً آخروياً، يزهّد أهل الدنيا به.. بل قد لا يصدقه الكثيرون منهم، ولا يدخل في جملة طموحاتهم أو رغباتهم..

٩. إن قول النفر الثلاثة لعلي (عليه السلام): سواء علينا: وقعنا عليك، أو على محمد. يدل على ما بلغه أمير المؤمنين (عليه السلام) من عظيم الأثر في النكاية بأهل الشرك، حتى أصبحوا يعدّونه بالنبي (ﷺ) نفسه.. وهم إنما يعرفونه من خلال أثره في الحروب، ولا يعرفونه من خلال مقامه عند الله تعالى، ومن خلال ميزاته الإيمانية والإنسانية، فإنهم لا يعترفون أولاً يؤمنون بشيء من ذلك.

١٠. إن الملائكة حين ساعدت علياً (عليه السلام) على عدوه لم يؤثروا في أجسادهم بصورة مباشرة، بل هم قد دلوا علياً (عليه السلام) على المواضع التي إن استفيد منها أمكن إلحاق الضرر بذلك العدو.. وهذا يشير: إلى أن الملائكة لا تريد أن تختزل من جهاد وتضحيات علي (عليه السلام) شيئاً.. حتى على صعيد احتفاظ عدوه بقدراته الذاتية.

١١. لقد لفت نظرنا هؤلاء الأعداء الذين يطمعون في أن تشملهم رحمة محمد (ﷺ)، وتشملهم شفقتة. مع أنهم ارتكبوا في حقه ما يستحقون به أشد العقوبات.. لأنهم يريدون إطفاء نور الله تعالى بقتل نبيه بدون مبرر، إذ لماذا يريدون أن يمنعوا الناس من اختيار ما يناسبهم؟! ولماذا يريدون فرض الشرك عليهم؟! ولماذا يريدون أن يفرضوا عليهم الإلتزام بأباطيل الجاهلية، وحفظ أضاليلها؟!

١٢ . ورغم أن ما فعله أولئك المجرمون يكفي لإنزال أقسى العقوبات بهم، بما في ذلك عقوبة القتل، إلا أن النبي (ﷺ) هياً لهم فرصة جديدة للخلاص، حين عرض عليهم الإسلام، ولكن استكبارهم وعتوهم خذلهم هذه المرة أيضاً، فاستحقوا القتل بجميع المعايير والمقاييس، حتى الجاهلية منها.

١٣ . وكانت المفاجأة الأعظم هي تلك التي تجلت في نزول جبرئيل بالعتفو عن الشخص الثالث، بسبب سخائه، وحسن خلقه.. وكان ذلك هو سبب إيمانه، حين لامس هذا العفو فطرته، وأيقظ وجدانه، وأنعش ضميره، لأنه جاء من دون اشتراط إسلامه وإيمانه، بل جاء بعد رفضه الإيمان والإسلام حين عُرض عليه..

حجرات علي (عليه السلام) مع النبي (ﷺ):

وذكر ابن شهر آشوب: أن علياً (عليه السلام) قد حج مع النبي (ﷺ) عشر حجج (١). ولعل المراد حجراته معه، فكانت قبل الهجرة تسع مرات، ثم حجة الوداع سنة عشر من الهجرة.. ولكن يرد على هذا: أن المفروض أن يكون قد حج مع رسول الله (ﷺ) قبل الهجرة أكثر من تسع حجرات. إذ لا مبرر لتفويت

١ - مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ١٨٧ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٧.

الحج في أية سنة من السنين. لا سيما وأن النبوة كانت لرسول الله (ﷺ) منذ صغره، فتشمل الحجات التي حجها قبل أن يعث رسولاً في سن الأربعين..
ويحتمل أن يكون (ﷺ) قد منع من الحج في سنوات الحصار في الشعب، وهي ثلاث سنوات على الظاهر.

ويحتمل أن يكون المراد: أنه حج مع النبي (ﷺ) بعد الهجرة عشر حجات.. وذلك بالطريقة التي تناسب الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك، ولو كانت طريقة إعجازية..
والله هو العالم بحقيقة الحال..
لم يفكر بالدنيا، فأخذ الناقة:

عن ابن عباس: أهدى إلى رسول الله (ﷺ) ناقتان عظيمتان سميتان، فقال للصحابة: هل فيكم أحد يصلي ركعتين بقيامهما وركوعهما، وسجودهما، ووضوئهما، وخشوعهما، لا يهتم فيهما من أمر الدنيا بشيء، ولا يحدث قلبه بفكر الدنيا، أهدى إليه إحدى هاتين الناقتين؟!
فقالها مرة، ومرتين، وثلاثة، فلم يجبه أحد من أصحابه، فقام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: أنا يا رسول الله، أصلي ركعتين، أكبر تكبيرة الأولى، وإلى أن أسلم منهما، لا أحدث نفسي بشيء من أمر الدنيا.
فقال: يا علي، صلِّ، صلى الله عليك.

فكبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، ودخل في الصلاة، فلما سلم من الركعتين هبط جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أعطه إحدى الناقتين.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني شارطته أن يصلي ركعتين، لا يحدث فيهما بشيء من الدنيا، أعطيه إحدى الناقتين إن صلاهما، وإنه جلس في التشهد، فتفكر في نفسه أيهما يأخذ.

فقال جبرئيل: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: تفكر أيهما يأخذها، أسمنهما وأعظمهما، فينحرها ويتصدق بها لوجه الله. فكان تفكره لله عز وجل، لا لنفسه ولا للدنيا.

فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأعطاه كليهما. وأنزل الله فيه: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا)** ^(١). لعظة لمن كان له قلب وعقل أو ألقى السَّمْعَ، يعني يستمع أمير المؤمنين (عليه السلام) بإذنيه إلى من تلاه بلسانه من كلام **(الله وَهُوَ شَهِيدٌ)** ^(٢)، يعني وأمير المؤمنين شاهد القلب لله في صلاته، لا يتفكر فيها بشيء من أمر الدنيا ^(٣).

١- الآية ٢١ من سورة الزمر.

٢- الآية ٣٧ من سورة ق.

٣- مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٠ عن تفسير وكيع، والسدي، وعطاء. وراجع: بحار الأنوار ج ٣٦ ص ١٦١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٦١٢.

سؤال يحتاج إلى جواب:

ونقول:

إن هنا سؤالاً هاماً يحتاج إلى جواب، وهو التالي:

كيف صح أن يتعلل رسول الله (ﷺ) عن إعطاء الناقة لعلي (عليه السلام) مع أن جبرئيل أبلغه أمر الله تعالى الصريح بأن يعطي علياً (عليه السلام) إحدى الناقتين؟! ألا ينافي في ذلك عصمته؟! وألا يدل ذلك على عدم صحة هذه الرواية؟! عدم صحة هذه الرواية؟!

ونجيب:

إنه إنما ينافي العصمة، ويسقط الرواية عن الإعتبار لو لم يكن له وجه صحيح ومقبول. والوجه هنا هو: أنه (ﷺ) أراد أن يدفع التوهّمات التي قد تراود أذهان البعض الذين لم يطبقوا فوز علي (عليه السلام) بهذه الفضيلة، فيحاولون لأغراض مختلفة أن يقرروه (عليه السلام)، إن كانت الناقة قد خطرت بباله أثناء صلواته، فإذا أجاب بالإيجاب، فسيطرون بها في الشرق والغرب، وسيحدث الخلل الإيماني من خلال انتشار الشك في النبوة، أو في صفات النبي (ﷺ) في كل اتجاه. فأوضح النبي (ﷺ) لهم، من خلال جبرئيل، الذي لا يمكنهم أن ينسبوا إليه المحاباة لعلي (عليه السلام)، لأنه ليس صهره ولا ابن عمه. أوضح. أن خطور الناقة على باله (عليه السلام) علي يتصور على نحوين:

أحدهما: خطورها له بما لها من قيمة في الدنيا وحسب.. وهذا لو حصل لنقض الشرط الذي شرطه عليه رسول الله (ﷺ)، ولزالت عنه صفة استحقاقها..

الثاني: أن يفكر كيف يستفيد منها في بلوغ مرضات الله سبحانه، وهذا ليس تفكيراً بالدنيا وليس لنفسه، بل هو لله وفي الله عز اسمه.. كما قال جبرئيل (عليه السلام)..

ويلاحظ: أن جبرئيل هنا لم يورد هذا التفسير من عند نفسه، بل أسنده إلى الله تبارك وتعالى علام الغيوب، والمطلع على القلوب.. ليتوهم متوهم: أن جبرئيل (عليه السلام) قد لا يبلغ كنه أمثال هذه الأمور، ليكون ذلك أولى بالإقناع، والإتباع.

يضاف إلى ذلك: أن جبرئيل يذكر تفاصيل ما فكر به علي (عليه السلام)، ولولا أنه تلقى ذلك عن الله تبارك وتعالى، وأذن له في بيانه، لم يكن له هو الآخر سبيل إلى معرفة ما في الضمائر، وما تكنه السرائر.. كما أنه لا يحق له البيان، لا الإعلان..

١	الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)
٥	الفصل الرابع:
٣٧	الفصل الخامس:
٥٩	الباب الحادي عشر:
٦١	الفصل الأول:
٨٣	الفصل الثاني:
١٢٥	الفصل الثالث:
١٥٤	الفصل الرابع:
١٧٧	الفصل الخامس:
١٩٥	الفصل السادس:
٢٢٩	الفصل السابع:
٢٥٥	الفصل الثامن:
٢٨١	الفصل التاسع:
٣١٣	الباب الثاني عشر:
٣١٥	الفصل الأول:
٣٤٧	الفهرس